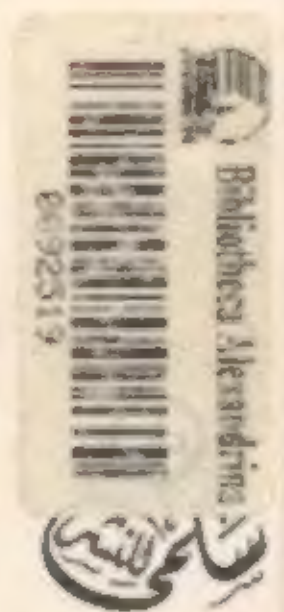


مجدى كاسل

# ساعة المرأة .. خَيْرُ مَجْدَى الشَّامِ



ساعة امرأة ..  
خيرة بحري التاريخ

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

الغلاف : الفنان عمرو فهمي

خطوط : سامي عرفة

الجمع : مصر لخدمات الناشرين

الإخراج الفني : مجدى كامل

دار سامي للنشر والتوزيع

٩٩ شارع رمسيس - القاهرة - ت : ٥٧٨٤٥٠٤



# سائنس اور لڑائی .. خفیہ بحری الشایع

بحری کانس

# إِسْرَاءُ..

إلى كل إسراة خرجت من معركة الحياة ، وهي لم تنزل نفسك  
بيدها على كتاب .

بجري

## تقديم

التاريخ ملئ بصفحات ناصعة البياض لآلاف النساء العظيمات ، اللاتي قدمن للإنسانية إنجازات رائعة جعلتهن يتبوأن مكانة رفيعة في سجل الخالدين . كما يضم التاريخ الإنساني بين طياته - للأسف - صفحات حالكة السواد لنساء تنكرون لإنسانيتهن ، وتحركن من خلال ما لديهن من نزعات تدميرية سواء نحو الذات ، أو نحو الآخرين !

وبين نساء التاريخ عظيماته ، وشقياته ، شخصيات لا لون لها ، ولا طعم ، ولا رائحة ، آثرت البقاء في الظل ، أو على هامش الحياة ، لا تأثير لهن ، ولا فعالية .

وهذا الكتاب محاولة لإعادة كتابة تاريخ النساء ، ويروى كيف كان للمرأة النصيب الأوفر من صفحاته سواء الناصعة البياض ، أو الحالكة السواد ، وكيف لعبت دوراً خطيراً في كتابة أحداثه سلباً ، وإيجاباً ، وكيف كانت وراء تحريك عجلته تارة إلى الأمام ، وتارة إلى الخلف . كيف كانت تمثل في بعض الأحيان قوة دفع ، وفي أحيان أخرى حجر عثرة أمام تقدم البشرية .

ونحن هنا نقدم مائة امرأة كان لهن دور خطير ، وبارز في تغيير مجرى التاريخ الإنساني سلباً ، وإيجاباً سواء من خلال قرارات ، وأفعال ، وأفكار ، أو المساهمة في دفع مسيرة عباقرة عظماء ، ومساعدتهم في إظهار عبقريتهم الفذة لخدمة الإنسانية ، والنهوض بها ، أو من خلال جر الإنسانية إلى الوراء آلاف السنين ، لعصور التخلف والقهر والعبودية ، وتشويه المكاسب الحضارية .

هذا الكتاب ما هو إلا مرجع هام لأي قارئ يريد أن يسبر أغوار التاريخ لمعرفة أهم نسائه في الماضي والحاضر اللاتي ساهمن بالنصيب الأعظم في تغيير مسار العالم .

مجدى كامل

## كليوباترا ..

مادامت هذه هي النهاية  
فلماذا لا نجعلها أجمل !!

لم يحدث على الإطلاق أن أجمعت كتب التاريخ على اتخاذ موقف عدائى من شخصية تاريخية بارزة كما فعلت مع كليوباترا الملكة التى حكمت مصر منذ حوالى ألفى عام .. وصف المؤرخون كليوباترا بكل شروء الدنيا .. فهى القاتلة والحائنة والفاسقة والمستبدة والمتآمرة التى تعبد السلطة فى بحر الملذات وتمثل التجسيد المثالى للأنانية والمكر والدهاء .

وهذا التحيز الواضح ضد كليوباترا يجعل من الصعب تقييم هذه الشخصية التاريخية بشكل موضوعى خاصة أن جميع المصادر التاريخية أصدرت بالفعل حكمها النهائى عليها وأغلقت صفحاتها فى كتاب التاريخ بعد أن ختمت عليها بخاتم العار واللعنة الأبدية .

ورغم ذلك فليس هناك خلاف على أن كليوباترا السابعة قد احتلت مكانة بارزة فى التاريخ وذلك لثلاثة أسباب رئيسية وهى أنها كانت هى المخلوق البشرى الوحيد بعد هانيبال الذى استطاع أن يثير المخوف فى قلب الامبراطورية الرومانية . كما أنها أثرت على ثلاثة من أكبر قادة الامبراطورية الرومانية وهم يوليوس قيصر ومارك أنطونيوس وأوكتافىوس وبالتالي تركت بصمتها على سياسات هذه الامبراطورية التى كان لها أثرها على مجرى التاريخ فى العالم بأسره .

أما السبب الثالث فهو أنها كانت نموذجاً فريداً للمرأة فى كل العصور بالرغم أنها كانت تعبد السلطة والنفوذ وتمارس كل الوسائل العملية اللازمة لتحقيق طموحاتها الا أنها كانت فى نفس الوقت نموذجاً للمرأة الرومانسية بشكل يندر تكراره لدى أية امرأة أخرى فى التاريخ .

ولدت كليوباترا عام ٦٩ قبل الميلاد وكانت هى الابنة الثانية للملك بطليموس الثانى عشر وأصبحت هى آخر ملوك وملكات تلك العائلة المقدونية التى حكمت مصر بعد وفاة الاسكندر الاكبر فى عام ٣٢٣ قبل الميلاد وحتى ضم مصر إلى روما عام ٣١ ق م .

ورغم أن كليوباترا من أصل مقدونى ولا تجرى فى عروقها نقطة واحدة من الدم المصرى إلا أنها كانت تروى لأسباب سياسية ، أنها ابنة « رع » اله الشمس عند الفراعنة .

قائيل كليوباترا وصورها على العملات المعدنية وجدران المعابد تشير إلى أنها لم تكن ذات جمال باهر ، كان وزنها ٤٠ كيلو جراما فقط وطولها ١٥٠ سنتيمترا .. فم دقيق .. وذقن توحى بالحسم وعينان لامعتان وأنف حاد يرتفع لأعلى مشيرا لقوة الشخصية . يقول المؤرخ الاغريقى بلوتارك أن صوت كليوباترا كان يشبه آلة موسيقية متعددة الاوتار .

وفى عام ٥٨ قبل الميلاد ثار المصريون على حكم والدها بطليموس الثانى عشر الذى هرب من مصر إلى روما وساعده الجيش الرومانى على العودة إلى عرشه بعد ثلاث سنوات .

وفى عام ٥١ ق م مات الملك بطليموس وتولى العرش من بعده ابنه بطليموس الثالث عشر وعمره لا يتجاوز ١٥ عاما وكان متزوجا من اخته كليوباترا وحكم الاثنان مصر معا لمدة ٤ سنوات .

فى ذلك الحين ، كانت مصر بمثابة محمية رومانية منذ عام ١٦٨ ق م وكان هدف كليوباترا هو ان تنفرد بالحكم وتقيم امبراطورية مترامية الأطراف .. وقد أدركت بوضوح ان تحقيق هذه الطموحات يتطلب أن تكون علاقاتها طيبة بقيادة الامبراطورية الرومانية .

وهكذا ، فعندما وصل يوليوس قيصر إلى الاسكندرية أثناء مطاردته لخصمه بومبى توجهت كليوباترا إلى هناك ومعها أحد خدمها وأمرته بأن يلقها فى سجادة ويتقدم بها إلى مقر يوليوس قيصر .

وهناك ابلغ الخادم الحراس انه يحمل هدية لقيصر ولما سمح له بالدخول قام بفرد السجادة أمام الامبراطور الرومانى وظهرت بداخلها كليوباترا وهى فى اروع زينة فبهرت قيصر وخلبت عقله .

كانت كليوباترا تدرك غرور قيصر فابتدت ضعفها امامه وطلبت منه مساعدتها على الانفراد بالعرش وكان قيصر ايضا بحاجة لثروات مصر فطلب منها ان تدفع له النفقات التى تحصلتها روما من أجل إعادة أبيها بطليموس الثانى عشر إلى عرشه قبل وفاته وهكذا ، بدأت العلاقة بينهما بتبادل المصالح .

عقدت كليوباترا العزم على إعادة امجاد البطالة الاوائل واسترداد المناطق التى كانت خاضعة لهم والتى كانت تشمل سوريا وفلسطين وادركت أن قيصر هو الرجل القوى الذى يتعين أن تعتمد عليه لتحقيق اهدافها .. وبالفعل ساعدها قيصر على الانفراد بالحكم بعد ان قتل زوجها بطليموس الثالث عشر وغادر يوليوس قيصر مصر فى ٢٧ مارس عام ٤٧ ق وذكر بعض المؤرخين انه انجذب من كليوباترا انها سيزاريون ولكن من الصعب تأكيد ذلك « دائرة المعارف البريطانية » .

وتوجهت كليوباترا إلى روما ومعها شقيقها الاصغر الذى شارك كليوباترا الحكم بعد وفاة بطليموس الثالث عشر لتنهضة يوليوس قيصر بالانتصار على خصمه بومبى .. واثنا وجودهم فى روما اغتيل قيصر عام ٤٤ ق م .

وخشيت كليوباترا أن ينتقم منها أعداء يوليوس قيصر فقالت انها حضرت إلى روما لابرام معاهدة تحالف بين مصر والامبراطورية الرومانية وطلبت من مجلس الاعيان في روما الاعتراف بابنها سيزاريون شريكا لها في الحكم بدلا من شقيقها الاصغر ولكن المجلس رفض .

وفي عام ٤٢ ق م اتضح ان قتلة قيصر قد قضى عليهم وان مارك انطونيو أصبح هو اقوى المرشحين لوراثة سلطة قيصر خاصة ان الوريث الشرعى اوكتافيوس ابن شقيق قيصر كان مجرد غلام مريض ولقد اراد انطونيو اعادة امجاد روما فشن حملة لغزو بلاد فارس وذهب إلى طرسوس حيث بعث إلى كليوباترا بطلب منها الحضور اليه .

لقد مارست كليوباترا مع مارك انطونيو أسلوبا يختلف تماما عن الأسلوب الذى مارسه مع قيصر .. فقد كانت تدرك ان قيصر يعشق السلطان والقوة فظهرت أمامه في صورة المرأة الضعيفة التى تحتاج لحمايته وذهبت اليه محمولة داخل سجادة .

وفي نفس الوقت ، أدركت أن انطونيو مهوور بها فتظاهرت بالقوة أمامه ورفضت أن تذهب اليه وأمرته هو بأن يحضر أولا اليها .

واستغلت كليوباترا كل قدراتها للسيطرة على القائد الرومانى الجديد والاستئثار بقلبه ونجحت في ذلك .

عاد مارك انطونيو مع كليوباترا وهو بمشاية عبد لها الى الاسكندرية وترك زوجته « فلوپيا » فى روما تتصدى لمعارضيه من أنصار أوكتافيوس ، ولم يتعامل انطونيو معها كملكة لمحمية رومانية بل كامبراطورة مستقلة ومنحها أجزاء كبيرة من سوريا ولبنان وأريحا ووعدا بأن يهبها الامبراطورية الرومانية كلها ، ونجحت خطة كليوباترا فى ان تغزو روما بواسطة الرومان أنفسهم .

واشتعلت علاقة الحب بين امبراطور روما وملكة مصر فى الاسكندرية بينما استمر الصراع على السلطة فى روما . وفى عام ٤٠ ق م عاد انطونيو الى روما وعقد اتفاق مصالحة مع اوكتافيوس وتزوج شقيقته أوكتافيا بعد ان ماتت زوجته الاولى فولفيا .

وبعد ثلاث سنوات تأكد أنطونيو أن أوكتافيا لا يمكن ان تحمل محل كليوباترا فى قلبه فعاد إلى الشرق مرة أخرى ولجأ الى كليوباترا لكي تزوده بالاموال التى يحتاجها لتمويل حملاته العسكرية وارتكب انطونيو الخطأ القاتل عندما قرر الزواج من كليوباترا لأن هذا الزواج لم يكن فقط مهينا لاوركتافيا وشقيقها فى روما بل كان أيضا زواجا باطلا وفقا للقوانين الرومانية فى ذلك الحين ولذلك اتحد الرومان جميعا ضده .

وفي عام ٣٨ ق م اعترف مارك أنطونيو بان سيزاريون ابن كليوباترا هو ابن يوليوس قيصر

وبذلك شكك في شرعية تولي أوكتافىوس لعرش روما وأطلق أنطونيوس على كليوباترا لقب ملكة الملوك وابنها سيزاريون لقب ملك الملوك .

وكان هذا أكثر من أن يتحملة أوكتافىوس فتجددت الحرب بينه وبين أنطونيوس الذى ذهب إلى اثينا مع كليوباترا استعدادا لمواجهة القوات الرومانية .

وقبل أن يتفجر القتال انسحبت كليوباترا إلى مصر بجيشها ولحق بها مارك أنطونيوس واقتفى أوكتافىوس أثرهما بقواته .

وأدركت كليوباترا أن أوكتافىوس لن يرحمها بسبب علاقتها مع مارك أنطونيوس فأمرت ببناء قبر لها قرب معبد ايزيس ووضعت فيه كل مجوهراتها وعطورها وأموالها بالإضافة إلى كميات كبيرة من المواد القابلة للاشتعال حتى إذا تأكدت من قرب سقوطها فى أيدي أوكتافىوس أشعلت النار فى نفسها وأيضا فى كنوزها لتحرم أعداها منها .

ورغم أن أوكتافىوس أرسل إليها يطمننها ويؤكد لها أنها ستلقى لديه أفضل معاملة إلا أنها قد حسمت موقفها بشكل نهائى وقررت ان تموت كملكة عظيمة .

وتقدم أوكتافىوس بقواته نحو الاسكندرية وتصدى له مارك أنطونيوس وانتصر عليه فى الجولة الأولى .. وعاد منتصرا إلى كليوباترا حيث احتفلا بالفوز بهذه الجولة .

واتفق أنطونيوس مع كليوباترا على شن هجوم برى وبحرى ضد أوكتافىوس ولكن قوات أوكتافىوس انتصرت وأدركت كليوباترا أنها راهنت على رجلين خاسرين هما يوليوس قيصر ومارك أنطونيوس .

ويقول بعض المؤرخين وخاصة من الرومان ان كليوباترا حاولت ان تتخلص من المأزق بمحاولة ثالثة مع أوكتافىوس وكانت الخطوة الأولى نحو تحقيق ذلك هى التخلص من مارك أنطونيوس .. لم تكن كليوباترا تستطيع ان تقتل أنطونيوس ولم تكن تستطيع أن تنفيه بعيدا عن مصر فقررت ان تدفعه نحو الانتحار وأن يقتل نفسه بيديه .

وبالفعل أرسلت كليوباترا بعض اتباعها لابلغ أنطونيوس أنها قتلت نفسها ولم يكده أنطونيوس يسمع ذلك حتى تفجرت بداخله كل مشاعر الحب لكليوباترا وأمر تابعه أن يقتله ويخمد الحنجر فى قلبه ولكن التابع رفض وطعن نفسه بالحنجر وسقط عند قدمي مولاة ..

وهنا صرخ أنطونيوس صرخته الشهيرة « لقد علمنى العبد والمرأة كيف يموت الشرفاء » .. وطعن نفسه وسقط على الأرض ليلفظ أنفاسه الأخيرة .

وأرسلت كليوباترا برسالة الى أوكتافىوس تطلب فيها ان تدفن الى جانب مارك أنطونيوس ويحث

أوكتافىوس رجاله لانتقاذا ولكنهم وجدوها ملقة جثة هامة على فراشها المصنوع من الذهب .  
وكانت كلبواترا قد خبات افسى فى سلة ملقة بفاكهة التبن وتسللت الالى مكدعها فلقتها  
وقضت عليها .. وأمر أوكتافىوس بدفن كلبواترا مع مارك أنطونىو تنفينا لرغبتها الأخيرة .

وكان موت كلبواترا فى يوم ٣٠ أغسطس عام ٣٠ قبل الميلاد وكان عمرها ٣٩ سنة عاشت منها  
٢٢ سنة كملكة و١١ سنة فى علاقتها مع مارك أنطونىو .

ورما يكون افضل وصف لكلبواترا هو ما ذكره المؤرخ دىوكاسىوس .. « لقد كانت  
كلبواترا إمراة لمجته فى اسر اعظم اثنين من قادة روما ولكنها دمرت نفسها بسبب قائد ثالث هو  
أوكتافىوس » .

ويرى بعض المؤرخين ان اداة التاريخ لكلبواترا ترجع إلى خطأ منهجى واضح فى دراسة  
شخصيتها .. فقد نسى الكثيرون ان كلبواترا كانت شخصية سياسية فى المقام الأول . وكانت  
السياسة فى عصرها . ولا تزال حتى الآن . هى ساحة الدماء وتغيير التحالفات من أجل تحقيق  
أهداف أى سياسى سواء كانت أهدافا شخصية أو عامة .

لذلك . وقع المؤرخون فى خطأ فادح عندما حاسبوا كلبواترا بممار المرأة العادية التى كانت  
تعيش فى ذلك العصر والتى كانت مجرد اداة للذة أو قربان يضحى به على المذابح حتى يأتى فيضان  
النيل أو حتى ترضى عنهم الالهة .

وكانت خطيئة كلبواترا من وجهة نظرهم أنها عطمت هذا الحاجز الوهمى بين المرأة وحققها المشروع  
فى ممارسة حياتها كشخصية مستقلة وقادرة على اداء دورها كملكة وكأنسانة لها مشاعرها وخطاياها  
ايضا .

ولقد أخذ الكثيرون على كلبواترا علاقتها بالقائد الرومانى مارك أنطونىو وهى العلاقة التى  
انتهت بالزواج . ولم تكن كما وصفها البعض مجرد علاقة بين ملكة مستهتره وقائد رومانى مبهور بها  
فالحقيقة المؤكدة بالشواهد والأدلة التاريخية تؤكد ان كلبواترا احبت أنطونىو بكل صدق وقررت أن  
يرحلا معا عن هذا العالم عندما تأكدت أنه لم يعد من الممكن الاستمرار فى الحياة وان أنطونىو سوف  
يقتل أو يمثل به بعد الانتصار النهائى لأوكتافىوس .

ولكن ما حدث كان يشبه كثيرا نهاية قصة روميو وجوليت التى يضرب بها المثل على النقاء  
والطهارة والحب الرومانسى . ورغم كل شئ . فقد دفعت كلبواترا ثمن طموحها الهائل وكانت لدغة  
الالى هى اخر ما احست به بعد ان ذاقته مرارة الهزيمة وقسوة الانكسار .

وهكذا كانت أشهر ملكات مصر التى وقع فى فرائدها يوليوس قيصر ومارك أنطونىو وعدد وفاة

مارك انطونيو . قررت ان تكون الى جواره وان تحمل معها كل مجوهراتها .

وعندما جاء اوكتافيوس ابلغها انه سوف يحصلها اسيرة الى روما وانه سوف يعرضها عارية امام الناس . وكان القرض من ذلك أن يدفعها الى الانتحار .

وفي يوم ١٢ أغسطس سنة ٣٠ ق م ذهبت كليوباترا الى الحمام وملأته بالحليب الدافئ . والقت به العطور ونشرت الورد . وآتت بخادوماتها بفلسن ساقبها وذارعها . وأرتدت أجمل ملابسها . وابتلعت سما وماتت . وقبل ان تموت طلبت الى خادمتها ان تأتيها بالمرأة لترى حاجبها وشفتيها ... ورات نفسها في المرأة وقبلت المرأة .

اما خادمتها فقد ابتلعت السم . وسقطت على الارض . ودخل مبعوث اوكتافيو وراى كليوباترا في جمالها الهادئ وسأل الخادمة : من الذى فعل بها ذلك ؟ فقالت الخادمة : هي يا سيدى .. مروت الملكات وفوجئ المبعوث بان الخادمة قد سقطت ميتة ١١

يقال ايضا أن كليوباترا كانت تخفى ثعبانا في انا، مجاور لها . ويقال انها تلقت سلة من الفاكهة بها ثعبان ... واقترب الثعبان والتف حول ذراعها ولدغها .. وماتت كليوباترا وهي تقول لحاشيتها : « ما دامت هذه النهاية فلماذا لا نجعلها أجمل » ١

## سميراميس ..

### عندما يتعاقب الجمال مع المجد والعظمة ١

من أجل الشخصيات النسائية فى كتاب التاريخ الملكة الاشورية سميراميس التى قيل انها كانت أجمل امرأة على وجه الأرض منذ ٧٠٠٠ عام قبل الميلاد .

وسميراميس هى ملكة آشور التى اعتلت عرش الدولة الآشورية قبل ميلاد المسيح بأكثر من ٢٠٠٠ سنة . ولقد احاطت الأساطير والخرافات بمولدها وحياتها وموتها لدرجة جعلتها من أشهر ملكات التاريخ . وقد شكك عدد كبير من المؤرخين فى حقيقة وجودها واعتبروها مجرد أسطورة رغم وجود بعض الشواهد والآثار التى تشير إلى انها كانت شخصية حقيقية .

وقصة حياة سميراميس نقلت معظم تفاصيلها من الملاحم والحكايات الشعبية التى يرددها الرواة والتى زعمت أن أمها كانت إحدى الربيات فى عصر عبادة الأوثان . وأن الام هجرت ابنتها فى الصحراء بعد ولادتها حيث تولت أسراب الحمام البرى اطعامها بالفواكه والحبوب ووفقا لما تقوله الأساطير . عاشت الطفلة الصغيرة لمدة عام كامل فى الصحراء تحت رعاية الحمام حتى عثر عليها احد الرعاة وكان اسمه سميراميس فاطلق عليها اسمه وتبناها وقام بتربيتها . وتشير هذه الاساطير إلى أن مولد سميراميس كان فى منطقة عسقلان التى كانت من اعمال سوريا فى ذلك الحين .

إلى هنا والحديث عن سميراميس يظل أقرب إلى الخرافة منه للحقيقة وخلال المراحل التالية تبدأ قصة حياتها تأخذ مجراها الواقعى لتجعل منها شخصية تاريخية حقيقية .

بلغت سميراميس مرحلة الصبا والشباب وكانت فائقة الجمال والفتنة واكتسبت قوة الشخصية والذكاء من حياة الرعاة وانطلاقها فى الصحراء دون قيود .

وذات يوم وقعت عليها عينا منونيس حاكم مدينة نينوى اثناء تجواله فى ربوع سوريا فبهره جمالها وعندما تحدث اليها ازداد اعجابه بها بعد ان لمس ذكائها وادرك انها ليست مجرد فتاة جميلة فقط بل تتمتع ايضا بشخصية قوية وذكاء ملحوظ .

وهكذا تزوج الحاكم منونيس من سميراميس وعاش معها سنوات من السعادة والهناء .

فى ذلك الحين كان ملك آشور هو الملك نينوس الذى أقام مملكة قوية واخضع معظم بلدان آسيا لسلطانه .

وقد شيد الملك نينوس مدينة « نينوى » على شاطئ نهر دجلة وأقام حولها سوراً مرتفعاً لحمايتها من هجمات الأعداء . وفوق هذا السور شيد القنا وخمسائة من الأبراج العسكرية ارتفاع الواحد منها ١٠٠ قدم .

وقد خاض الملك نينوس معركة كبرى مع إحدى الممالك القديمة وهي مملكة البكترة وحاصر عاصمتها ولكنه لم يستطع اقتحامها .

ولما كان معزولاً عن سميراميس الذكاء والحكمة فقد طلب منها زوجها - وهو أحد رجال الملك منونيس - مشورتها في كيفية اقتحام العاصمة .

وأمام الملك منونيس ، طرحت سميراميس خطة محكمة للهجوم وقادت بنفسها مجموعة صغيرة من الجنود المدربين على تسلق الأسوار وهاجمت القلعة الرئيسية أو مقر قيادة الأعداء واستولت عليه . وبذلك انتهت المعركة لصالح القوات الآشورية .

وقد أعجب الملك نينوس بشدة بجرأة هذه المرأة وجمالها الفائق فقرر الزواج منها ولكن هناك عقبة تعترض رغبته وهي أن سميراميس زوجة لأحد كبار مستشاريه وهو منونيس حاكم مدينة نينوى .

واستدعى الملك مستشاره منونيس وطلب منه صراحة التخلي عن زوجته سميراميس لأنه يريد أن يتزوجها لتجلس بجانبه على عرش مملكة آشور . وكان هذا النبأ صدمة هائلة للزوج الذي يحب زوجته سميراميس بقوة . ووجد نفسه في موقف بالغ الصعوبة فهو لا يستطيع التخلي عنها وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يعصى أمر الملك نينوس .

وقد حاول الملك نينوس تخفيف وقع الكارثة على مستشاره فعرض عليه أن يزوجه من ابنته مقابل أن يتخلى عن سميراميس ، ولكن ذلك لم يقنع الزوج بالاقترام على هذه الخطوة .

وفي النهاية ، كان الحل الوحيد ، أمام الزوج هو التخلص من حياته فانتحر وبموته أصبح الطريق ممهداً أمام الملك للزواج من سميراميس .

وهكذا ، جلست سميراميس على العرش بجانب الملك نينوس الذي أحب منها ابناً أطلق عليه اسم نيناس وبعد سنوات مات الملك وكان ابنه مازال طفلاً فتولت سميراميس الحكم وجلست وحدها على العرش .

وتشير بعض الروايات التاريخية غير المؤكدة إلى أن سميراميس هي التي قتلت زوجها نينوس وذلك من خلال حيلة مكررة لجأت إليها وكانت بالفعل وسيلة فريدة وفؤجياً لم يتكرر للاستيلاء على السلطة .

فقد قبل أن سميراميس انتهزت فرصة حب زوجها الشديد لها وطلبت منه أن يمنحها السلطة

الكاملة لإدارة شئون البلاد لمدة خمسة أيام فقط على سبيل التجربة وأكدت له أنها تعلم بأن تحكم لأيام قليلة وبعد العرش سيعود إليه مرة أخرى بعد مرور الأيام الخمسة .

واعتبر الملك نينوس أن هذه هي إحدى نزوات المرأة وأن المسألة كلها مجرد دعاية فوافق بالفعل وأصدر أوامره إلى قادة الجيش وحكام الولايات في الدولة بإطاعة أوامر سميراميس وتنفيذها فوراً باعتبارها أوامر ملكية مهما كانت هذه الأوامر .

وتحولت اللعبة إلى حقيقة واقعة . وكان أول أمر أصدرته سميراميس هو سجن زوجها نينوس ثم إعدامه وليست تاج الملك وأعلنت نفسها ملكة والغريب أن سميراميس أمرت بعد ذلك بتشديد عقوبة فاختار زوجها الملك نينوس وأغلقت بذلك صفحة حكمه وبدأت صفحة جديدة عملت بكل جهدها على أن تكون مليئة بالامجاد والأعمال العظيمة .

كان الهدف الأساسي أمام سميراميس هو أن تثبت لرعيته أنها أفضل من كل الملوك السابقين وخاصة زوجها الراحل الملك نينوس . ولذلك قررت بناء مدينة عظيمة هي مدينة بابل التي اشترك في بنائها مليوناً عاملاً وشيدت فيها البروج والقلاع والجسور والمعابد التي كانت نموذجاً للمعظمة والبذخ والمجد .

وهي إطار جهود سميراميس لتخلد اسمها كملكة عظيمة أمرت بفتح الطرق وإقامة القصور التي نقشت على جدرانها المنجزات التي تحققت في عهدها واتسع نطاق مملكة آشور تحت حكم سميراميس التي قالت عن نفسها :

« لقد البستني الطبيعة ثوب امرأة ولكن أعمالي فاقت أعمال أشجع الرجال » .. وكما تميز حكم سميراميس بالبناء والانجاز فقد تميز أيضاً بقدرتها الفائقة على إدارة شئون المملكة بحزم وقوة لم يسبق للعالم أن رآها في مثل هذه المرحلة المبكرة من التاريخ .

ف ذات يوم علمت سميراميس بوجود اضطرابات قرب القصر الذي كانت تقيم فيه وقد بلغها هذا النبأ وهي تقوم بعمل زينتها فاندفعت فوراً إلى موقع الفتنة دون حتى أن تستكمل تصفيف شعرها وواجهت المتآمرين بجرأة وتحديث معهم حتى تمكنت من السيطرة على الموقف وعادت بعد ذلك إلى القصر لتستكمل زينتها في هدوء .

وكان الانجاز الأكبر الذي تسعى سميراميس إلى تحقيقه هو غزو الهند وضمها إلى ممتلكات الدولة الآشورية وكان دافعها الأساسي لذلك هو إدراكها أن جميع ملوك آشور السابقين قد عجزوا عن تحقيق هذا الانجاز .

ولم تتردد سميراميس فجهزت جيشاً هائلاً لغزو الهند ، وكانت كل المحاولات السابقة لتحقيق هذا

الهدف قد فشلت بسبب الاعداء الهائلة من القبلة التي كان الهنود يستخدمونها في الحرب . وكانت هذه القبلة بمثابة سلاح المبرعات في الحروب الحديثة .

ومن اجل التغلب على هذه المشكلة ، لجأت سميراميس الى الحيلة فاصدرت أوامرها بتغطية مائة ألف رجل بجلود الثيران السوداء حتى تبدو وكأنها مائة ألف فيل وجعلت كل محارب يحتل واحدًا منها . وتقدمت قوات سميراميس في اتجاه الهند التي ارسل امبراطورها برسول الى ملكة آشور يسألها من تكون حتى تهاجم بلاده ويهددها بالهزيمة وكان رد سميراميس على رسول امبراطور الهند بسيطاً حيث قالت له .. اذهب الى ملكك وابلغه اني سأخبره بنفسى من أكون ولماذا جئت الى الهند ..

وفي اول موقعة بين الجيشين حققت قوات سميراميس نصراً كبيراً واسرت مائة ألف من الجنود واغرقت ألف مركب لهم في نهر الهندوس .

اضطر جيش الهنود الى التراجع ولكنه اكتشف حيلة القبلة الكاذبة فعاد الهجوم وأصبحت سميراميس التي كانت تقود جيشها بسهم وأمرت قواتها بالتراجع ولحسن حظ سميراميس لم يطاردها ملك الهند بقواته لأن كهنته حذروه من ذلك وانتهت هذه الحرب بالصلح بين الجانبين وعودة سميراميس الى مملكتها بعد أن فقدت ثلثي جيشها .

وقبل ان تصل سميراميس الى آشور تأمر ابنها نيناس صدها واستولى على الحكم وكان المنجمون قد ابلغوها بأن ذلك سيكون علامة على قرب موتها فتنازلت عن العرش لابنتها وتردد انها قتلت نفسها ليكتب لها الخلود وترتفع لمصاف الآلهة كما قالت لها البومات .

وتعود قصة سميراميس الى الأسطورة مرة أخرى في هذه المرحلة الأخيرة من حياتها حيث ذكرت الأساطير أنها تحولت إلى حمامة ولذلك كان الآشوريون يقدسون الحمام .

ولقد استمر حكم سميراميس قرابة ٤٢ عاماً وتشير المراجع التاريخية الى أن موتها كان في عام ٢٠٦٩ قبل الميلاد . وما ساعد في انتشار الأساطير حول حياتها وموتها عدم العثور على قبرها وان كانت هناك شواهد عديدة تؤكد الكثير من الأحداث التي رددتها الحكايات الشعبية عن حياة هذه الملكة رغم ما فيها من مبالغات تصل أحيانا الى درجة الخرافة .

## الملكة حتشبسوت ..

### إمرأة على عرش الفراعنة !

قبل أن يبرز فجر التاريخ ، بينما كان العالم يغط في سبات التخلف ويبحث فيما إذا كانت المرأة تمسيدا للشيطان أم روحا شريفة حلت كلجنة على الأرض . شهد وادى النيل مولد ملكة عظيمة استطاعت أن تحول سنوات حكمها الى مرحلة رائعة من مراحل الرخاء والاستقرار والسلام في التاريخ الفرعوني القديم ..

فقد أدركت هذه الملكة . في هذا الوقت المبكر من مسيرة الحضارة الإنسانية ، المغزى الحقيقي لمسئولية الحكم .. ورغم التحديات العديدة التي واجهتها إلا أنها نجحت في أن تقارص دورها وأن تحقق لمصر الفرعونية مكانتها المرموقة .. وعندما التحد ضدها كهنة آمون والنهلاء وقادة الجيش وضعت نصب عينيها مصلحة البلاد وتجردت من ذاتيتها لتضرب أول الأمثلة على التجرد والموضوعية والتضحية .. واستحققت هذه الملكة مكانتها البارزة في كتاب التاريخ وهي المكانة التي ما زالت حتى الآن خاصة بها وحدها ولا يوجد فيها سوى اسم الملكة الفرعونية : حتشبسوت .

وحشبسوت هي بلا شك أول ملكة عظيمة في تاريخ الإنسانية .. فبغض ان تردد احتمال توليها لعرش مصر الفرعونية بدأت التحديات تواجهها على كل المستويات واستمرت هذه التحديات حتى نهاية حكمها عندما تغلّت عن العرش طائفة مختارة من أجل مصلحة بلادها رغم أنها كانت صاحبة الحق الشرعي في الحكم ..

كان التحدي الأول هو أنها امرأة وبالتالي فليس من المعقول أن تجلس على عرش مصر لأن الجالس على هذا العرش كان هو الذي يقود الجيوش ضد الاعداء وهو ايضا الذي يعتبره المصريون القدماء آلهة يحكمهم في حياته ويمددونه بعد موته .

وكان التحدي الثاني هو تأمر الاشراف والنهلاء ضدها مستغلين حقيقة انها امرأة ومحاولين سلب العرش من السلالة الفرعونية الحاكمة .

والتحدي الثالث هو مطامع الغزاة في مصر وانتهازهم لفرصة تولي امرأة لحكم المملكة الفرعونية معتقدين ان الفرصة قد حانت لتنفيذ اطماعهم الشريرة التي لولا حكمة حتشبسوت وحبها لبلادها لكان من الممكن ان تحقق ..

بدأت قصة حتشبسوت قبل حوالي ٢٠٠٠ عام من مولد المسيح .. فخلال هذه المرحلة دخل ملوك الفراعنة سلسلة هائلة من الحروب ضد الغزاة الذين حاولوا احتلال اجزاء من المملكة المصرية وهددوا اراضي مصر .. ولقد جاء هؤلاء .. كما يحدث دائما عند اية محاولة لغزو مصر - من هوايتها الشرقية المطلقة على قارة آسيا ، وكان من بينهم جماعات الهكسوس والآسيويين .. ولقد كان من أهم تقاليد ملوك الفراعنة قيادة جيوش مصر بأنفسهم وأن يكون على رأس كل فرقة من الجيش احد ابناء الاسرة الفرعونية المالكة ونظرا لكثرة الحروب والمعارك راح الكثيرون من أمراء الفراعنة ضحايا .. وعندما جاء النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد .. وبالتحديد في بداية عصر الاسرة الثامنة عشرة بات من الواضح ان عدد الأمهات الفرعونيات أصبح يتجاوز عدد الأمراء ..

وكان قديما المصريين يحرصون على ان يكون الفرعون من سلالة ملكية اصيلة تسمى في عروقه دماء « رع » اله الشمس المقدسة ووصل هذا المعتقد الى درجة تزواج الاشقاء والشقيقات من ابناء وبنات الأسر الفرعونية المالكة بهدف الحفاظ على الدماء المقدسة النقية ..

وعندما حدث هذا الخلط في التوازن بين عدد الأمراء والأمهات أصبح من الممكن للأميرة الزواج بطرف آخر من عامة الشعب بشرط أن يظل العرش من حقها .. وبدأ قواد الجيش والنبلاء يتنافسون على الزواج من الأمهات وكان من ابرز القواد الذين نجحوا في هذا المسعى تحتمس الأول الذي تزوج من الأميرة « يهس » ونتيجة لهذا الزواج أصبح تحتمس الأول فرعونا ..

ولقد بذل تحتمس الأول جهودا هائلة في محاربة الغزاة الآسيويين الذين يطاردونهم حتى بلادهم ونجح في تأمين حدود المملكة المصرية وفرض الطاعة والولاء على المناطق التي كانت خاضعة لها ..

وانجب تحتمس الأول بنتا واحدة من زوجته « يهس » وكانت هذه البنت هي حتشبسوت الى جانب ولدين لم يطل بهما العمر وماتا في مرحلة الطفولة ..

وكان من عادة أي فرعون أن يكون له عدد من العشيقات أو المحظيات ومن أحدهن أنجب تحتمس الأول ابنا أطلق عليه اسم تحتمس الثاني ..

وبعد ٥٠ عاما من زواج تحتمس الأول والأميرة « يهس » ماتت الاميرة وفقد تحتمس حقه في البقاء على العرش بعد ان انتهت صلته بالأسرة الفرعونية المقدسة بوفاة زوجته ..

وتوجه كهنة آمون الى تحتمس وطلبوا منه النزول عن العرش ..

ولأول وهلة فكر تحتمس في التخلي عن العرش لابتنته حتشبسوت باعتبارها ملكة شرعية تسمى في عروقتها دماء من خلال أمها « يهس » وكانت المشكلة التي تواجه هذا الخبر هي أن تولى امرأة لعرش مصر كان أمرا مرفوضا من جانب الكهنة والشعب ..

وكان النهار الثانى هو ان يعلن ابنه غير الشرعى ، تحتسب الثانى ، ملكا على مصر وكان ذلك أيضا سيفجر عاصفة هائلة لان هذا الابن غير الشرعى لا يمكن ان يكون فرعونا خاصة أنه لا تربطه أية علاقة بالنماء المقدسة .

وكان تحتسبوت فى هذا الجدل مؤيدون ومعارضون .. مؤيدوها يرون أنها رغم كونها امرأة الا أنها عرفت بذكائها وبراعتها فى فنون القتال ومعرفتها الواسعة . كل ذلك الى جانب أنها سلبية آمنون رح ..

أما معارضو تحتسبوت فكان رأيهم أن مستقبل مصر أهم من الحفاظ على نقاء سلالة ملوك الفراعنة وان الفرعون يجب ان يكون رجلا ولو كان مثل تحتسب الثانى صغير السن ولا يتسم بالشجاعة ويهتم فقط بحياة الترف والملذات .

واندفعت الأميرة تحتسبوت الى مجلس كبار رجال الدولة وقالت انها صاحبة الحق فى تولي العرش وأنها تستطيع الاعتماد على قادة الجيوش فى اداء المهام التى تعجز عنها رغم اعتقادها بأنها لن تعجز عن عمل شئ بسبب كونها امرأة وأنها قادرة على القيام بكل مهام الفرعون .. ولكى تؤكد تحتسبوت وجهة نظرها ارتدت ملابس قادة الجيش وخلعت ملابس النساء ولكن ذلك لم يحسم الموقف لصالحها .

ووجد تحتسب الأول أن الحل الوحيد يكمن فى الجمع بين الخيارين من خلال تزويج الأميرة تحتسبوت بتحتسب الثانى وقال ان هدفه من ذلك هو ان يكون للعرش نسل مقدس حتى لا تعود هذه المشكلة مرة أخرى .

ورغم انقسام رأى العام تجاه هذا الحل بين مؤيدى تحتسبوت ومؤيدى تحتسب الثانى الا ان ارادة الفرعون تحققت وتم الزواج بين سلبية الفراعنة تحتسبوت وابن السفاح تحتسب الثانى واصبحت مقاليد الحكم فى يد تحتسبوت خاصة بعد أن تركزت اهتمامات تحتسب الثانى على ملذاته .

وقررت تحتسبوت ان تغير اسمها من حاتشويسو « ومعناها أجمل المحظيات أو الجارية الأولى الى « حاتشويسو » ومعناها أعظم النبلاء .

واعترزل تحتسب الاول الحكم وبدأت تحتسبوت حكمها بالعمل الجاد فحققت نهضة هائلة فى مجالات الحياة بمصر القديمة .. شقت الترع والقنوات ونامشت التجارة وأقامت الصناعات .. وبعد عام ونصف العام من توليها العرش كان الاستقرار والسلام يرفرف على ربوع وادى النيل وكافة بقاع المملكة المصرية القديمة .

وكما كان متوقعا ، بدأت مشكلات تحتسبوت مع الخطر الخارجى .. فتفجرت حركات انفصالية فى المستعمرات التابعة لمصر وتحالف الاعداء للاتقاض على المملكة المصرية وتساعدت حدة

الانتقادات الداخلية ضد حتشبسوت تتهمةا بأنها أهملت شئون الجيش وبأنها تعرض البلاد لخطر الغزو الأجنبي .

وهنا تدخل الفرعون العجوز تحتمس الأول فخرج من عزلته ورغم كبر سنه تقدم لقيادة جيش مصر واندفع الى المناطق الآسيوية التي كانت تتجمع فيها سحب الخطر وتقدم حتى بلاد النهرين واجتاز نهر الفرات وعاد بالغنائم والأسلاب .

وكانت هذه التجربة كفيلا بأسكات أصوات مؤيدي الملكة بعد أن ثبت بالدليل العملي أن جيوش مصر تحتاج لقائد رجل .. وانتهز تحتمس الأول الفرصة وأعلن أن ابنته تحتمس الثانية أصبحت شريكاً في العرش مع الملكة حتشبسوت .

ورغم أن تحتمس الثانية كان ضعيفاً في القيادة والحرب إلا أن حتشبسوت لم تستطع أن تعارض إياها القائد المنتصر فخضعت لأوامره وقبلت أن تقسم العرش مع زوجها تحتمس الثانية .. وعندما مات تحتمس الأول بات واضحاً أن تحتمس الثانية لا يرغب في تحمل مسئوليات الحكم وأن كل ما يهمه هو نزواته وحياة البذخ والمجون مع خليلته « اليست » التي أعجب منها ابنها غير شرعى هو تحتمس الثالث إلى جانب ابنتيه من زوجته الملكة وهما نفرويس وحتشبسوت الصغرى .

وفي ذلك الحين ، حدث تمرد في المناطق الصحراوية الخاضعة لمصر وتوجه تحتمس الثانية على رأس قواته لقمع التمرد ولكن حشرة سامة لدغته ومات .

وتولت حتشبسوت بعد ذلك العرش وحدها والتفتت مرة أخرى إلى الأمور الداخلية وشهدت مصر مرحلة جديدة من الاستقرار والرخاء .

وكبر تحتمس الثالث ودخل طور الرجولة وبدأ يطالب بحقه في العرش باعتباره ابناً للفرعون تحتمس الثانية ورغم أنه لم يكن ابناً شرعياً .

وفي نفس الوقت بدأ كهنة آمون يتآمرون على الملكة حتشبسوت لأن عهد السلام الذي عاشته مصر تحت حكمها لم يكن يروق لهم .. فقد كانت الغنائم التي تفوز بها الجيوش يرسل معظمها إلى المعبد حيث يستولى عليها الكهنة وعندما ساد السلام ولم تعد هناك حروب أدرك الكهنة أن خسارتهم ستكون فادحة .. وانضم هؤلاء الكهنة إلى تحتمس الثالث يعرضونه على المطالبة بحقه في العرش وعادوا مرة أخرى يرددون مقولة أنه من العار أن يجلس امرأة على عرش مصر .

واستكمالاً لحيلولة المؤامرة لجأ كهنة آمون إلى ادعاء حدوث معجزة لتحتمس حتى يقبله المصريون فرعوناً لهم ... وقالوا أن آمون رع ظهر له واختاره فرعوناً لمصر .

واستناداً على هذه المعجزة الكاذبة الملفقة دخل تحتمس الثالث في مواجهة مع الملكة حتشبسوت

وطالبها بالتخلي تماما عن العرش لأن هذه ارادة آمون رع الذى يريد رجلا على عرش مصر بقود جيوشها للتصدى للغزاة ويوسع حدودها .. وحاولت حتشبسوت اللجوء للحيلة من أجل احتواء تحتمس الثالث فأظهرت له العطف ونجحت بالفعل فى السيطرة عليه ولكنه عندما التقى مرة أخرى بكهنة آمون أوغروا صدره عليها ثابة وقالوا له أنها ساحرة ستخلب عقله وتلهيه عن مهنته المقدسة التى كلفه بها آمون .. وفى هذه الاثناء تفجرت الفتنة فى بلاد كوش وكانت الملكة حتشبسوت قد تقدمت كثيرا فى السن وثار قادة الجيش مطالبين بالتحرك لتأديب العصاة .

وخشيت حتشبسوت ان يذهب تحتمس الثالث على رأس جيش مصر الى كوش فيعود منتصرا ويخلعها من العرش بعد أن يحظى بتأييد قادة الجيش ضدها .. وفى نفس الوقت لم تكن تستطيع تحمل مسئولية خروج مستعمرة كوش عن السيطرة المصرية .. وقال لها مستشاروها انه من الافضل ضباغ مستعمره من مصر على أن يضيق العرش منها وأوصوها باعتقال تحتمس الثالث الذى أصبح تهديده للعرش أكبر من أن يحتمل .

وتوصلت حتشبسوت الى الحل وهو أن تزوج تحتمس الثالث من ابنتها نفرو رع ويصبح بذلك شريكا فى الملك بشرط الا يذهب لمعاينة الكوشيين ووافق تحتمس الثالث على هذا الحل وأصبح شريكا فى عرش مصر .

وأدى تساهل حتشبسوت مع قرد الكوشيين الى اندلاع سلسلة من اعمال العصيان والانفصال فى معظم أرجاء المملكة المصرية . ولم تستطع حتشبسوت مواجهة ضغوط قادة الجيش بأن يتحركوا فوراً تحت قيادة تحتمس الثالث لقمع التمرد والعصيان .. واوصى المستشارون حتشبسوت بقتل تحتمس الثالث حتى ينتهى تهديده بالانفراد بالعرش ولكنها رفضت ذلك .. وكان معنى رفضها ارسال الجيش الى المستعمرات لتأديب العصاة هو انفجار ثورة داخلية فى مصر لا يعلم احد مداها ..

وهنا يتجلى أحد أعظم مواقف الملكة حتشبسوت عندما استدعت تحتمس الثالث وطلبت منه ان يقود الجيوش المصرية لانهاء التمرد فى المستعمرات .. ويكل وقاحة اجابها تحتمس الثالث قائلاً : « لقد انقضى عهدك الذى يتسم بالافعال والانتصارات » ..

وطلب منها تحتمس صراحة ان تتخلى له عن العرش لينفرد وحده بالحكم .. وكان هذا بمثابة شرط من جانبه ليقود الجيش وينقذ المملكة .

ونظرت حتشبسوت حولها فوجدت الكهنة وقادة الجيش يتفنون وراء تحتمس الثالث وادركت ان الحكمة تقتضى منها الاستسلام لانقاذ البلاد من خطر تفجر حرب أهلية فقالت آخر كلماتها كملكة لمصر .. « انى اتنازل لك عن العرش اذا كان هذا هو الثمن الذى تطلبه لانقاذ البلاد » ..

## شجرة الدر ..

### اندفعت نحو السلطة فاحتقرت بنارها !

هناك البعض الذين تستهويهم وتثيرهم فلسفة القوة ولجلبهم دائرة السلطة كما تجلب النار الفراشات فتندفع اليها تلقائيا وتسعد كلما اقتربت منها حتى تحترق بها في النهاية .. ومن هؤلاء كانت الملكة شجرة الدر أول ملكة مسلمة في التاريخ .

عبر ثلاثة قرون ميلادية هي الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر تعرض الشرق العربى الإسلامى لتلك الحملات العنصرية البغيضة التى رفعت الصليب شعارا لها حتى تغطى به على اهدافها الاستعمارية واطماعها التوسعية .. وفى ذلك الحين ، كانت الكنيسة فى أوروبا هى صاحبة الكلمة العليا التى يبذل جميع الملوك والأمراء كل ما فى وسعهم لارضائها والتقت النزعات التوسعية للحكام الأوروبيين مع تعصب وعنصرية بعض قادة الكنيسة وأسفر هذا اللقاء عن مخطط وهيب هدفه المعلن هو بيت المقدس ونيته الحقيقية هى احتلال الشرق العربى والتمهيد لهيمنة الغرب على العالم بأسره واجتاحت البلدان الأوروبية حتى العنصرية المقيته فحشدت الجيوش وجمعت التبرعات وأصبح الاستيلاء على بيت المقدس هو الهدف الذى اتفق عليه الملوك والأمراء الأوروبيون برغم الصراعات التى كانت بينهم والتحالفات التى كانت تميز علاقاتهم .

ولأسباب موضوعية . لم تكن مهمتهم يسيرة ، فقد كان هناك قدر من التوحد بين العرب المسلمين وكان هذا القدر كفيلا بالحقاق هزيمة تاريخية فادحة بالصليبيين فى حطين وذاق ريتشارد قلب الاسد مرارة الهزيمة على يد صلاح الدين الأيوبي الذى وحد مصر والشام للدفاع عن شرف العروبة والإسلام .

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي تولى حكم الدولة الأيوبية شقيقه الملك العادل ثم الملك الكامل الذى قسم الحكم بين ولديه العادل سيف الدولة فى مصر والصالح نجم الدين ايوب فى الشام .

وهنا بدأ دور شجرة الدر على مسرح الأحداث فى مرحلة بالغة الأهمية والخطورة من التاريخ العربى والإسلامى .

كانت شجرة الدر جارية فى حريم الصالح نجم الدين ايوب الملك السابح فى حكومة الدولة الأيوبية .

لم تكن جارية عادية تهدف الى مجرد الترفيه عن مليكها وتكتفى بدور المحظية المقرية إلى قلبه بل كانت امرأة ذات طموحات هائلة تؤمن ان الطريق لهذا أمامها للقيام بدور تاريخي لم يسبق لامرأة أن قامت به منذ ظهور الإسلام . ولقت شجرة الدر نظر الصالح نجم الدين أيوب بعقلها الراجح ومنطقها القوي وحكمتها الواضحة فتزوج منها وانتقلت بذلك خطوة هائلة على درب تحقيق حلمها .

وبادرت شجرة الدر بمحاولة اقناع زوجها بضرورة تولي حكم الشام ومصر للملك الكامل وان شقيقه سيف الدولة ليس من حقه الاستقلال بحكم مصر .

وهكذا . بدأت على الفور في اتخاذ الاجراءات العملية لتحقيق هذا الهدف .. فالتصفت بالماليك في مصر الذين كانوا يشعرون بالاستياء من سيف الدولة ويتهمون به محاولة الحد من نفوذهم .

وبعد فترة قصيرة هاجم اتباع نجم الدين أيوب وشجرة الدر قصر سيف الدولة الذي هرب ولكنهم لحقوا به وتم اعتقاله في سجن قلعة الجبل بالقاهرة حيث ظل هناك حتى مات في الاسر وأصبح نجم الدين أيوب ملكا على مصر والشام معا في ٦٣٧ م .

وكانت الاقدار تعد المزيد من الاحداث الجسام للملك الصالح وزوجته شجرة الدر فلم يمر وقت طويل حتى بدأ الصليبيون حملة جديدة على مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا .

وكان لويس التاسع قد تمكن من حشد جيش هائل قوامه ٥٠ ألف جندي ومائتى سفينة حربية وتوجه إلى سواحل مصر عند دمياط وبعد معارك ضارية في البر والبحر سقطت دمياط في ايدى الصليبيين .

وفي تلك الفترة أصيب الملك الصالح نجم الدين أيوب بمرض السل ووافته المنية قرب مدينة المنصورة في مصر وهنا تجلت وباطة جأش شجرة الدر التي استطاعت ان تتغلب على مشاعرها وأدركت أن موت الملك في هذه المرحلة المرحلة ربما يؤدي الى انهيار الجيش وسقوط الدولة .

وكان قرارها الحاسم هو عدم اعلان نيا وفاة الملك الصالح واستمرت تصدر الأوامر المكتوبة باسمه وتحرص على استمرار حضور الاطباء الى مقر قيادته وكأنه ما زال مريضا وعلى قيد الحياة .

وفي نفس الوقت ، ارسلت لاستدعاء توران شاه ابن الملك الصالح من زوجة أخرى من بلاد القوقاز باعتباره الوريث الشرعي لعرش أبيه وقبل حضور توران شاه كانت حريصة على التمهيد لحكمه من خلال الدعاء له على المنابر بجانب اسم والده .

وفي نفس يوم وصول توران شاه الى الصالحية اعلن موت الملك الصالح نجم الدين أيوب . كان توران شاه ملكا مستبدا وحاكما مغرورا فكرهته الرعية بعد ٤٠ يوما من توليه الحكم وأعلن الماليك البحرية عدوانهم له وأقصموا على الانتقام منه .

وبالاضافة الى ذلك ، أثبتت الاحداث أن توران شاه كان ملكا غبيا أيضا ، ففي نفس الوقت الذي

بدأت فيه المواجهة بينه وبين الماليك دخل في صراع مع المرأة التي سلمته العرش فتحدى شجرة الدر وأهانها وأرسل إليها يطلب منها أن تسلمه أموال أبيه ولم يقنع بردها عندما أبلغته أنها أنفقت هذه الأموال في الجهاد المقدس ضد الصليبيين .

واشتد غضب شجرة الدر من هذا الملك المفلوج توران شاه الذي مهدت له سبيل الحكم فقابل ذلك بالانتصارات لسناس خصومها الذين كانوا يشعلون النار في صدره قائلين له : إن الملك والقوة في يد شجرة الدر وأنت مجرد واجهة للحكم وغوذج للعجز والضعف .

ونسى توران شاه الدور الذي قامت به شجرة الدر في التصدي للصليبيين والانتصار الذي حققته الجيوش المصرية بقيادة ركن الدين بيبرس على قوات لويس التاسع قبل وصوله . وكانت المعركة مع الصليبيين قد استمرت بعد ذلك بقيادة توران شاه وانتهت باستسلام لويس التاسع وأسرته مع قادة جيشه في دار القاضي فخر الدين المعروفة بدار ابن لقمان . ولقد لعب هذا الانتصار برأس توران شاه وظهر ذلك واضحا في تنكره لزوجة أبيه شجرة الدر .

ولم تكن شجرة الدر صيدا سهلا فهي امرأة عاشت عمرها في بلاط الملك وتعرف جيدا أبعاد لعبة القوى فقررت أن الوقت قد حان لمواجهة توران شاه وانتزاع عنصر المبادرة من بين يديه .

وهكذا ، دعمت شجرة الدر اتصالاتها بأعدائه من الماليك البحرية الذين قتلوا توران شاه بعد ٧٠ يوما من توليه الحكم .

وموت توران شاه انقضت دولة بني أيوب من مصر .

واجتمع الماليك وقرروا بإجماع الآراء ، أن تتولى شجرة الدر العرش باسم الملكة عصمة الدين واقسموا لها بحسن الولاء وتولى عز الدين أيبك التركماني قيادة الجيش . وانتقلت شجرة الدر من قصرها على النيل في سراي المنيل إلى القلعة التي بناها صلاح الدين الأيوبي حيث مارست من هناك مهام الحكم .

واتخذت شجرة الدر قرار حكيما لدعم موقفها بين الماليك وضمان ولائهم فعينت عز الدين أيبك رئيسا للوزراء وكان رجلا شجاعا يعرف كيف يستولى على قلوب الشعب وينال ثقة العامة وسيطر على الماليك .

وكان الخطباء يخطبون في يوم الجمعة باسم شجرة الدر ويدعون لها على المنابر قائلين « احفظ اللهم الجبهة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحجاب الجميل والستر الجليل والدة المرحوم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب » .

وضربت النقود باسم شجرة الدر ونقش على أحد وجهي العملة « بسم الله الرحمن الرحيم » وعلى

الرجه الآخر .. « المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والددة منصور خليل الخليفة امير المؤمنين » .. وكانت توقع المراسم باسم « أم خليل » وهى التى استحدثت بدعة المحمل الشريف وخلال حكمها سافر أول محمل فى الإسلام من مصر إلى الحرمين الشريفين .

وبينما كان حكم شجرة الدر فى طريقه إلى الاستقرار بدأت تواجه سلسلة من التحديات الخطيرة . مثل أنصار توران شاه الذين قروا إلى الشام وأخذوا يثيرون الفتن والدسائس ويحرضون الشعب عليها .

والأخطر من ذلك . ان أعداء شجرة الدر أخذوا يستثيرون حمية المماليك من خلال ارسال الرسائل معربين عن استعدادهم لارسال رجل إلى مصر لتولى الحكم اذا كانت مصر قد عذمت الرجال ..

واتت هذه الحرب بشعارها ولكن شجرة الدر لم تكن من ذلك الطراز الذى يمكن القضاء عليه بسهولة فواجهت الازمة بعقل مستدير مدرك لاهماد الموقف ومستعد للتعامل مع حقائق الواقع رغم انها لم ترتكب أى عمل يمس للإسلام والمسلمين .

وعقدت شجرة الدر مجلسا لكبار رجال الدولة واستشارتهم فى الأمر وكان رأيهم بالاجماع هو ان تترك زمام الادارة لعز الدين أبلهك وأن يعقد قرانه عليها عقب تنصيبه الحكم ونزلت شجرة الدر عن الملك بعد ان حكمت ٨٠ يوما وحدها وارسلت الرسائل إلى الخليفة المستعصم بالله . لاهلاغه بهذه القرارات وكان ذلك فى عام ٦٤٨ هـ .

ويقول بعض المؤرخين ان الضغوط التى تعرضت لها شجرة الدر حتى تتنازل عن العرش لم يكن سببها الوحيد هو انها امرأة أو أن الإسلام لا يجيز تولى المرأة للحكم .

فالهدف الوحيد لهذه الضغوط كان هو السلطة والرغبة فى ازاحة هذه المرأة القوية التى حظيت بحب الشعب وقللت من الضرائب ولجأت إلى الشورى وتجاهلت منهج الاستبداد وعملت على المصالحة وتهذبة الامور فى البلاد .

وكان الطامعون فى السلطة كثيرين وعلى رأسهم انصار الدولة الايوبية فى الشام وحتى المماليك الذين كانوا حلفاء لشجرة الدر .

فالايوبيون اتهموا شجرة الدر بأنها هى التى قضت على دولتهم فى مصر والمماليك كانوا يمتقنون أنهم هم الذين أوصلوها إلى العرش وبالتالي فعليها ان تحكم باسمهم وبأن تكون مجرد واجهة للحكم .

ولما اتضح ان شجرة الدر استطاعت أن تقوم بواجبها كملكة حقيقية ترفض أن تكون مجرد دمية كان من الضرورى الاطاحة بها من خلال الثفرة الوحيدة التى يستطيعون النفاذ منها اليها وهى انها

امراة لا يجوز لها شرعا ان تحكم ١١

والدليل على ذلك ان عرش شجرة الدر قد تم تقسيمه بين المماليك ممثلين فى عز الدين أيبك الذى تزوجها والابوييين الذين شاركوا فى الحكم من خلال الأمير الصغير موسى الاشرف الذى تقرو ان يكون شريكا فى الحكم .

ورغم أن شجرة الدر قررت ان تحنى رأسها للعاصفة حتى تمر إلا أنها رفضت الاستسلام وظلت تمارس سلطتها من خلال زوجها عز الدين أيبك الذى كان يحبها بقوة ويحترمها اشد الاحترام لذكائها وجمالها وشخصيتها الفريدة .

وكان لعز الدين أيبك زوجة أخرى هى أم ولده الوحيد نور الدين ، وقد تزوجها قبل شجرة الدر . وضغطت شجرة الدر على أيبك لى يعتمد عن زوجته الاولى وأمرته باحضارها الى مصر وتطليقها وتم لها ما ارادت وبمرور الوقت أخذ عز الدين أيبك يضيق بنفوذ شجرة الدر وأدركت هى أنه بدأ يتغير من ناحيتها ويشعر بالأسف لأنه اجبر على تطليق زوجته الأولى أم ولده .

وكعادتها دائما قررت شجرة الدر أن تكون المبادرة فى يديها فاتصلت ببعض المماليك من خصوم زوجها أيبك وحشتهم على قتله وتم لها ما ارادت وقتل أيبك يوم ٢٥ ربيع الأول عام ٦٥٥ هـ .

وكان قرار شجرة الدر بقتل عز الدين أيبك بمثابة قرار انتحارى وكأنها عقدت العزم على أن تهدم المعبد فوق رموس الجصيح وان تحرم هذا الرجل تاكر الجميل من الاستمرار فى الجلوس على العرش الذى أوصلته اليه فكان جزاؤها منه هو الجحود .

وبعد وفاة أيبك ، تولى العرش بعده ابنه « نور الدين » وانتقل الى مقر الحكم فى القلعة مع امه غريمة شجرة الدر والزوجة الاولى لعز الدين أيبك .

وكانت ام نور الدين تكره شجرة الدر كراهية شديدة . وجاء فى كتب التاريخ انها امرت جوارىها بقتل شجرة الدر فانهلن عليها بالقباقيب داخل الحمام فلفظت أنفاسها الاخيرة ودقنت فى مسجد يحمل اسمها بالقاهرة . وبلغت المدة التى قضتها فى السلطة عشرين عاما فى ظل زوجها نجم الدين أيوب وعز الدين أيبك بالاضافة إلى ٨٠ يوما بمفردها على العرش .

أما قتلة عز الدين أيبك من المماليك والاغوات فقد هرب بعضهم واعتقل البعض الآخر ونفذ فيهم حكم الاعدام فى مقر الحكم بقلعة صلاح الدين .

وهكذا ، انتهت حياة شجرة الدر المرأة التى مارست السياسة بمقدرة فذة والتى استطاعت أن تقتحم عالم السلطة بهجرة نادرة فى وقت كان الكثيرون من الرجال ترتعد أوصالهم من مجرد التفكير فى دخول هذا العالم أو حتى الاقتراب منه .

## الملكة زنوبيا ..

### حياة حافلة بالإنجازات ونهاية مأساوية

كانت ملكة لاحدى القوى العظمى فى العالم فى القرن الثالث الميلادى ..  
اتسع نطاق مملكتها لتشمل مصر وآسيا الصغرى وجميع الأراضي الواقعة بين نهر  
الفرات والبحر المتوسط .

يقول عنها المؤرخون انها كانت نجسدا حيا للطموح والثقة فى النفس لدرجة تصل الى  
الغرور ، ورغم ذلك فقد حققت لنفسها ولبلادها مجدا ومكانة فريدة فى كتب التاريخ ولولا النهاية  
المأساوية التى انتهت اليها لما عرف احد المدى الذى كان يمكن ان تصل اليه من فتوحات ومنجزات  
ولأصبح الطموح الزائد أو الغرور هو احدى الصفات الحميدة التى يسمي الجميع اليها .. ولان التاريخ  
المتصف يلتزم فى معظم الاحيان بالحياد فلم يكن امامه سوى قرار واحد هو ان يخلد اسم زنوبيا ملكة  
تدمر ..

وهناك خلاف بين المؤرخين حول حقيقة أصل الملكة زنوبيا التى يرد ذكرها فى المراجع التاريخية  
بأكثر من اسم مثل « أوجستيا » أو « الزباء » ..

فالبعض يقول انها من اصل يهودى أعجب بجمالها الملك اودناش ملك تدمر الذى كان زعيما  
لمجموعة من القبائل الصحراوية واقام دولة قوية فى سوريا وآسيا الصغرى وغيرها من المناطق  
المجاورة فتزوجها وأنجب منها ثلاثة أطفال والبعض الآخر يؤكد انها عربية ابنة لقائد عربي بارز اسمه  
عمر بن حارث بن حسان .

وهناك أيضا من يؤكد أن زنوبيا من أصل مقدوني وتنتمي لسلالة الملوك التى حكمت مصر بعد  
وفاة الأسكندر ولذلك فهي من نفس الاصل العرقي الذى تنتمي اليه كليوباترا السابقة ملكة مصر  
وسليمة اسرة البطالمة .. ويقول هؤلاء أن التشابه بين شخصيتي زنوبيا وكليوباترا يرجع إلى انهما  
تنتميان إلى نفس الأصل المقدوني .

ورغم ان زنوبيا كانت فى مستوى جمال كليوباترا الا انها كانت تختلف عنها فى الكثير من  
النواحى الهامة .. فقد كانت كليوباترا ملكة ناعمة تستمد قوتها من براعتها فى عقد التحالفات مع

الممالك والامبراطوريات القوية اما زنوبيا فكانت شملة لا تنطق من الحماسة وتؤمن بأن مصدر قوتها يكمن فى تحدى الأقوياء وليس التحالف معهم .

وكانت زنوبيا امرأة بالغة الذكاء والدهاء تجيد اللغات اللاتينية والاغريقية والهيروغليفية وتقرأ فلسفات افلاطون وأرسطو وسقراط وملاحم هوميروس . كانت امرأة تحشق التاريخ وكأنها على ثقة من انها سوف تحتل مكانة تاريخية بارزة ولذلك درست تاريخ الشرق وكتبته بنفسها وكانت ترجع اليه بين وقت وآخر لمحاول ان تستشف ما هو مقدر لها فى ضوء التجارب التاريخية السابقة .

وهواية زنوبيا الوحيدة كانت هى الانطلاق الى الصحراء فى رحلات لصيد الحيوانات المفترسة وظلت هذه الهواية تلازمها طوال حياتها ولم تنقطع عن ممارستها حتى فى اوقات الحروب والازمات ..

بدأ صعود زنوبيا الى قمة السلطة بعد وفاة زوجها اودناش فى بداية النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى ويحدد بعض المؤرخين عام ٢٦٦ ميلادية كنهاية لحكمها .

وكان أودناش قد تحالف مع الامبراطورية الرومانية وأطلق على نفسه اسما رومانيا هو اجستوس ووصفه الرومان بقائد الشرق خاصة بعد انتصاراته العديدة على قوات الفرس .

وخلال احدى المعارك قتل اودناش على يد ابن اخيه مينونيوس الذى ذبحه طمعا فى تولي الحكم من بعده .

فى ذلك الحين كان أولاد زنوبيا من الملك اودناش ما زالوا صغارا وغير قادرين على تولي مهام الحكم فتصرفت بسرعة للسيطرة على الموقف واعلنت انها ستتولى الحكم باعتبارها وصية على أولادها .. ولم تمر سوى فترة قصيرة حتى اعلنت زنوبيا انها ستحكم باسمها هى وليس باعتبارها وصية على الورثة الشرعيين للعرش .

وبدأ حكم زنوبيا بسلسلة رائعة من الاصلاحات فكانت حريصة على نشر العدل بين الرعية واهتمت بالاداب والفنون والثقافة واستقدمت الشعراء والفلاسفة والفنانين من البلاد النائية وانفتحت عليهم بهذخ .. واهتمت بالصمران والتشبيد فمهدت الطرق واقامت المباني من المرمر ونشرت الحدائق والنخيل فى ربوع بلادها لتحول تدمر الى مركز حضارى وتجارى ينظر اليه الشرق والغرب باعجاب وانبهار .

وبدأت زنوبيا تهتم بتوسيع نطاق مملكتها فضمت إلى اراضيها مصر والقدس وانطاكية ودمشق واصبحت بالفعل على وشك تكوين امبراطورية مترامية الاطراف تتحدى أقوى الامبراطوريات فى ذلك الحين وهى الامبراطورية الرومانية .

وأدركت روما أن زنوبيا أصبحت تشكل تهديدا خطيرا لسلطتها وان هذه الملكة لا يمكن ان

تتوقف طموحاتها عند حد فكان قرار امبراطور روما هو المواجهة المباشرة معها لحسم هذا الخطر والقضاء على تطلعاتها .

وهكذا ، أعلن الامبراطور الرومانى ان زنوبيا اغتصبت عرش الملك ادوناش وأن أولادها هم اصحاب الحق فى العرش بعد أبيهم ولذلك فإن روما لا تعترف بها ملكة .

ويتفق المؤرخون على أن السبب الحقيقى وراء قرار الامبراطور الرومانى باعلان الحرب ضد الملكة زنوبيا كان هو غضب روما لأن زنوبيا أصبحت هى التى تسيطر على ثروات مصر خاصة فى وقت كانت فيه القوات الرومانية تخوض معارك على عدة جبهات وتحتاج للأموال التى كانت تأتيها من مصر خلال حكم البطالة لتمويل مجهودها الحربى ..

وتفجرت المعارك بين قوات الملكة زنوبيا وجيوش الامبراطورية الرومانية وحقت زنوبيا سلسلة من الانتصارات على الرومان الذين قرروا تركها مؤقتا والتفرغ للمعارك الدائرة على الحدود الغربية للامبراطورية .

فى ذلك الحين كان الجالس على العرش فى روما هو الامبراطور اورليان الذى كان يحلم باعادة أمجاد الامبراطورية واسترداد سيطرتها على جميع المناطق التى كانت تابعة لها خلال حكم يوليوس قيصر ومارك أنطونيوس ..

وهكذا ، فبمجرد أن انتهت الجيوش الرومانية من معاركها فى الغرب توجهت على الفور الى الصدام مع الملكة زنوبيا وأعلن الامبراطور أورليان انه سيلقن هذه المرأة درسا لا ينسى ويجعلها تدرك عاقبة تحدى الامبراطورية الرومانية .

ووصلت جحافل الرومان الى حدود مملكة تدمر وارسل الامبراطور اورليان بمبعوثين الى الملكة زنوبيا يطلبون منها الاستسلام دون قيد او شرط وكانت زنوبيا فى رحلة لصيد الاسود عندما وصل رسل اورليان فقطعت رحلتها وعادت على الفور الى تدمر وطلبت استدعائهم للشول بين يديها .

وابلغها الرسل بان الامبراطور اورليان يطلب منها التنازل عن مصر لروما وان الامبراطور يحترم شجاعتها وذكاها ولكن واجبه يحتم عليه الدفاع عن شرف الدولة الرومانية واعادة حدودها الى ما كانت عليه فى ذروة مجدها .

كان رد زنوبيا باختصار هو قبول التحدى وطلبت من الرسل ابلاغ الامبراطور اورليان بان روما لم تمنحها هذه الأراضى حتى تطلب استردادها الآن وان كل هذه الأراضى تم انتزاعها بالقوة والغزو والميراث من زوجها فلا حق للرومان فيها ..

ومضت زنوبيا فى تحدى الامبراطور اورليان فطلبت من رسله ابلاغه باستعدادها للتخلى عن جزء

من اراضي مملكتها بشرط ان يقبل هو ايضا التخلي عن جزء من الأراضي التابعة للامبراطورية الرومانية .

كان هدف زنوبيا من هذه الرسالة واضحا كل الوضوح وهو ابلاغ امبراطور روما ان رأسها برأسه وأن التعامل منذ تلك اللحظة سيكون بين الند والند دون أية محاولة للاحتزاز أو الارهاب .

وقالت زنوبيا لرسول اورليان ان لديها نفس الطموح والكبرياء التي لدى امبراطور روما ان لم يكن أكثر بل انها ستعمل على توسيع مملكتها والسيطرة على المزيد من الاراضي حتى ولو كانت تابعة للامبراطورية الرومانية وأن قرارها النهائي هو انها مستعدة للموت كملكة عظيمة كما عاشت حياتها ملكة عظيمة ..

وبمجرد انصراف الرسل حشدت زنوبيا قواتها وقررت ان تكون المبادرة من جانبها فتوجهت على رأس قواتها الى مواقع الجيوش الرومانية وخاضت المعركة مع اورليان ولكنها هزمت في الجولة الأولى فاضطرت الى التقهقر لحدود تدمر واقامت تحصينات قوية انتظارا للمواجهة الثانية مع الجيش الروماني .

وفي هذه المواجهة تمكنت قوات زنوبيا من الحاق الهزيمة بالامبراطور اورليان الذي تعرض لسخرية مريرة من خصومه في روما حيث عبروه بأنه هزم امام امرأة وسمع لها بأن تمنح كرامة روما في الوحل ورد عليهم اورليان بقوله : « تقولون اني هزمت امام امرأة وليتكم تعرفون قوة هذه المرأة وشدة بأسها وبراعتها العسكرية » .

اشتعلت نفس الامبراطور اورليان بالحققد على زنوبيا التي جعلته مثارا للسخرية في روما فاستدعى تعزيزات هائلة وحاصر تدمر طالبا من زنوبيا أن تستسلم .

كانت زنوبيا في حاجة الى مساعدات من المناطق المجاورة لكسر الحصار الروماني وتواجه اورليان في معركة فاصلة فقررت ان تقوم بنفسها بطلب هذه المساعدات وامتنعت جوادا وتسلت عبر الخطوط الرومانية حتى وصلت الى ضفة نهر الفرات ولكن القوات الرومانية اكتشفتها ووقعت الملكة زنوبيا في الاسر ونقلت زنوبيا الى مقر قيادة الامبراطور اورليان الذي سألها بصوت ساخر : كيف جرؤت على تحدى الامبراطورية الرومانية ؟

واجابت زنوبيا بكبرياء : أيها الامبراطور لقد انتصرت في حرب لا يد فيها من منتصر ومهزوم .. ولك كل الحق في ان تنعم بانتصارك ولكن يجب ان تدرك ان للمهزوم حقوقا ايضا وفي مقدمتها احترام شرفه وكرامته .

وحاول قادة الجيش الروماني اعدام زنوبيا ولكن اورليان رفض ذلك وأصر على ابقائها على قيد

الحياة ليأخذها أسيرة الى روما ويرد لنفسه الاعتبار امام منتقديه الذين عبروه من قبل بانه هزم امام امرأة .

ولم يكن هذا الموقف لأورليان من قبيل التسامح ، فقد قرر في نفس الوقت إبادة مملكة تدمر حتى لا تقوم لها قائمة بعد ذلك فأمر قواته باقتحام المدينة وارتكبوا فيها واحدة من اشرع مذاهب التاريخ وقتلوا كل سكانها ودمروها تدميرا تاما ثم اشعلوا فيها النيران بعد ان سلبوا كنوزها وثرواتها .

وعاد أورليان الى روما في موكب المنتصر ومعه زنوبيا وقد قيدت ذراعاها بقيود ثقيلة من الذهب بلغ ثقلها درجة تكليف بعض العبيد بمساعدتها على حمل هذه القيود .

واختلف المؤرخون بعد ذلك على المرحلة التالية من حياة زنوبيا .. فقال بعضهم : ان أورليان أصدر مرسوما بالعفو عنها ومنحها قصرا تعيش فيه تكريما لشجاعتها .

وقال هؤلاء ان بنات زنوبيا تزوجن من امراء رومان وأصبح ابنها بعد ذلك ملكا على أرمينيا .

وفي نفس الوقت ، اكد مؤرخون اخرون ان زنوبيا قتلت نفسها جوعا بعد ان امتنعت عن تناول اي طعام او شراب حتى لا تعاني من ذل الهزيمة ومرارة الانكسار وهذه الرواية تبدو هي الأرجح في ضوء شخصية زنوبيا المعترزة بكرامتها وكبريائها التي كانت سمة أساسية لحياتها كلها .. وليس هناك شك في ان شخصية بمواصفات الملكة زنوبيا لا يمكن ان تتحمل الحياة بعد ان رأت ههنيها انهيار حلمها في إقامة مملكة كبرى ولا يمكن ان تقبل الحياة في ذل الاسر بعد ان تحولت بلادها الى خرائب وأطلال فكان الحبار الوحيد أمامها هو الموت ، كان ذلك في عا. ٢٧٣ بعد الميلاد

## .. سالومي ..

### المرأة الشيطانية .. ورقصة الغدر

لا يذكر التاريخ امرأة استعقت لعنة الاجيال مثل « سالومي » المرأة الشيطانية التي عاشت وماتت رمزا للفسق والفسالة .. والأطماع اليهودية في ارض فلسطين ليست حديقة العهد ولم تكن بدايتها هي ذلك المخطط الصهيوني الذي بدأ تنفيذه في نهاية القرن الثامن عشر ..

فهذه الأطماع بدأت قبل ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام عندما لجأت عصايات اليهود الى كل وسيلة ممكنة لكي تضع أيديها الدنسة على التراب الفلسطيني ولم يتورع اليهود عن اللجوء الى جرائم القتل والتعذيب والابادة والدعارة ايضا مادام ذلك يساعد في تحقيق حلمهم الآثم ..

وتكفي نظرة سريعة لتاريخ اليهود في فلسطين خلال عشرات السنين التي سبقت مولد المسيح لتؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن ما يفعله الصهاينة في فلسطين الآن هو صورة من الأساليب الدينية التي لجأ اليها أسلافهم من قبل .. ففي عام ٣٩ قبل الميلاد كان مارك أنطونيوس امبراطورا على الدولة الرومانية التي تتبعها اراضي فلسطين وأصدر قرارا بتولي هيروودس الكبير ملك فلسطين ووافق مجلس الشيوخ الروماني على هذا القرار ..

وكان هيروودس هذا قد لجأ الى احط أساليب النفاق والذل والمهانة حتى يمنحه مارك أنطونيوس عرش فلسطين . وبعد ان تم له ما أراد استمر في ثقافته للامبراطور الروماني لدرجة انه اقام هياكل وثنية لعبادته في القدس ذاتها .. ولم يتورع هيروودس عن وضع تمثال ضخيم لنسر من الذهب وهو شعار الدولة الرومانية على باب هيكل سليمان الذي يزعم اليهود أنهم يقدسونه ..

وعندما هزم مارك أنطونيوس في موقعة « اكتيوم » امام أوكتافيوس تخلى هيروودس عن ولى نعمته وأسرع بالهدايا الى الامبراطور الجديد وقتل زوجته مريمنا ووالدها هركانس وأمهها أسكلندره وأخيها ارستوبولس الذين كانوا يرتبطون بعلاقة صداقة مع كليوباترة ملكة مصر وحليفة أنطونيوس ليثبت للامبراطور الجديد أوكتافيوس ولائه له .

وكان عامة اليهود يكرهون هيروودس لانه كان آدوميا ولم يكن من أصل يهودي واعلن مجلس شيوخ اليهود الذي كانوا يسمونه « السنهدريم » رغبته في ان يتولى يهودى نقى او من جنود يهودية العرش فما كان من هيروودس الا ان أعاد أعضاء المجلس جميعا وعددهم ٧٠ فردا .

كان لهيرودس من زوجته مريمنا التي قتلها ثلاثة أبناء هم أسكندر وأرستبولس وهيرودس الاصغر الذي مات أثناء تلقيه العلم في روما . ولم تكن مريمنا هي زوجته الوحيدة حيث تزوج من ١٠ نساء .

وقد قتل هيرودس ابنه اسكندر وأرستبولس بعد ان شك في أنهما يتآمران ضده ثم قتل ابنه الهكر انتيباتروس لنفس السبب .. وفي هذه الفترة أطلق الامبراطور الروماني أغسطس قيصر قوله الشهيرة .. إن المرء ليفضل ان يكون خنزيرا على ان يكون ابنا لهيرودس ..

وقد أصطبغ عهد هيرودس بالدماء وأشنع مذابح القتل في التاريخ وكان مفرما بإهادة أعداد كبيرة من الناس . وتشير بعض المراجع التاريخية الى انه أصدر أوامره في أخريات أيامه بقتل كل الاطفال في مدينة بيت لحم حتى سن عامين بعد ان علم بقرب مولد عيسى بن مريم وراح عدة آلاف من الاطفال لهذه المذبحة .

وحين اقتربت ساعة هيرودس كان موقنا ان الجميع سيفرحون لموته فقرر ان يضطرم الى الهكاء وأصدر امره بدعوة شيوخ أكبر العائلات الى اريحا وجمعهم في ملعب للخيول وطلب من اخته ان تأمر الجنود بذهبهم في اللحظة التي يسلم فيها الروح .

ويقال ان هيرودس اصيب في آخر أيامه بحمى شديدة تحرق جوفه وقروحا تسبب له آلاما مروعة وعمل من جوع كلبى فلم يكن يشبع مهما تناول من طعام وقد تهرأت أعضاء جسمه وانتشر فيها الدود وأصبحت تنبعث منه رائحة كريهة لدرجة دفعته الى الانتحار للتخلص من آلامه .. وأخيرا زهقت روحه مصحوبة باللعنات وكان في السبعين من عمره ..

وبعد موت هيرودس أعلن ابنه أرخيلالوس نفسه ملكا على اليهود ولكنه كان سفاحا مثل ابيه .. وكان هيرودس قد قسم مملكته بين أربعة من أبنائه وانتيباس وأرخيلالوس ولكنهم تصارعوا على السلطة وتفجرت حرب أهلية وتفشى القتل والسلب والنهب وتخريب المدن .

وتدخل امبراطور روما أغسطس قيصر لحسم الصراع وقرر تقسيم مملكة هيرودس بين أبنائه بحيث يصبح أرخيلالوس حاكما على ربع مملكة أبيه .. وحصل لقب « رئيس ربع » وكانت ولايته مقصورة على الضفة الغربية لنهر الاردن التي يطلق عليها اليهود يهودا والسامرة بالإضافة الى أدومية .

وكان الابن الثاني هو هيرودس انتيباس وقد عينه أغسطس قيصر واليا على منطقة الجليل وانتهج سياسة أبيه في نفاق الرومان فبنى مدينة وأطلق عليها اسم طبرية على اسم الامبراطور طباريوس الذي خلف أغسطس قيصر على عرش روما .

كان هيرودس انتيباس يشبه أباه في مكره ودهائه وبينما كان يزور روما نزل ضيفا على أخيه قبلبس الذي كان أبوه قد طرده وحرمه من الميراث فذهب ليعيش تحت حماية الامبراطور الروماني ..

ولم يلبث انتيباس أن عشق زوجة أخيه وتدعى هيروديا واتفق معها على الهرب ليتزوجها .. وبالفعل هربا معا إلى الجليل واصطحبت هيروديا معها ابنتها سالومي .

كانت سالومي فتاة رائعة الجمال ، ولكنها ماجة لا تمتنع بأى خلق نهيل أو أخلاق كريمة .. وذاع صيتها بسبب علاقاتها الآثمة مع رجال كثيرين .

وفى الجليل ، سيطرت هيروديا وابنتها سالومي على هيرودس انتيباس واصبحت لهما السلطة العليا وانتشر الفساد فى كل مكان وأصبحت سالومي رمزا على الفساد الاخلاقى .

ووفقا للشريعة اليهودية .. كان زواج انتيباس من هيروديا باطلا لان اليهود لا يبيعون للأخ أن يتزوج من زوجة أخيه الا اذا كانت بلا أبناء .

وكان فى فلسطين يومئذ رجل بار يعتبره اليهود نبيا وهو يوحنا المعمدان وتقول بعض المصادر انه هو نفسه النبی يحيى .. وشن يوحنا المعمدان حملة ضد زواج انتيباس من هيروديا وكان يردد فى كل مكان أن هذا الزواج باطل .. واستدعاه انتيباس وطلب منه ان يتوقف عن انتقاده وتحذاه قائلا : « ان هيروديا لا تحمل له وإن علاقته بها أئمة » ، وحاول انتيباس بكل وسيلة أن يستميل يوحنا المعمدان دون جدوى فأصدر أمرا باعتقاله وسجنه .

وقد اشار الاديب العالمى اوسكار وايلد الى « سالومي » فى روايته الشهيرة التى تحمل نفس الاسم وقال : انها لعبت دورا بالغ الانحطاط فى قصة يوحنا المعمدان .

فوفقا لما ذكره اوسكار وايلد وغيره من المصادر التاريخية كانت سالومي تعشق يوحنا المعمدان وحاولت كثيرا ان تغريه على ارتكاب الفحشاء معها ولكن الرجل التقى ورفض ذلك باصرار رغم جمال سالومي ورغم انها فعلت المستحيل معه ..

وامتلا قلب سالومي بالحققد على يوحنا المعمدان واعتبرت رفضه مجاراتها فى الرذيلة اهانة لها وتحقيرا لشأنها .. وصممت سالومي على الانتقام وجاءتها الفرصة ذات يوم لترد على رفض يوحنا المعمدان لها ، وكان انتقامها رهيبا يعكس حجم الشرور التى سيطرت عليها .

تقول دائرة المعارف اليهودية : ان انتيباس زوج أم سالومي وعمها فى نفس الوقت كان يحتفل بعيد ميلاده .. وطلب منها ان ترقص تكريما له فى الحفل الذى اقيم بهذه المناسبة ..

ورقصت سالومي رقصة شيطانية ماجة وتشير مصادر عديدة الى أنها رقصت وهى عارية تماما وأبدعت فى رقصها لدرجة جعلت انتيباس يطلب منها ان تتقدم بأى طلب وتعهده بتنفيذه حتى ولو طلبت نصف مملكته .

وهنا جاءت الفرصة التى تنتظرها سالومي ولح فى عينيها بريق الانتقام فتقدمت من انتيباس

برباطة جأش تصل الى درجة الصفاة وقالت له : « لى طلب واحد فقط وهو رأس يوحنا المعمدان . أريد هذا الرأس على طبق الآن أمام جميع الحاضرين » .

ورغم وحشية هيرودس انتيبباس الا انه صدم للوهلة الأولى من هذا الطلب . ولكنه تغلب على تردده وأصدر أوامره لجنوده بتنفيذ ما طلبته سالومي .. وبالفعل لم تمض لحظات حتى جئ لها برأس يوحنا المعمدان على طبق كبير .. فأخذت تنظر اليه بهتشف وحقد ليس لهما مثيل ..

ولقد دخلت هذه الرقصة الشيطانية التي أدتها سالومي فى بلاط هيرودس انتيباس تاريخ الأدب والفن والموسيقى .. فقد سجلت فى أعمال أدبية عديدة ولوحات فنية وقطع موسيقية . ومن أشهر هذه الأعمال أوبرا سالومي لريتشارد شتراوس ..

وقد اضيفت الى قصة سالومي تفاصيل كثيرة .. فبعض الأعمال الفنية اشارت الى أنها انتحرت ندما على ما فعلته فى يوحنا المعمدان .. وهناك لوحات تظهر فيها سالومي وقد أغشى عليها بعد تنفيذ رغبتها واعدم يوحنا المعمدان .

ولكن هناك اجماعا بين المصادر التاريخية والأعمال الأدبية والفنية على أن هذه المرأة كانت صاحبة أبشع انتقام فى التاريخ .

لقد امتزجت فى شخصية سالومي كل نقائص الشخصية اليهودية واضيفت اليها شرور المرأة الأثمة الداعرة ووحشية الأنثى عندما تشعر أنها اُهينت فى أنوثتها .. واسفر هذا المزيج الغريب عن امنية شيطانية قشلت فى قطع رأس رجل بار رفض الرذيلة واصر على أن يحتفظ بشرفه ونفاته حتى ولو كان ثمن ذلك هو رأسه .

وقد التزمت جميع المصادر التاريخية والفنية بضرورة اظهار دور اليهود فى هذه الجريمة بما فى ذلك دائرة المعارف اليهودية نفسها التى نشرت صورة بعنوان « رقصة سالومي » للرسم الفلورنسى جيوريليو ويظهر فى هذه الصورة الملك هيرودس انتيباس وقد ارتدى على رأسه القبعة اليهودية التقليدية التى لا يرتديها سوى اليهود ..

لقد دخلت سالومي التاريخ من أكثر من باب وكانت كلها ابواب يكللها العار .. فهى المرأة الماجنة الداعرة الفاسقة .. وهى الابنة التى قبل أنها زنت مع عمها وزوج أمها وهى المحرصة على الرذيلة والقاتلة التى انتقمت أبشع انتقام من يوحنا المعمدان بقطع رأسه والتشفى فيه بتقديم هذا الرأس هدية لامها .

باختصار كانت سالومي نموذجاً بشعاً للمرأة وهو نموذج من الصعب أن لم يكن من المستحيل أن نعثر له على مثيل فى كتاب التاريخ . ويكفى سالومي أنها ستظل الى الأبد تتلقى لعنات كل من يؤمن بالشرف والأخلاق .. والانسانية .

## بلقيس .. ملكة ..

### على عرش النساء II

بلقيس هي ملكة سبأ الاستعراضية العظيمة ، التي وهبها الله كل ما تصبو إليه امرأة من نساء العالمين في كل زمان ومكان . لقد دانت الدنيا لها ، فأخذت تغفر منها كل ما يعلى قدر صاحبه ، ويرفع من شأنه ، ويذيع صيته ، حتى أنها لقبّت بملكة كل العصور .

كانت بلقيس ملكة من طراز فريد من نوعه تجمع ما بين روعة الجمال ، وقوة الشخصية ، ودماثة الخلق ، وجمال الطبع ، وحكمة القول ، راحة العقل ، حتى أنها استطاعت أن تطوع شعبها ، وتؤثره ، وتكسب حبه ، وتحظى بوفائه ، وولائه .

وبينما كانت بلقيس تحكم مملكتها العظيمة وهي « اليمن » الآن بكل قوة وحكمة واقتدار ، لم تكن تشعر بالرضا ، إزاء عبادتها هي وقومها الشمس من دون الله .

وإشاء الله سبحانه وتعالى أن تهتدى على يد أحد أنبيائه سيدنا سليمان عليه السلام الذي ورث النبوة عن أبيه سيدنا داود عليه السلام ، والذي ينتهي نسبه إلى سيدنا إبراهيم عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

وقد منّ الله سبحانه وتعالى على سيدنا سليمان بنعمه وفضله بما سخره لخدمته من ريح ، ورائس وجن ، وطير .

وكانت جميع المخلوقات في مملكة سيدنا سليمان تأتمر بأمره . وحدث أن كان بين هذه المخلوقات الهدد الذي حمل دعوة الرسول الكريم للملكة وقومها للإيمان ، وقد كان لهذا قصة .

ذات يوم ، اكتشف سيدنا سليمان ، وهو يتفقد رعاياه من مختلف الكائنات والحيوانات ، عدم وجود الهدد ، فغضب ، وتوعد بالعقاب ، لتخلقه دون علمه ، اللهم إلا إذا كان له عذر مقبول .

وعاد الهدد ، ووقف في حضرة سليمان خائفاً مرتعداً ، فمفا عنه ، ثم سرعان ما قص الهدد على النبي كيف حمله جناحه إلى مملكة سبأ ، وكيف رأى بلقيس ملكة ذات عرش عظيم ، وكيف وجدها تعبد هي وقومها الشمس .

وما كان من سيدنا سليمان إلا أن أمر بأدوات الكتابة ، وكتب لبلقيس : من عبد الله سليمان ابن

داود إلى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من إتبع الهدى ، أما بعد : « ألا تعلمو على وأتوني مسلمين » .

وحمل الهدهد الرسالة ، وكانت بلقيس نائمة في غرفة نومها عندما دخل الهدهد من النافذة وألقى عليها الرسالة ، وبعدما أفاقت من صدمتها ، وجدت الهدهد يقف بجوار النافذة ، فخرجت وأمرت بجمع أعيان قومها وأهلفتهم بما حدث .

وعندما طلب القوم منها اتخاذ ما تراه من قرار في ضوء قوة بلادهم ، وبأسهم ، شحذت زناد عقلها ، وتسلمت بالحكمة ، وقالت انها ستبعث بهدية إلى سليمان عليه السلام ، ولكنه رفضها ، وتوعد الملكة ، فما كان منها إلا أن ذهبت إليه ، فأراد أن يطلعها على إحدى صور قدرة الله ، فجعل يأتبها بعرشها ، لتجده قد سبقها ، فأدركت أنه مزيد بقوة من الله .

وفي النهاية ، وأمام عظمة الله ، وقوة حجة وإيمان نبيه ، وصدق دعواه ، أسلمت بلقيس العظيمة ، ودخلت هي وقومها الإسلام ، وقالت : « رب إنى ظلمت نفسي ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » .

✓ وتزوجت بلقيس من سيدنا سليمان بعد أن أمنت بالحق ، الذي يدعو إليه ، وعاشت في اليمن كملكة عظيمة ، بعد أن أقرها سليمان على ملكها ، وكان يزورها كل شهر مرة ، ليقيم عندها ثلاثة أيام .

وهكذا كانت بلقيس ملكة حكيمة ، كان عقلها الراجح ، ورأيها السديد سبيلا لهدايتها هي وقومها أجمعين .

## السيدة مريم العذراء .. أعظم النساء فى التاريخ

السيدة مريم العذراء هى أعظم نساء التاريخ على الإطلاق . وقد تعرض لها القرآن تعرضاً متميزاً نظراً لمكانتها التاريخية والدينية . وورد لها اسمه لدى رب العالمين . والمهمة السامية . التى خلقها من أجلها . إنها مريم أم المسيح عليه السلام .

لقد كان ميلاد مريم بنت عمران حدثاً هاماً فى تاريخ البشرية . فقد كان إيذاناً بعهد جديد .  
.. بين جديد . وتاريخ جديد .

لقد مننت أمها حنة نفسها زمناً طويلاً . بأن يهبها الله ولداً . ونمرتة لخدمة الهيكل محرراً عتيقاً عن الدنيا وأشغالها . خالصاً لله تعالى . متفرغاً لعبادة الله وخدمته .

وفارق عمران الحياة . وحانت لحظة الميلاد . فإذا بالمولود بنتاً . فاعتنقت حنة لله . وتكفل بها زوج خالتها زكريا . وعندما بلغت سن الحلم . بنى لها غرفة فى الهيكل تعبد فيها الله . وفاء لنذر أمها . ورغم أنها ليست ولداً .

وعندما كان يأتى زكريا ليطمئن على مريم . ويقدم لها الطعام يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء . وفاكهة الشتاء فى الصيف . عندما يسألها تقول : هو من عند الله .

وعندما بلغ زكريا الكبر والجهد . كفل مريم ابن عمها يوسف وكان نجاراً . وقر الأيام . وتأتى اللحظة التى يريد الله أن يجعل فيها مريم آية من آياته . وهى العفيفة الطاهرة . فتجد نفسها حاملاً ولم يمسسها بشر . ولكنها قدرة الله . فقد كانت مريم تملأ الجرة ذات مرة . فإذا بجبريل عليه السلام يقول لها ان الله قد بعثه إليها . كما ورد فى القرآن . « لأهب لك غلاماً زكياً » . فملكها الحرف . ولكنه طمأنها بأنه رسول من الله . وقت المعجزة .

وعندما تعالت أصوات بعض أفراد قريتها . وأخذ اللفظ يثار حول هذا المولود . أشارت إليه . لهدافع عنها . فإذا بالرضيع نبي الله . يقدم صورة أخرى من صور قدرة الله . لقد تكلم عيسى بن مريم عليه السلام . وقال انه رسول الله . ونبيه .

وقد ظلت السيدة مريم الهتول تلتقن الابن أعظم الفضائل والقيم والمثل والمبادئ بإيماء من الله . لتقدم للبشرية . بإذن الله . نبياً كريماً . ورسولاً عظيماً . هو عيسى بن مريم عليه السلام .

## مارى أنطوانيت ..

### الملكة النمساوية والثورة الفرنسية ١

ليس هناك شك فى أن الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ كانت حدثا بالغ الأهمية تجاوزت آثاره حدود فرنسا وترك بصمته الواضحة على الفكر الإنسانى بأسره . وهناك إجماع على أن الثورة الفرنسية شاركت بفعالية فى تغيير مسار حركة التاريخ وتحديد ملامح مستقبل الإنسان بدرجة يتدبر أن تفكر .

وعندما يقول المؤرخون إن هناك امرأة تتحمل مسئولية مثل هذا الحدث الضخم عندئذ تكون هذه المرأة احتلت بالفعل أبرز الصفحات فى كتاب التاريخ ويكون التقليل فى هذه الصفحات عملا يستحق كل ما يبذل فيه من جهد وعناء .

ولدت ماري أنطوانيت فى عام ١٧٥٥ وكانت أمها هى الامبراطورة ماريا تريزا امبراطورة النمسا ووالدها الامبراطور فرانسيس الاول .

كانت مرحلة صباها نموذجاً للحرية والانطلاق فى البلاط الامبراطورى النمساوى وحملت لقباً نبيلاً هو الارشيدوق وكان ينظر اليها على أنها زهرة البلاط التى يخطب الجميع ودها ويسعون لنيل رضاها .

وفى سن الخامسة عشرة كانت ماري أنطوانيت على موعد مع القدر لتبدأ الفصل الأول من مأساتها .. فى تلك السن الصغيرة تزوجت من لويس السادس عشر ولى عهد فرنسا والذى تولى الحكم بعد وفاة لويس الخامس عشر فى عام ١٧٧٤ عندما تردد النداء التاريخى الشهير « مات الملك .. يحيا الملك » ..

كانت ماري أنطوانيت نموذجاً للمرأة الرقيقة البسيطة . ترفض التكلف وتهوى الانطلاق فى الحقول لمطاردة الفراشات وجمع الزهور النادرة وكان الطابع المميز للبلاط الفرنسى هو الفساتين والمؤمرات لذلك اختلط الامر على ماري أنطوانيت وعجزت عن مجاراة النبلاء الفرنسيين فى لعبة المكر والدهاء .

أما الزوج لويس السادس عشر فقد كان أبعد ما يكون عن صورة فتى الأحلام الذى يذاعب خيال

فتاة فى عمر وطبيعة ماري أنطوانيت . فقد كان ضخم الجثة يلبد الفكر ضعيف الشخصية لدرجة أن زوجته بكل ضعفها كانت أقوى منه .

وخلال الفترة الأولى من توليه الحكم كانت ارهاصات الثورة الفرنسية قد بدأت تلوح فى الأفق نتيجة للآزمة الاقتصادية الطاحنة وتجاوزات طبقة النبلاء والارستقراط ورجال الكنيسة التى كانت تشكل استفزازا لا يحتمل للشعب الفرنسى .

وقد عجز لويس السادس عشر عن الحيلولة دون انفجار الثورة رغم أن ذلك كان ممكنا فى ضوء ثقة الشعب فيه وتمسكه بشرعيته كملك لفرنسا ..

وبعد ذلك عجز مرة أخرى عن انتهاز الفرصة التاريخية التى أتاحها له الشعب لقيادة الثورة لكن تتحول فرنسا الى الملكية الدستورية بدلا من الملكية المطلقة .. وقد حدث ذلك لأن لويس السادس عشر لم يستطع أن يفهم القوى الليبرالية والديمقراطية فى عصره وبذلك لم يتجاوب معها .

وكانت عاطفة لويس السادس عشر تتسم بالبرود والفتور تجاه زوجته مما فتح الباب امام اتهامها بإقامة علاقات غير شرعية مع الكثيرين ووصل ذلك الى حد اتهامها بزنا المحارم مع ابنها .

ولقد حاول الشعب الفرنسى أن يحمل ماري أنطوانيت مسئولية الاحباط الذى شعر به تجاه ملكه لويس السادس عشر وساعد على ذلك أصلها النمسى غير الفرنسى فترددت الأقاويل حول تأمرها مع رجال البلاط وأفراد الطبقة الارستقراطية رغم أن التاريخ يحتفظ لها بهجمة قالتها لزوجها الملك لتحدد رؤيتها الواعية للاحداث وهى : « ان هؤلاء النبلاء يدفعون بنا الى الهلاك » .

وكانت الفترة الأولى من حكم لويس السادس عشر قبل الثورة « ١٧٧٤ وحتى ١٧٨٩ » قد تميزت بتزايد سلطة النبلاء ونفوذ الطبقة الارستقراطية .. وكان الهدف من الثورة فى البداية هو الانتقال الى الحكم الدستورى ولكن لويس السادس عشر لم يستجب الى هذا المطلب .. وقال بعض المؤرخين ان ملك فرنسا اتخذ هذا الموقف تلبية لرغبة زوجته ماري أنطوانيت التى كانت ترى ضرورة قمع الثورة فى مهدها بيد من حديد .

وقال البعض الآخر من المؤرخين : أن لويس السادس عشر خضع لضغوط النبلاء الذين أعربوا عن استيائهم من تزايد قوة الشعب ..

وهناك اتجاه آخر بين المؤرخين يرى ان ماري أنطوانيت تتحمل مسئولية انفجار الثورة لأن بساطتها وسلوكياتها غير المدروسة هى التى قضت على هيبة الحكم وأتاحت الفرصة « للرعاع » لكى يتطالوا على ملكهم وطبقة الأشراف .

وفى ٥ مايو ١٧٨٩ أصدر الملك لويس السادس عشر مرسوما بتشكيل مجلس تشريعى جديد

فى فرنسا بعد ١٥٠ عاما من الحكم المطلق ورأى الشعب فى ذلك خطوة هائلة نحو الحرية والديمقراطية ولكن طبقة النبلاء ضاعفت من ضغوطها على الملك ذى الشخصية الضعيفة لتوقف هذا الاتجاه الذى يتعارض مع مصالحها .. وقد نجحت هذه الضغوط فى إبعاد الملك عن أية خطوات اصلاحية .. وهكذا ، تميزت الفترة الثانية من حكم لويس السادس عشر بعد الثورة - وهى الفترة التى استمرت من عام ١٧٨٩ وحتى نهاية حكمه - بانحيازه المطلق للاستقراطية وأدرك الشعب ان النبلاء لجحوا فى استقطاب الملك .

وفى يوليو ١٧٨٩ ، انفجر الموقف فى باريس وخرج عامة الشعب الى الطرقات يدمرون كل شئ وهاجموا مخازن السلاح الملكية ثم توجه اكثر من مائة الف مواطن الى سجن الباستيل الرهيب الذى سقط بعد هجوم استمر ٩ ساعات .

وفى أكتوبر حاصرت الجموع قصر الملك فى فرساي ودخل وقد لمقاولة لويس السادس عشر فروعهم خيرا وخرجوا وهم يهتفون بحياته ولكن الحشود عادت مرة اخرى بعد ان علمت ان الملك غير صادق فى وعده .

وحث ماري انطوانيت زوجها على الهروب ولكنه كان عاجزا حتى عن الهروب ووصفته ماري بانه رجل مسكين لأنها أدركت ان القصب موجه ضدها بعد أن بدأت الجماهير تهتف : « الموت للنموية » و « اقتلوا الفاسقة » .

وبعد ذلك حدثت تلك المواجهة التاريخية الشهيرة بين ماري انطوانيت وميرابو خطيب الثورة الفرنسية واحد أبرز قادتها وهى المقاومة التى توضع بجلال ان ماري انطوانيت كانت قد اكتسبت القدرة على اقناع محدثيها والسيطرة عليهم حتى ولو كانوا فى ذكاء ميرابو .

فهذه هذا اللقاء الذى استمر ساعة كاملة اقنعت ماري زعيم الثورة بوجهة نظرها وطلب منها ميرابو فى النهاية ان تسمح له بتقبيل يدها وانحنى ميرابو يقيلا يد ماري انطوانيت قائلا : « مولاتى .. لقد انقذت الملكية فى فرنسا » .

ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى مات ميرابو الذى كان وجوده هو الضمان لاستمرار الملكية .. وقررت ماري انطوانيت الهرب مع زوجها واولادها الثلاثة ولكنهم قتلوا .

وفى يونيو ١٧٩٢ ، حاصر المتظاهرون قصر الملك هاتفين « نجيا الأمة » واندفعوا الى داخل القصر حيث ألبسوا لويس السادس عشر قبة جماعة البعقوبيين الحمراء الشهيرة .

وبكى لويس السادس عشر عندما شاهد هذه القبة على رأسه وقال لزوجته ماري انطوانيت وهو ينتحب : « اننى لم أحضرك من النمسا لكى تشهدى ذلى وهوانى هكذا » .

وفي ٢١ سبتمبر تم تجميد سلطات الملك وإعلان الجمهورية الفرنسية الأولى وبدأت المطالبة بتخلي الملك عن عرشه بعد أن اتهم بخداع الأمة ..

وكان الخبر الذي طرح صراحة على لويس السادس عشر هو التخلي عن العرش أو الموت وطلب الملك حماية رئيس البرلمان الذي طمأنه ولكن في ٣ ديسمبر ١٧٩٢ تقرر محاكمة لويس السادس عشر بتهمة الخيانة وحكم عليه بالاعدام في ١٨ يناير ١٧٩٣ ونفذ الحكم بالمقصلة في ميدان الثورة بباريس يوم ٢١ يناير .

وخلال هذه الفترة شهدت فرنسا ما سمي بعد ذلك بعهد الارهاب وتم اعدام الألوف من افراد طبقة النبلاء وأيضاً الكثيرون من الأبرياء .

وكانت محاكمة ماري انطوانيت مشهدة حياً للغدر ونكران الجميل فقد شهد ضدها اقرب اصدقائها واتهموها بكل الشرور والموبقات .. وانتهت المحاكمة كما كان مقرراً لها من قبل بصدور حكم الاعدام بالمقصلة ضد ماري انطوانيت . وفي صباح ١٦ أكتوبر ١٧٩٣ صعدت سلم المقصلة وسط حشد هائل من الجماهير الغاضبة وكان آخر ما سمعته هو هتاف « الموت للنمسية » وهوت السكين لتنتهي حياة ماري انطوانيت المرأة التي ارتبط اسمها بالمجد والمعاناة والدموع .

## الملكة فيكتوريا ..

### الحب هو التاج الحقيقي !

هي واحدة من أعظم الملكات في التاريخ .. اثرت على عصرها بأسره .. نقلت من ظلام العصور الوسطى الى اعتاب الحضارة . ورغم ذلك كان التاريخ حريصا على ان يسجل لها أنها كانت زوجة محبة لزوجها ورمزا للوفاء والاخلاص له حتى في اللحظة الاخيرة من حياتها . وكم هو رائع ان تقرن عظمة الملكة بوفاء الزوجة ، واخلاصها وبها كانت هذه هي السمة التي تنفرد بها سيرة حياة فيكتوريا ملكة بريطانيا في القرن التاسع عشر .

تولت فيكتوريا عرش بريطانيا العظمى وايرلندا في عام ١٨٣٧ . وفي عام ١٨٧٦ أصبحت امبراطورة الهند ايضا .

كانت هي الابنة الوحيدة لادوارد دوق كنت وحفيدة الملك جورج الثالث . وقد ولدت فيكتوريا في ٢٤ مايو عام ١٨١٩ بقصر كنسنتون بلندن وكانت امها هي الاميرة ماري لويزا فيكتوريا دوقة كنت وبعد ٨ شهور من مولد فيكتوريا مات أبوها دوق كنت . وفي عام ١٨٢٠ تولى الملك جورج الرابع عرش إنجلترا واصبح ترتيب فيكتوريا بين المرشحين لتولى العرش هو الثالث بعد دوق يورك الذي مات عام ١٧٢٧ وعمها دوق كلارنس الذي اصبح ملك لانجلترا باسم ولهم الرابع الذي مات جيب أطفاله وهم صفار ولذلك تولت فيكتوريا العرش ..

وتقول الملكة فيكتوريا في مذكراتها انها تربت تربية بسيطة في قصر كنسنتون مع أختها من الام فيودورا ، وكان اقرب شخص لها هو خالها ليوبولد الذي أصبح ملكا لبلجيكا عام ١٨٣١ .

كانت فيكتوريا فتاة جميلة الملامح ضئيلة الجسم ذات صوت ساهر . وخلال سنوات طفولتها كانت بعيدة تماما عن أسرة والدتها . وقد حرصت والدتها وخالها ليوبولد على تثقيفها وتعليمها على أعلى مستوى خاصة بعد ان تأكدت فرصتها في تولي العرش .

وفي ٢٠ يونيو ١٨٣٧ استدعى اسقف كانتربري فيكتوريا وابلغها بوفاة عمها الملك وليام الرابع وبأنها ستتولى العرش .. وقد رحب الشعب البريطاني بها وتعاطف معها كملكة شابة رغم حدوث انقسام بين أفراد الأسرة المالكة الذين طالب بعضهم بأن يتولى ليونست دوق كورلاند شقيق الملك الراحل العرش ولكنه كان شخصية غير محبوبة .

ومنذ البداية ، كانت الملكة فيكتوريا حاسمة فطلبت من جميع أقاربها وخاصة أمها وخالها ليوبولد عدم التدخل في شئون الحكم . وقد جلست فيكتوريا على العرش لأول مرة وهي ترتدى ثوب الحداد الاسود على عمها الملك السابق وبعد انتهاء مراسم الجلسة الاولى توجهت الى والدتها وسألته « امي هل أصبحت ملكة حقا ؟! » وردت الام قائلة : « نعم يا ابنتي انت الآن ملكة بريطانيا العظمى » وقالت فيكتوريا « اذن أرجو ان تقبلي اول رجاء تتقدم به الملكة اليك .. ارجوك اتركيني وحدي لمدة ساعة » .

كانت الملكة فيكتوريا عنيدة للغاية وكان ذلك يتناقض بشدة مع طبيعتها الطيبة وكانت تعيش الليل وتنام في وقت متأخر وقد التقت فيكتوريا وهي طفلة في السابعة بالملك جورج الرابع الذي سألها ما هي أحب أغنية الى قلبها . وبسرعة بديهة أجابت الطفلة الصغيرة قائلة : انه النشيد الوطني الانجليزي « ليحى الله الملك » كذلك كانت فيكتوريا بالغة الذكاء والنضج واتضح ذلك من خلال سرعة تعلمها للغات والآداب والرقص والموسيقى والشعر وركوب الخيل .. وبعد ان تولت العرش عرف عنها انها ملكة ذات كبرياء ملحوظ وكان أقرب مستشاريها هو اللورد ملبون رئيس وزرائها .

وقد اعتمدت فيكتوريا في البداية على لورد ملبون لانها كانت بلا خبرة تقريبا في عالم السياسة وشئون الحكم وكانت تعترف بذلك صراحة لذلك حرصت دائما على سؤال وزرائها ومستشاريها في كل كبيرة وصغيرة وكانت تحاول ابداء رأيها ولكنها تسمح في النهاية لكل مسئول باتخاذ القرار المناسب وفقا لسلطاته وخبرته وثقتها فيه . وكانت تتلقى النصيح أيضا من خالها الملك ليوبولد بشرط ألا يتدخل أو يتقدم بالنصيحة مالم تطلبها منه .

وعلى صعيد الانتماء السياسي ، كانت فيكتوريا تميل الى حزب الاحرار البريطاني لأن أسرتها كانت معروفة بتأييد هذا الحزب ولأن مستشاريها اللورد ملبون كان من رعايا الاحرار ولذلك أحاطها بمزيد من الدرجة ان وصيقات الملكة كن من عضرات حزب الأحرار .

ولم تكن فيكتوريا تميل لحزب المحافظين المنافس أو تعرف احدا من قادته لذلك فعندما فاز المحافظون بالانتخابات في احدى السنوات وأصبح يتعين على اللورد ملبون ترك منصبه كرئيس للوزراء ومستشار للملكة ، حزن فيكتوريا بشدة لدرجة الهكاء ولكنها لم تستطع ان تفعل شيئا لاستشارها احتراماً للديمقراطية وأصبح « اللورد بيل » زعيم حزب المحافظين مستشارا للملكة وكان اول طلب تقدم به اليها هو تغيير وصيقاتها اللاتي يحتفظن بعضوية حزب الاحرار وتعيين وصيقات من عضرات حزب المحافظين ولكن الملكة رفضت ذلك بشدة وقالت : ان اختيار الوصيقات من حقها ولا علاقة له بمسؤوليات الحكم ونتائج الانتخابات وفقا للدستور البريطاني واحتج اللورد بيل على ذلك ورفض تولي منصب مستشار الملكة .

وكان هذا الموقف نموذجاً لتعامل فيكتوريا مع دهاء السياسة البريطانية .. الخاضوع الكامل للدستور والقانون .. والحسم الشديد في ممارسة حقوقها كملكة وأنسانة . ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى اكتسبت فيكتوريا الخبرة اللازمة وأصبحت قادرة على أداء مهامها الرسمية بكفاءة واقتدار وعلى الصعيد الشخصي . كانت فيكتوريا أيضاً نموذجاً لقوة الشخصية . فقد طلب منها خالها ليوبولد الزواج من ابنه ألبرت ولكنها رفضت ذلك بشدة رغم إعجابها بالأمير . وكان سبب الرفض هو اقتناعها بأن المبادرة كان يجب أن تأتي من ألبرت نفسه وليس من والده .

وقد توجه ألبرت إلى لندن فقابلته الملكة بجفاء . ولكنه أوضح لها أنه لم يكن يستطيع أن يتقدم لها بهذا الطلب باعتبارها الملكة ولم تقبل فيكتوريا تهريره واستمرت على تجاهلها له حتى كان أحد الأيام فاستدعته وفوجئ بها تسأله أن كان يقبل الزواج منها وكان ألبرت في قمة السعادة وهو يبلتها بقبوله .

وفي ١٠ فبراير ١٨٤٠ تم عقد قران الملكة فيكتوريا « ٢١ سنة » على ابن خالها الأمير ألبرت الذي منح لقب أمير كونسورث . ونظراً لأن الدستور البريطاني لا يعهد لزواج الملكة بمهام أو مسئوليات رسمية . فقد أحس ألبرت بالفراغ وبأنه ليس السيد في بيته وأن مستشاري الملكة هم الذين يسيطرون عليها وهو بمثابة الغريب عنها . وهكذا بدأت الخلافات تدب بين فيكتوريا وألبرت واتضعت التناقضات في شخصيتها .. كان الزوج الأمير إنساناً هادئاً يحب المناطق الخلوية ويميل للقراءة والحياة الكلاسيكية المحافظة البعيدة عن الاضواء . أما فيكتوريا فكانت تعشق القصور وحفلات البلاط والاستمتاع بحياتها رغم مسئوليات العرش .

وقد أدت التطورات التي حدثت بعد ذلك إلى رأب الصدع في حياة الزوجين الملكين .. فبعد سقوط حزب الأحرار في الانتخابات وابتعاد لورد ملبورن عن الملكة ونفورها من السياسيين المحافظين . وأصبح الطريق ممهداً أمام زوجها ألبرت ليصبح هو مستشارها وكان ألبرت يشعر بالضيق الشديد من لورد ملبورن بسبب استحواذه على معظم وقت الملكة باعتباره مستشارها ورئيس وزرائها . كذلك كان انجذاب فيكتوريا لاهنتها الكبرى التي أطلقت عليها اسمها ثم انجذاب ولي عهدها أمير ويلز . في عام ١٨٤٧ من أهم التطورات التي دعمت العلاقة بين ملكة بريطانيا وزوجها وكنيت فيكتوريا في مذكراتها أن هذه الفترة كانت أسعد مراحل حياتها حيث اشتد حبها لزوجها وأصبحت لا تفكر على فراقه .

وكان مبعث الضيق الوحيد في حياة الملكة فيكتوريا هو لورد بالمستون زعيم حزب المحافظين البريطاني فقد كان رجلاً عنيداً شديد الدهاء وكان هو الذي قاد حملة في بريطانيا عام ١٨٥٤ للتورط في حرب القرم والاشتراك في هذه الحرب لمساندة تركيا .. وقد أسفرت هذه الحرب عن مصرع ٢٥ ألف جندي بريطاني . وفي مواجهة هذا النمط الجديد من السياسيين . كان يتعين على الملكة

فيكتوريا ان تعتمد اكثر على الرجل الوحيد الذي تثق به وهو زوجها الامير ألبرت الذي تزايد نفوذه في بريطانيا واصبح يحظى بشعبية هائلة خاصة بعد ان اثبت قدراته السياسية .

وقد رأى ألبرت ان الخلاف بين الملكة وحزب المحافظين الحاكم في ذلك الحين ستكون له نتائج سلبية على الحياة السياسية في الامبراطورية البريطانية فسمى للمصالحة بين زوجته الملكة فيكتوريا والزعيم المحافظ لورد بيل ، ويمرور الوقت ، استندت مهام رسمية للأمير ألبرت بعد ان اصبح هو السكرتير الخاص للملكة واصبح من حق حضور جلسات مجلس العموم واللوردات وبذلك قدم الامير ألبرت نموذجا تاريخيا للتعاون الخلاق بين الزوج والزوجة دون حساسيات واثبت ان الزوج المحب لزوجته هو الذي يقف بجانبها في اوقات المحنة والأزمة ، وكان من اهم الأعمال التي قام بها ألبرت وسجلها له التاريخ ذلك الدور الذي لعبه في التوفيق بين الملكة فيكتوريا وناپليون الثالث امبراطور فرنسا .

وارتبطت فيكتوريا بعلاقة صداقة حميمة مع ناپليون الثالث وزوجته اموجيني . وفي عام ١٨٧٠ تفجرت الحرب بين فرنسا والمانيا وأدت الى سقوط ناپليون الذي توجه هو وزوجته الى بريطانيا فرحبت بهما فيكتوريا وقد انجبت الملكة فيكتوريا الاولاد والبنات تزوجوا جميعا من أميرات وامراء وأمراء اوربا ويبدو ان الاقدار كانت تحتفظ لفيكتوريا بمرحلة من الاحزان ، ففي عام ١٨٦١ توفيت والدتها دوقة كنت وبمدها مباشرة توفى زوجها الامير ألبرت ولم يكن يتجاوز ٤٥ عاما . وهكذا ، فقدت الملكة فيكتوريا الزوج المحب والمستشار المخلص الامين الذي كان يقف بجانبها ويساعدها على اداء مسئوليتها كملكة لامبراطورية لا تغرب عنها الشمس .

وقال السياسي البريطاني الشهير دزرائيلي : ان بريطانيا فقدت ملكها بموت الامير ألبرت الذي حكمها لمدة ٢٢ عاما بحكمة وهمة تجاوزت كل ما فعله ملوك بريطانيا السابقون .. وبدأ الاكتئاب يسيطر على الملكة فيكتوريا بعد وفاة زوجها وابتعدت عن مهامها كملكة واصبحت زاهدة في كل شئ وقد امرت بإقامة قتال لزوجها الراحل في قصرها كتبت تحتها فقط كلمة « ألبرت » مما يشير الى مدى خسارتها الشخصية بوفاته . وفي هذه المرحلة تقلص دور الملكة وظهر جيل من السياسيين العظماء في بريطانيا لتعويض غياب الملكة ومن ابرز هؤلاء السياسيين جلادستون ودزرائيلي .. وفي عام ١٨٧٤ اجريت انتخابات جديدة في بريطانيا واسفرت عن فوز حزب الاحرار وعودته للسلطة مرة اخرى وتولى دزرائيلي صديق الملكة منصب رئيس الوزراء ومستشار الملكة وادى ذلك الى التخفيف بعض الشئ من احزان الملكة فبدأت بحضور جلسات الحكومة وتشارك في بعض الحفلات . وأطلق دزرائيلي على فيكتوريا لقب امبراطورة الهند وكان هذا السياسي مهتما للغاية بالامبراطورية الشرقية فبذل جهدا هائلا حتى اقنع خديو مصر ببيع أسهم قناة السويس لانهلثرا وكان هدفه من ذلك هو أن تسيطر بلاده على هذا الشريان الحيوي الى الشرق وقد أسفر مخطط دزرائيلي عن احتلال بريطانيا لمصر في عام ١٨٨٢ . وفي عام ١٩٠٠ كانت الحالة الصحية للملكة فيكتوريا

قد تدهورت بشدة ، ففقدت بصرها وضعفت ذاكرتها واصبحت غير قادرة على ممارسة مسئوليات الحكم وتوفيت يوم ٢٢ يناير عام ١٩٠٠ وفقا لوصيتها تم دفنها الى جانب زوجها الامير الهرت وتأكيدها على حبها له اوصت ان تكتب على قبرها عبارة قصيرة لا تشير الى عرشها او امبراطوريتها المشرقية الاطراف .

كانت هذه العبارة بسيطة للغاية ولكنها عميقة المعنى والمغزى فهي تؤكد لكل الأجيال ان الوفاء هو أسمى قيمة في الحياة وان الحب هو التاج الحقيقي الذي يمكن ان يكلل هامة الإنسان . لقد اختارت ملكة بريطانيا ان يكتب على قبرها : « فيكتوريا - الهرت » فقط وباله من معنى .



١١

## مارجريت ...

### ملكة من نوع خاص ١

التاريخ مليء بنماذج لا حصر لها من النساء استطعن التعمام عالم السياسة وتطبيق انتصارات كبرى على عتاة السياسيين من الرجال ومن أبرز هذه النماذج الملكة مارجريت ملكة الدنمارك والسويد والنرويج في القرون الوسطى .

هي ملكة الدنمارك والنرويج والسويد التي استطاعت توحيد شبه جزيرة اسكتلندا تحت راية حكمها وانتصرت على جيوش منافسيها الذين اشتهروا بالقوة والبطش في القرون الوسطى وكان يطلق عليهم لقب « الفايكنج » أو غزاة الشمال .

ومارجريت هي ابنة الملك فالديمار السادس ملك الدنمارك وقد ولدت في عام ١٣٥٣ بمدينة سويوج .. كانت عمرها ست سنوات فقط عندما خطبت لهاكون ملك النرويج وابن الملك ماجنوس اريكسون الذي كان ملكا للسويد والنرويج .

وكان الهدف من هذه الخطوة هو تدعيم العلاقة بين ملكي الدنمارك والنرويج لمواجهة محاولات نهلاء منطقة مكننهورج الاستيلاء على عرش اسكتلندا والمكاند التي كان هؤلاء النهلاء يديرونها ضد الملكين الشرعيين .

ولقد تعرضت هذه الخطوة للخطر في عام ١٣٦٠ عندما تجدد العداء القديم بين الملك فلاديمير وصهره المرتقب الملك ماجنوس ولكن ماجنوس اضطر الى الخضوع لفالديمار في عام ١٣٦٣ بسبب معارضة مستشاريه للحرب وهزيمة قواته في عدد من المعارك .

وهكذا ، تم زفاف مارجريت لهاكون في نفس العام يكونهاجن عاصمة الدنمارك .. وكان هاكون يطمح في ان يصبح ملكا للسويد ايضا الى جانب النرويج ولكن هذه الالتماع دمرت تماما بعد هزيمته هو ووالده امام اليرت دوق مكلنبورج الذي تولى عرش السويد خلال الفترة من ١٣٦٤ حتى ١٣٨٩ .

ورغم ذلك نجح هاكون في الاحتفاظ بمملكة النرويج تحت حكمه ، وهناك قضت مارجريت شبابها مع زوجها الملك حيث اخذت تراقب وتتعلم في صمت .. وبعد سنوات قليلة تحولت هذه الفتاة الصغيرة الى شخصية سياسية بارعة وأصبحت هي الملك الفعلي للبلاد بعد ان عمدت بدهاء الى تقليص سلطات زوجها ...

وفي عام ١٣٧٠ ، انجبت مارجريت ابنها الوحيد اولاف وفي ذلك الحين كان من الواضح ان هذه الفتاة التي لم يكن عمرها يتجاوز ١٧ عاما ، لديها خطة متكاملة لاقامة مملكة كبرى تضم كل الدول الاسكندنافية تحت حكمها .. لذلك فعندما مات والدها الملك فالديمار في عام ١٣٧٥ بذلت جهودا هائلة حتى نجحت في ان تضع ابنها الصغير اولاف ، ٥ سنوات ، على عرش الدنمارك خلفا لجده رغم معارضة النبلاء لهذه الخطوة .

وبعد وفاة زوجها الملك هاكون في عام ١٣٨٠ اصبحت مارجريت تحكم النرويج ايضا باعتبارها وصية على عرش ابنها اولاف الذي اصبح ملكا للدنمارك والنرويج .. وهكذا بدأ الاتحاد الدنماركي النرويجي الذي استمر حتى عام ١٨١٤ .

وقد استطاعت مارجريت ان تدعم سلطتها وتوسع نطاق حكمها .. ففي عام ١٣٨٥ استولت على منطقة الساحل الغربي لاسكندنافيا والذي كان يشكل اهمية اقتصادية بالغة في ذلك الحين .

وبدهاء سياسي ملحوظ تمكنت من تأمين الحدود الجنوبية للدنمارك عن طريق ابرام اتفاقيات مع نبلاء منطقة هولشتاين الذين كانوا يهاجمون هذه المناطق ويحاولون الاستيلاء عليها .

وفي عام ١٣٨٥ أيضا كانت مارجريت وابنها اولاف على وشك شن الحرب ضد الملك اليرت ملك السويد لضم بلاده الى مملكة الدنمارك والنرويج ولكن الابن اولاف مات فجأة في عام ١٣٨٧ . وتخلت مارجريت على احزانها لوقاة ابنها الوحيد واستخدمت كل حيلها الدبلوماسية حتى دعمت موقفها واصبحت هي الوصي على عرش الدنمارك والنرويج في غياب أي وريث شرعي للعرش ..

وأدركت مارجريت أن النبلاء لن يتركوها تنعم بهذا الوضع لفترة طويلة فقررت ان تتهنى

« أريك » ابن اختها وكان عمره لا يتجاوز ٦ سنوات لتعده كورث للعرش .

واستأنفت مارجريت جهودها لتحقيق حلمها الكبير في اقامة مملكة تشمل الدنمارك والنرويج والسويد فتحالفت مع النبلاء السويديين الذين قردوا على الملك اليرت .

وفى عام ١٣٨٨ وقع هؤلاء النبلاء معاهدة مع مارجريت اعترفوا فيها بها ملكة شرعية للسويد . وفى عام ١٣٨٩ تفجرت الحرب بين مارجريت والملك اليرت الذى انهزمت قواته ووقع أسيرا فى أيدي مارجريت وظل فى الاسر لمدة ٦ سنوات رغم ان مؤيديه تحالفوا مع عصابات القراصنة فى بحر البلطيق ولم يسلّموا العاصمة السويدية ستوكهولم الا بعد ٩ سنوات فى عام ١٣٨٩ .

وهكذا ، أصبحت مارجريت هى الحاكم الفعلى للدنمارك والنرويج والسويد بلا منازع ، واعلن اريك ابنها بالتبني ، ملكا للنرويج فى عام ١٣٨٩ ثم ملكا للدنمارك والسويد التى كانت تضم فنلندا أيضا ، فى عام ١٣٩٦ .

وتم تتويج أريك ملكا لمملكة اسكندنافيا فى مدينة « كالمار » جنوب السويد بحضور الشخصيات البارزة فى جميع الدول الاسكندنافية .

وكان بعض النبلاء فى الكامار ، قد اعلنوا معارضتهم لتزايد نفوذ مارجريت والسلطات المطلقة التى قارسها وتفجر صراع بين مبدئين سياسيين الاول هو مبدأ الملكية الوراثية المطلقة والذى يهبر عنه القانون المعروف بقانون التتويج ، والثانى هو مبدأ الملكية الدستورية الانتخابية الذى كان يحظى بتأييد بعض النبلاء وغيره عنه القانون المعروف بقانون الاتحاد .

وجاء تتويج الملك أريك فى « الكامار » انتصارا هائلا لمارجريت ولبدأ الملكية الوراثية المطلقة .. وأصبح قانون الاتحاد ، وهو أهم وثيقة فى القرون الوسطى دار حولها جدل المؤرخين ، مجرد رمز لمشروع انتهى بالفشل .

ورغم تتويج اريك ملكا للدنمارك والسويد والنرويج الا ان مارجريت ظلت هى الحاكم الفعلى لاسكندنافيا حتى وفاته .. وقد كان هدفها دائما هو تدعيم قوتها والحفاظ على الوحدة الاسكندنافية بحيث تكون الدنمارك هى مركز ثقل الدولة الموحدة .

كذلك نجحت مارجريت فى القضاء على معارضة النبلاء لنفوذها وفى الحد من سلطات مجلس الدولة واقامة شبكة من مؤيديها تسيطر بها على جميع المناصب والمواقع الهامة فى البلاد ..

وفرضت مارجريت الضرائب المبالغ فيها على الشعب كما صادرت ممتلكات الكنيسة ورغم ذلك نجحت هذه السياسة المتشددة فى تحقيق أهداف مارجريت الأمر الذى يشير الى قوة موقفها السياسى والمهارات الدبلوماسية التى كانت تتميز بها وصلابتها فى مواجهة أى تهديد لطموحاتها .

ولقد سيطرت مارجريت ايضا على الكنيسة الاسكندنافية من خلال علاقاتها الوثيقة بالقيادات

الدينية وأصبحت احد العناصر المؤثرة فى انتخابات الاساقفة التى لم تكن مجرد عملية دينية فحسب بل كانت لها أيضا ابعادها السياسية .

كذلك نجحت البراعة السياسية لمارجريت فى مجال الشؤون الخارجية .. فقد كان من اهم اهدافها فى هذا المجال وضع نهاية للتوسع الجرمانى فى شمال اوروبا وتأمين حدود الدنمارك الجنوبية . وقد نجحت فى تحقيق ذلك رغم ان الدبلوماسية لم تكن هى الوسيلة بل كانت الوسيلة هى الحرب التى لجأت اليها مارجريت لدعم اهداف سياستها الخارجية .

وقد دخلت مارجريت فى حرب مع هولشتاين ، وخلال الحرب ماتت فجأة فى مدينة فلينمنبورج وكان ذلك فى عام ١٤١٢ .

ان مارجريت واحدة من ابرز ملوك شبه جزيرة اسكنديناوة على مر التاريخ .. وقد استطاعت ان ترعى دعائم الأمن فى مملكتها وتتصدى لاطماع النبلاء الاسكندنافيين وامراء المانيا .. وكانت المملكة التى اقامتها بتوحيد الدنمارك والنرويج والسويد اسطورة تاريخية مبهرة وظلت هذه الوحدة قائمة حتى عام ١٥٢٣ بفضل المبدأ الذى اقترته مارجريت وهو الملكية القوية .



## إيزابيلا ..

### ملكة على عرش المتناقضات ١

كانت نموذجاً حياً للتناقضات .. تقوم بواجباتها كزوجة وأم وكأنها مجرد قروية لا هم لها سوى اسعاد أسرتها . وفى الوقت نفسه تهوى خوض الحروب والدخول فى معارك وكأنها مقاتل محترف لا يشغل فكره سوى الدرع والسيف .. فعلت كل ما تستطيع للحصول على الثروة والجاه ولكنها اجبرت نفسها وأفراد أسرتها على حياة التقشف وشطف العيش .

ارتبط اسمها بالتعصب الدينى فى القرن الخامس عشر واطلق عليها اسم « الملكة الكاثوليكية » وشهدت حياتها من الانتصارات بقدر ما شهدته من الهزائم وكما ارتبط حكمها بالعظمة والمجد . ارتبط أيضا بالخزى والعار

ولدت ايزابيلا فى عام ١٤٥١ وكان والدها هو الملك جوان الثانى حاكم مملكة « كاستيل » الاسبانية حيث لم تكن اسبانيا دولة واحدة فى تلك الايام بل كانت تتكون من عدة ممالك مستقلة . وكان من اهمها كاستيل أراجون وغرناطة .. وبينما كانت كاستيل وأراجون من الممالك المسيحية كانت غرناطة تحت حكم المسلمين باعتبارها آخر بقايا الامبراطورية الإسلامية فى الاندلس .

وقد تدرت ايزابيلا على كراهية المسلمين وكبرت حياتها كلها لطردهم من اسبانيا واخضاع جميع الاراضى الأسبانية الى السيطرة المسيحية .

وفى عام ١٤٥٥ ، مات والدها الملك جون تولى اخوها غير الشقيق هنرى عرش كاستيل .. وكان هنرى شخصا سيئ الخلق يتسم بالانانية ولم تكن ام ايزابيلا تحب ابن زوجها الذى أصبح ملكا فأخذت ابنتها التى عمرها ٤ سنوات فى ذلك الحين وأخذت أيضا ابنتها الفونسو وعاشت بهما بعيدا عن بلاط الملك هنرى .

كانت طفولة ايزابيلا كئيبة قائمة ، فقد قضت سنوات الطفولة فى بلدة اريفالو حيث لم تكن تتمتع بمباهج الحياة التى تليق بأميرة اسبانية .. والأكثر من ذلك ان الظروف المحيطة بها كانت كلها تدفعها نحو التدين الشديد خاصة بعد ان وفرت لها والدتها تعليما دينيا خالصا ، وخلال هذه الفترة زرعت فى نفس الطفلة ايزابيلا كل بذور التعصب تجاه غير المسيحيين لدرجة جعلتها تعتقد فى وقت لاحق ، ان مهمتها الوحيدة فى الحياة هى طرد المسلمين من اسبانيا ..

وعندما دخلت ايزابيلا مرحلة العبا تمت خطبتها للامير فرديناند ولى عهد مملكة اراجون الذى احبته بشدة لوسامته واصله التيبيل ، وكانت على ثقة من انه الرجل الوحيد فى العالم الذى يصلح زوجها لها .

كانت ايزابيلا تدرك أن زواجها من فريناند سيجعلها تجلس على عرش مملكة أراجون ذات يوم ورغم ذلك فلم تكن تحلم بأن تجلس ذات يوم على عرش والدها فى مملكة كاستيل لانه بعد وفاة أخيها غير الشقيق الملك هنرى من المفروض ان ينتقل العرش الى شقيقها الأصغر « الفونسو » .. ولقد ظلت والدة ايزابيلا تلح عليها ان تعد نفسها لاحتمال ان تصبح ملكة لكاستيل وربما كان هذا هو السبب فى ان ايزابيلا لم تنعم بطفولتها حيث حرصت أمها على ان تحيطها بالوقار والجدية استعدادا لاحتمال توليها عرش أبيها .

وفى عام ١٤٦٧ ، مات الفونسو شقيق ايزابيلا الأصغر وأصبحت ايزابيلا هى الوريث الشرعى لعرش « كاستيل » .. وبعد عامين ، أى فى عام ١٤٦٩ تزوجت من الأمير فرديناند ولى عهد مملكة اراجون .. ولقد ظلت ايزابيلا تحب فريناند لمدة ١٠ سنوات قبل ان تتزوجه .. وعندما رآته لأول مرة تنهدت فى ارتياح لانه كان نموذجاً لفتى الاحلام الذى تخيلته .. كان فريناند بصغرها بعام واحد ..

طويل القامة أشقر الشعر يتفجر شبابها وثقة بالنفس .. وكانت أقصى آماني ايزابيلا ان يحبها فرديناند بقدر ما أحبته .

وفي عام ١٤٧٠ ، أنجبت ايزابيلا طفلتها الأولى وبعد ٤ سنوات مات أخيها هنري ليصبح من حقها تولي عرش كاستيل وعمرها ٢٣ عاما وفي عام ١٤٧٩ توفي الملك هنري والد زوجها ليصبح زوجها فرديناند أيضا ملكا على عرش اراجون .. وهكذا توحدت المملكتان المسيحيتان ضد مملكة غرناطة المسلمة .. وسيطر على ايزابيلا اعتقاد بأن مهمة توحيد اسبانيا كلها تحت راية المسيحية قد القيت على عاتقها هي وزوجها .

كان فرديناند معجبا بشخصية زوجته ولكنه كان مستاء من التزايد المستمر لنفوذها وقوتها بدرجة تطغى على هيئته لذلك قرر مواجهتها وقال لمستشاريه : « لسوف اعلمها من هو السيد في هذه البلاد ومن هو صاحب الكلمة العليا ؟ » .

ولكن ايزابيلا لم تكن امرأة ساذجة من السهل ازاحتها والقضاء عليها .. فرغم حبها الشديد الا أنها كانت واعية تماما لحقيقة أنها ملكة مثله ومن حقها أن تتساوى به .

وعندما تفجرت المشكلات بينهما حول قضايا الحكم المشترك لكاستيل وأراجون قالت لفرديناند : « اذا انتصرت عليك وخسرت حيك فسوف أعتبر نفسي خاسرة » .

وبرغم حب ايزابيلا الشديد لفرديناند الا أنها رفضت الاستسلام لرغبته في السيطرة عليها .. وفي نفس الوقت حرصت ايزابيلا على استمرار اتحادها مع زوجها وقالت له : « اذا كان قد قدر لاتحادنا ألا يكون سعيدا فلنحاول ان نجعله ناجحا » ..

وكان هدفها بالطبع هو توحيد قرة مملكتي كاستيل وأراجون ضد المسلمين في غرناطة .. وفي عام ١٤٨٠ ، تصاعدت حملة ايزابيلا وفرديناند ضد الحكم الإسلامي في غرناطة وكانا سعيدين للغاية بالحرب الدموية التي اعلنتها ضد المسلمين والتي اعتبرها « حربا صليبية مقدسة » بين المسيحيين وغير المسيحيين .

من حيث المظهر ، كانت ايزابيلا ممتلئة بالاثروة وكأنها مخلوق هش بالغ الرقة ، ويقول المؤرخون : انها كانت جميلة الملامح حمراء الشعر ذات بشرة نضرة .. وكغيرها من النساء كانت ايزابيلا مفرمة بالملابس الأنيقة والمجوهرات الثمينة ولكنها كانت تتميز عن بقية النساء بحبها ايضا للسيف ، والدروع والاسلحة .. وكانت تحرص على مصاحبة زوجها في المعارك العسكرية ضد مسلمي غرناطة ، لذلك وصفت ايضا بأنها « الملكة المحاربة » وكانت ترفض بشدة اية محاولة لابعادها عن ساحات المعارك باعتبارها امرأة قاتلة : ان كونها امرأة لا يعنى التقليل من شأنها أو حرمانها من « شرف الاشتراك في الحرب الصليبية » .

وفى فترة الحملات الحربية نفسها انجبت ايزابيلا عشرة اطفال عاش منهم خمسة فقط لما بعد مرحلة الطفولة .. وقد تربي اطفال ايزابيلا وفرديناند فى المعسكرات الحربية حيث كانت اهمهم تعيش خلال غزواتها العسكرية .

وكان يوسع ايزابيلا ان تترك اطفالها بعيدا عن ساحات المعارك ليتسحروا وينعموا بحياة الامراء . ولكنها كانت حريصة على أن تشرف بنفسها على تربيتهم وتعليمهم وأن تزرع فيهم منذ الصغر معتقداتها الدينية والاجتماعية .. وكانت ايزابيلا حريصة ايضا على تربية جنودها وفقا لمعتقداتها فكانت تجبرهم على الصلاة فى كنائس خاصة اقامتها داخل الشكنات وتمنعهم من شرب الخمر او المقامرة .

ولقد وضعت ايزابيلا وفرديناند كل الأمل فى شخصية ابنها خوان الذى ولد فى عام ١٤٧٨ . وكان ولدهما الوحيد الى جانب اخوته البنات .. وتوقع الوالدان أن يحقق خوان كل الاحلام التى لم يتمكنوا من تحقيقها وانه ذات يوم سيعلم دولة اسبانية قوية موحدة لا يوجد بها اى شخص غير مسيحي ..

وبعد خوان ، كانت ايزابيلا تحب للغاية ابنتها خوانا وبدرجة اكبر من بناتها الثلاث الأخريات .. وكانت خوانا تشبه امها فى نواح عديدة فهى مزاجية متقلبة وملينة بالتناقضات .

ولقد تزوجت خوانا من فيليب أرشيدوق النمسا وانجبت منه ولدا ولكنها أصيبت بعد ذلك بالجنون وتم عزلها فى قلعة بمنطقة نائية ومنع والدها الملك فيليب اى اتصال بها .

ومن حسن حظ ايزابيلا انها لم تمس حتى ترى ابنتها الحبيبة وهى فى هذه الحالة المأساوية . ولكنها نالت ما يكفى من العذاب بعد ان مات ابنها الوحيد خوان أمام عينيها ولم يكن عمره يتجاوز ١٩ عاما وكان ذلك فى عام ١٤٩٧ .. ولقد اجتاحت الحزن ايزابيلا بسبب وفاة وحيدها وبدأت ترتدى ملابس الراهبات واصبح سلوكها بالغ الغرابة والازعاج لدرجة أن زوجها نفسه عجز عن تحملها وبدأ يبحث عن السعادة مع نساء أخريات ..

وفى مواجهة هذا الموقف ، ازداد التعصب الدينى لدى ايزابيلا وبدأت تفسر اعتماد زوجها فرديناند عنها على انه يرجع الى عدم تدينه ولم تحاول ان تبحث عن السبب الحقيقى الذى يجمع المؤرخون على انه كان هو الهوس والتعصب الدينى لايزابيلا والذى جعل زوجها يفيض به الكهل رغم انه كان ملكا متدينا أيضا .

ولقد مضت ايزابيلا الى اهدم من ذلك . عندما بدأت تطالب ابنتها الصغرى كاترين ، والتى اشتهرت فى التاريخ باسم كاترين داراجون ، بدخول الدير وعدم الزواج من أى رجل ، ولكن الابنة رفضت نصائح امها وتزوجت من هنرى الثامن ملك انجلترا .

ولقد كانت السنوات الاخيرة من حياة ايزابيلا نموذجاً للمعاناة والألم والعذاب .. ولكن قبل ان تبدأ هذه المرحلة المأساوية من حياتها ، حققت ايزابيلا انتصارين ، الاول تم فى ٢ يناير ١٤٩٢ عندما سقطت غرناطة فى ايدى قواتها ودخلتها ايزابيلا وزوجها فرديناند دخول الغزاة المنتصرين وارتركها اهبش المذابح ضد سكانها المسلمين . واجتاحت نشوة الانتصار مشاعر ايزابيلا وازدادت حدة تمصبها فأصدرت امراً لغير المسيحيين بالرحيل عن اسبانيا والا تعرضوا للموت وطالبت من يرغب فى البقاء باسبانيا من هؤلاء ان يتحول الى الديانة المسيحية .. وبناء على اوامر ايزابيلا ، اقيمت محاكم التفتيش الرهيبة التى حاكت أعداداً هائلة من غير المسيحيين من المسلمين واليهود بل وأتباع بعض المذاهب المسيحية غير الكاثوليكية بتهمة الهرطقة .. وكان أى شخص لا تقتنع هذه المحاكم الدينية بأجوبته يتعرض لأبشع صنوف التعذيب ويتم اعدامه .

ولقد استمرت محاكم التفتيش هذه فى اسبانيا لمئات السنين . وكانت هى المسئولة عن أسوأ موجة اضطهاد دينى فى تاريخ الإنسانية .. وكانت محاكم التفتيش أيضاً هى وصية العار الشنيع التى لطخت جبين الملكة ايزابيلا رغم تعدد خطاياها وكثرة أعمالها القبيحة .

ولقد ارتبط اسم ايزابيلا أيضاً بحدث آخر بالغ الأهمية فى التاريخ .. وفى عام ١٤٩٢ بدأ اسم الرحالة الشهير كريستوفر كولمبس يتردد على نطاق واسع وكان كولمبس قد ولد بمدينة جنوة الإيطالية عام ١٤٥١ .. ولقد ارتبط اسمه بتلك النظرية التى كان يدافع عنها فى كل مكان وهى ان الأرض كروية وليست مسطحة ولذلك كان يعتقد ان بوسعه اكتشاف طريق أقصر الى الشرق اذا ابحر فى اتجاه الغرب .. ولقد حاول كولمبس مراراً اقناع ملوك أوروبا بمساندة فكرته وتمويل هذه الرحلة ولكنهم كانوا يتهمون به بالجنون .

وفى عام ١٤٨٥ ، اتصل كولمبس بايزابيلا وقال لها انها اذا وافقت على تمويل الرحلة فسوف تصبح اسبانيا أغنى دولة فى العالم . واقتنعت ايزابيلا بالفكرة وطلبت من كولمبس ان يعود اليها مرة اخرى بعد ان تنتصر فى الحرب ضد مسلمى غرناطة .

وبالفعل عاد كولمبس بعد ٧ سنوات والتقت به هذه المرة فى غرناطة واعاد طرح الفكرة ولكن الملك فرديناند زوج ايزابيلا قال انه يرفض اتفاق كل هذه الاموال على مغامرة غير مضمونة .. وردت ايزابيلا قائلة : انها ستمول الرحلة من ميزانية مملكة كاستيل التابعة لها ..

وعندما علمت ايزابيلا بأن كولمبس يطالب ١٤ الف دولار لتمويل الرحلة بدأت تتردد ولكن كولمبس تخدعها وقال لها : ان ملك فرنسا مستعد لان يمول الرحلة اذا رفضت ملكة اسبانيا ذلك وهنا وافقت ايزابيلا على الفور لمجرد ان كولمبس لوح لها بإمكانية ان يجنى شخص آخر ثمار هذه الرحلة اذا نجحت .

ويقال ان ايزابيللا رهنّت كل مجوهراتها لجمع المبلغ الذى يحتاجه كوليس وبدأت الرحلة بالفعل يوم ٣ أغسطس ١٤٩٢ باسطول من ٣ سفن و ٩٠ رجلا .. وفى ١٢ أكتوبر اكتشف كوليس جزيرة سان سلفادور وبدلا من ان يصل الى الشرق كما كان يتوقع وصل كوليس العالم الجديد .. امريكا . وعاد كوليس الى ايزابيللا بدون الثروة التى وعدّها بها ولكنها لم تظهر استياء بل حثته على القيام بثلاث رحلات اخرى اكتشف فيها جزر بورتوريكو وجامايكا وقارتى امريكا الشمالية والجنوبية .

وفى جزيرة هسبانيولا ، اسبانيا الصغيرة ، اقام كوليس اول مستعمرة اوروبية فى العالم الجديد واطلق عليها اسم « ايزابيللا » .. وبعد ذلك تزايد عدد المستعمرات الاسبانية فى العالم الجديد واصبحت اسبانيا اقوى دولة فى اوروبا واحتلت ايزابيللا مكانتها فى التاريخ باعتبارها المرأة التى راхنت على حلم بحار صغير وكسبت الرهان .. وربما كان التاريخ قد سار فى اتجاه آخر لو كانت ايزابيللا رفضت قبول هذا الرهان .

وفى عام ١٥٠٤ ماتت ايزابيللا وكان عمرها فى ذلك الحين ٥٣ عاما .. وكانت خاتمة حياتها مأساوية وكأنها احدى شخصيات الأساطير اليونانية القديمة .. فقد مات ابنها الوحيد خوان وبدأ المرض يقضى على حياة ابنتها المفضلة خوانا واخذ زوجها فيليب يعاملها بمنتهى الازدراء والاذلال . والاهم من كل ذلك أن صرخات ضحايا محاكم التفتيش ظلت حتى النهاية تدوى فى أذنيها تلعنّها وتدعّر الله ألا يشمّلها برحمته جزاء - تعصّبها المقيت الذى يتعرض بشدة مع تسامح الأديان والتدين الحقيقى .

## فلورانس ناتينجيل ..

### امراة تضمد جراح الإنسانية المعذبة !

وفلورانس ناتينجيل لم تكن ملكة أو أميرة ولم تكن من الأدياء أو العلماء الكبار ورغم ذلك فسوف تظل الإنسانية تذكرها الى الأبد باعتبارها الرائدة الأولى لمهنة التمريض والمرأة التي حملت على عاتقها مسئولية الدخول في مواجهة ضد الألم ، وانحازت بشكل حاسم الى جانب المرح .. ضد الرصاص والسكين ..

كانت هي الابنة الثانية لويليام ادوارد ناتينجيل وفرنسيس سميت .. وولدت في ١٢ مايو ١٨٢٠ بمدينة فلورانس الإيطالية حيث كان يقيم والدها في ذلك الحين ، وانتقلت الأسرة بعد ذلك الى مدينة دريس شاير باقليم هامبشير في إنجلترا ثم استقرت في لندن .

وكانت أسرة فلورانس ناتينجيل على درجة من الثراء وتولى والدها بنفسه تعليمها خاصة اللغات . ولذلك أجادت اليونانية واللاتينية والفرنسية والإيطالية الى جانب الإنجليزية ثم درست التاريخ والفلسفة والرياضيات .

ومنذ نعومة أظفارها ، كانت فلورانس ناتينجيل محبة للتعلم والثقافة فقرأت الكثير من الأعمال الأدبية الكبرى بمختلف اللغات .. وكان اهتمامها واضحا بالعلوم الإنسانية والأدب الاجتماعي .. وفي ٧ فبراير ١٨٣٧ قالت لمن حولها : انها سمعت صوتا من السماء يبلغها بأنها لها مهمة محددة ستكرس لها حياتها .. وبعد ٩ سنوات عرفت تفاصيل هذه المهمة وبأنها تتلخص في محاولة تخفيف المعاناة عن المرضى والجرحى وضحايا الألم في كل مكان .

ولقد تركزت دراسة فلورانس ناتينجيل في مجال الصحة العامة والمستشفيات .. وفي عام ١٨٤٦ ارسل لها احد الاصدقاء الكتيب السنوي لاهد معاهد التمريض في ألمانيا وكان هذا المعهد متخصصا في تدريب الفتيات على رعاية المرضى والعناية بهم ، وبعد ٤ سنوات التحقت فلورانس ناتينجيل بهذا المعهد حيث حصلت على شهادة أخرى في التمريض .

وفي عام ١٨٥٣ تم تعيينها في وظيفة مشرف بمعهد رعاية المرضى من السيدات في لندن . وفي

هذا المعهد حققت نجاحا هائلا حيث كرس كل وقتها من أجل تحويل المعهد الى قطعة من الجنة تنعم فيها المريضات بالهدوء والراحة والنظافة والرعاية الكاملة .

ورغم هذا النجاح . كانت فلورانس ناتينجيل تطمح الى تقديم المزيد والمزيد فى مكان اكبر تستطيع ان ترعى فيه عددا اكبر من المرضى والجرحى .

وفى عام ١٨٥٤ تفجرت « حرب القرم » ووصلت القوات البريطانية والفرنسية المتحالفة الى شبه جزيرة القرم فى شهر سبتمبر من هذا العام .. وفى ذلك الحين ، اجتاحت الاستياء والسخط الرأى العام البريطانى بسبب التقارير التى ترددت حول الظروف السيئة التى يعانى منها الجنود البريطانيون الجرحى .. وترددت النداءات تطالب النساء الانجليزيات للتطوع كممرضات لرعاية الجنود الجرحى كما فعلت النساء الفرنسيات من قبل عندما شكلن جمعية « أخوات البر » التى لعبت دورا بارزا فى رعاية الجرحى من الجنود الفرنسيين فى هذه الحرب .

وكانت فلورانس ناتينجيل فى طليعة التطوعات البريطانية واستعدت للسفر على الفور الى القسطنطينية ومعها ثلاث ممرضات فقط واتصل بها سيدنى هربرت وزير الحرب البريطانى فى ذلك الحين وطلب منها أن تصحب معها عددا أكبر من الممرضات والبلغها رسميا بأنها ستكون مسئولة عن التمريض فى جميع المستشفيات العسكرية بتركيا .. وغادرت فلورانس إنجلترا على رأس بعثة الممرضات فى ٢١ أكتوبر ١٨٥٤ وبدأت مهمتها بالمستشفى العسكرى فى سكوتارى يوم ٥ نوفمبر .

ولدى وصولها الى هناك ، اكتشفت ان الجرحى من الجنود يعيشون فى ظروف صعبة حيث كانت المستشفيات العسكرية تفتقر لجميع التسهيلات .. وكانت عناير الجرحى مليئة بالذباب والفئران وكانت الحصة اليومية لكل جريح من الماء هى لتر واحد لجميع الاغراض .

ولاحظت فلورانس أن الاطباء العسكريين يتسمون بالصرامة ويتعاملون مع الجرحى على أنهم جنود فقط وكانوا لا يسمحون للممرضات بدخول عناير المصابين .. وفى يوم وصول فلورانس ناتينجيل تفجرت معركة كهري هى معركة « انكرمان » وتدفق الجرحى على المستشفيات بأعداد هائلة وكان هناك عجز كبير فى الأسرة والملابس والبطاطين وغيرها من المستلزمات الضرورية لأى مستشفى .. وكان الجرحى والمصابون يرقدون فى الأروقة على مراتب من القش وسط القاذورات وطفح مياه المجارى فى دورات المياه .

وبدأت مهمة فلورانس ناتينجيل فى هذه الظروف الصعبة بشراء مائتى مكنسة لتنظيف المستشفى وطلبت غسل الملابس المتسخة لجميع الجرحى خارج المستشفى .. واستخدمت الأموال التى أحضرتها معها من إنجلترا ٣٠٠ ألف جنيه استرلينى ، فى شراء كل ما يحتاجه المرضى بعيدا عن الاجراءات الروتينية التى كانت تقف عقبة امام الحملة الكهري التى قامت بها للقضاء على كل الصلبيات بالمستشفيات العسكرية .

وعندما كانت تصطدم بمشكلة تعجز عن حلها كانت لا تفرد في الكتابة الى اكبر المسؤولين بالحكومة البريطانية تطالبهم باسم الجنود الذين دفعوا دماهم من أجل الوطن ان يتدخلوا وكانت دائما تنجح في اقناع المسؤولين بمساندتها .

وفي نفس الوقت ، كانت فلورانس ناتينجيل حاسمة مع الممرضات العاملات معها .. فقد كانت تؤكد لهن في كل وقت القيمة الإنسانية الكبرى للعمل الذي يقمن به .. وعندما كانت تلاحظ أى خطأ في سلوك إحدى الممرضات لم تكن تتردد في مواجهتها بمتى الشدة والصرامة .. فقد قامت بترحيل إحدى الممرضات لانها ضبطتها مغمورة وعاقبت أخرى لانها لم تكن نموذجاً للممرضة الأخلاقية التي تحترم نفسها ومهنتها .

وكانت فلورانس ناتينجيل تقضى كل وقتها في عناير الجرحى والمصابين تتعامل معهم وكأنهم أخوة لها تكتب لهم الخطابات وتشير فيهم الأمل بقرب الشفاء والعودة للوطن وكانت أحيانا تقضى الليل كله بجانب أحد الجنود المصابين بانهيار عصبي حتى تهدئ من روعه ولا تتركه الا بعد أن يتام وكانت فلورانس ناتينجيل هي المرأة الوحيدة التي يسمح لها بدخول عناير الجرحى والمصابين بعد الثامنة مساءً لثقة الجميع في أخلاقها ولأن جميع الجنود كانوا يتعاملون معها باعتبارها شقيقة لهم .. لذلك أطلق عليها الجنود اسم « السيدة التي تحمل المصباح » لأنها كانت تنتقل بينهم في الظلام وهي تحمل مصباحا في يدها للاطمئنان على كل واحد منهم فإذا كان عطشانا سقته وإن كان يتألم حاولت التخفيف من آلامه .

وفي مايو ١٨٥٥ أصبح تفرض الجرحى والمصابين يحتل المرتبة الثانية من اهتمامات فلورانس ناتينجيل وصار اهتمامها الأول هو رعاية جنود الجيش البريطانى في جميع مجالات حياتهم الاجتماعية .. ولذلك انتقلت الى خط القتال الأول وهناك أصيبت « بحمى القرم » وهو نوع شديد من الحمى كان ينتشر بين الجنود خلال هذه الحرب .

ورغم مرضها الا انها لم تتوقف عن مهنتها الإنسانية ولقد تعرضت لمكائد عديدة من جانب كبار اطباء الجيش البريطانى الذين أحسوا أن ما تقوم به يتجاوز دورها كمستولة عن التمريض .. وفي ١٦ مارس ١٨٥٦ صدر قرار بتميعتها مشرفا عاما على مؤسسة التمريض بالجيش البريطانى .

وبعد انتهاء حرب القرم وخروج جميع الجنود المصابين من المستشفيات عادت فلورانس ناتينجيل الى إنجلترا حيث اعتبرت « بطلا قوميا » ولكنها رفضت أى شكل من أشكال التكريم وحفلات الاستقبال الفاخرة .. وعادت وحدها الى هامشير وقد عقدت العزم على شن حملة كبرى من أجل تحسين الظروف الصحية والغذائية والمعيشية للجنود الذين يضحون بحياتهم من أجل الدفاع عن الوطن ويعيشون في أقسى الظروف بينما يتمتع الآخرون بالحياة الرغدة .

ووجدت فلورانس ان المسئولين يتعاطفون مع حملتها على انها نوع من عمل الخير والاحسان ولكنهم لا يتحمسون للمعنى الى ما هو ابعد من ذلك فأعلنت في كل مكان ان ما تقوم به ليس عملا من اعمال الخير وانما هو محاولة لسداه الدين الذي يطوق به الجنود اعتناق الجميع .. وطلبت فلورانس لقاء الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا ورئيس الوزراء وكبار اعضاء الحكومة وفي النهاية نجحت في الحصول على وعد بتشكيل لجنة ملكية لتحقيق مطالبها .

وفي مايو ١٨٥٧ شكلت بالفعل اللجنة الملكية لرعاية جنود الجيش .. وقدمت فلورانس ناتينجيل تقريرا تفصيليا للجنة حول الاحتياجات الصحية والاجتماعية للعسكريين .

وقد نشر هذا التقرير في وقت لاحق عام ١٨٥٨ تحت عنوان « مذكرات حول الشئون الصحية وإدارة المستشفيات بالجيش الهىطانى » .

وكان من أهم النتائج التى اسفر عنها تشكيل هذه اللجنة هو تأسيس المدرسة الطبية العسكرية فى عام ١٨٥٧ .. وفى نفس الوقت قامت بتأسيس مدرسة فلورانس ناتينجيل للتمريض بمستشفى سانت توماس وكانت هذه هى اول مدرسة للتمريض فى العالم .

وخلال سنوات قليلة اشرفت فلورانس على العديد من البرامج التى خصصت لتدريب القابلات « المولدرات » والمرضات المتخصصات فى مختلف الامراض ومجالات الخدمة الصحية بذلت جهدا لتخريج جيل جديد من المرضات المتخصصات فى العمل بالمصحات ومراكز رعاية المعوقين والمحاربين القدماء ..

كل ذلك فعلته فلورانس ناتينجيل فى الوقت الذى كان الكثيرون يعتقدون انها على وشك الموت .. فمنذ عام ١٨٥٧ اصبحت فلورانس عاجزة عن الحركة وغير قادرة على مغادرة الفراش .. والغريب ان أحدا لم يعرف سبب العجز الذى كانت تعاني منه ولم يكن هناك مرض عضوى محدد اصابها وأدى بها الى تلك الحالة .

وقد ذكر البعض ان عجزها كان يرجع الى اسباب خاصة بالاعصاب . وقال البعض الآخر انها كانت تعتمد ادعاء الاصابة بالعجز حتى تستطيع ان تركز كل وقتها للإشراف على مهامها تجاه المرضى والجرحى والمصابين حتى ولو كانت تقوم بذلك وهى فى الفراش ..

ويحترض الكثيرون من المؤرخين على هذا رأى ويؤكدون ان فلورانس ناتينجيل كانت مصابة بالشلل نتيجة لمرض خامض والدليل على ذلك أنها بدأت تفقد بصرها تدريجيا حتى اصبحت عمياء تماما فى عام ١٩٠١ ..

وفى عام ١٩٠٧ منحتها ملك بريطانيا وسام الاستحقاق وكانت هى اول امرأة تحصل على هذا الوسام .

وفي ١٢ أغسطس عام ١٩١٠ ماتت فلورنس ناتنجيل .. وجرى الاستعدادات لترتيب جنازة قومية كبرى من أجلها ولدفنها في مقابر دير وستمنستر حيث يدفن عظماء بريطانيا ولكن وصيتها كانت صريحة وهي الا يكون هناك أى شكل من أشكال التكريم لها بعد موتها .. وتم دفنها في مقبرة أسرتها بهامشير وكان الطلب الأخير لها هو ان يحمل نعشها ثلاثة من جنود الجيش البريطانى وتحقق لها هذه الرغبة الأخيرة .. وهكذا ، انتهت حياة « المرأة ذات المصباح » وهي الحياة التى كرستها لمحاربة الاكف وتضديد الجراح التى تصاب بها الإنسانية من جراء الحروب والمعارك والصراعات .

\* \* \*

١٤

## اليزابيث الأولى .. رجل الدولة المحنك !!

اتسماز التاريخ للأقوياء يعكس حتمية استمرار الحياة .. لأن هؤلاء الذين ينتصرون على المحن والأزمات يخرجون منها وهم أكثر قدرة على الدفاع عن الحياة ودفع عجلة التقدم والحضارة نحو ذلك الأفق النوراني الجدير بالإتسانة .. ولقد كان هذا بالتحديد هو جوهر حياة الملكة بريطانيا التى انتقلت من السجن الى العرش .. الى الخلود .

ولدت اليزابيث الأولى فى القصر الملكى بجرينتش يوم ٧ سبتمبر ١٥٣٣ وتولت العرش يوم ١٤ يناير ١٥٥٩ .

روالدها هو الملك هنرى الثامن وأماها آن بولين الزوجة الثانية لهذا الملك الذى دخل فى صراع مرير مع بابا روما وانشق على الكنيسة الكاثوليكية بسبب تعدد زيجاته .

ومنذ ولادتها لم تجد اليزابيث ترحابا أو قبولا خاصة من جانب والدها الذى كان يرغب فى الحجاب طفل ذكر ليخلفه على العرش البريطانى ويحفظ اسم أسرة تيودور من الاندثار وكانت آن بولين قد أجهضت فى ولد قبل ان تلد اليزابيث فغضب الملك هنرى غضبا شديدا وحملها مسئولية الاخفاق فى الحجاب ورث للعرش ويحول غضب الملك هنرى الثامن على زوجته آن بولين الى كراهية شديدة انتهت باعدامها . وقد أعلن الملك هنرى أن اليزابيث ابنة غير شرعية وتعامل على هذا الأساس بما جعلها

تفتقد حنان الأب والأم وتقضى سنوات طفولتها مع الخدم والمربيات . ورغم ذلك كانت الطفلة اليزابيث بالغة الذكاء . فأخذت تنهل من بحر العلم والثقافة وأجادت اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية والاطالنية الى جانب الانجليزية .

وفى عام ١٥٤٧ توفى هنرى الثامن وخلفه على العرش ادوارد السادس ابنه من زوجته الثالثة . ولم يكن عمره يتجاوز ١٠ سنوات بينما كان عمر اليزابيث فى ذلك الحين ١٤ عاما . ولقد ظل ادوارد على عرش بريطانيا لمدة ٦ سنوات ثم خلفته اخته الكبرى مارى وهى ابنة هنرى الثامن من زوجته الأولى كاترين أولف اراجون . ولقد تفجر الصراع بين الاختين مارى واليزابيث حيث اتهمت الملكة مارى اختها اليزابيث بالتآمر مع البروتستانت للاطاحة بها من على العرش لأنها كاثوليكية المذهب . ولقد كانت الملكة تدرك أن أختها عنيدة فأمرت بالقبض عليها ووضعها فى السجن . وبعد وساطات عديدة وافقت على اطلاق سراحها بشرط أن توافق اليزابيث على الزواج من دون سافوى .

وكان هدف مارى واضحا وهو تزويج اختها من احد انصارها حتى تضمن انها لن تتحرك ضدها مستقبلا ولكن رد اليزابيث كان حاسما فقد اعلنت انها تفضل السجن على الزواج بالاكراه . وفى عام ١٥٥٨ توفيت الملكة مارى وأصبح من حق اليزابيث أن تتولى العرش البريطانى رغم وصية الملك هنرى بالآلا يحدث ذلك واعتبارها ابنة غير شرعية ، ولم يكن هناك مفر من تولي اليزابيث للعرش لأنها كانت هى آخر ورثة أسرة تيودور الذين يحق لهم تولي الحكم .

وعندما تم تزويج اليزابيث ملكة فى عام ١٥٥٩ كان عمرها حوالى ٢٥ عاما .. ورغم ذلك فقد كانت لديها خبرات هائلة اكتسبتها خلال فترة سجنها وتعاملها مع السياسة ونبلاء البلاط ، ولقد وصفت المراجع التاريخية اليزابيث الأولى بأنها كانت اشبه بمرجل دولة محنك . وبدأ حكم اليزابيث باصلاح الاحوال الاقتصادية لبريطانيا فتم تخفيض نفقات البلاط والحكومة وعملت على انشاء اسطول بحرى قوى مما دعم سلطتها كملكة قوية لدولة قوية .

ونتيجة لطبيعة العناد وحب السيطرة لدى اليزابيث الأولى دخلت فى معارك عديدة مع البرلمان . وكانت أكبر هذه المعارك هى تلك التى تفجرت عندما طالبها اعضاء البرلمان بضرورة الزواج حتى تنجب ورثا للعرش وحتى لا ينتقل الحكم الى ابنة خالتها مارى ملكة سكوتلندا التى كانت كاثوليكية المذهب .

ولقد كان موقف اليزابيث غريبا من الزواج ، فقد رفضت أن تتزوج رغم ان ملوك أوروبا كانوا يتهافون على طلب يدها وكان من بينهم ملك السويد وملك اسبانيا .

ولا يعرف أحد حتى الآن السبب الذى جعل اليزابيث تتخذ هذا الموقف ضد الزواج وربما كانت لجمرة امها آن بولين مع والدها هنرى الثامن ماثلة فى اذهانها وتشكل عقبة نفسية امام فكرة ارتباطها بأى

رجل معتقدة أن مصورها ربما يكون هو المفصلة كما حدث مع أمها .

وربما كانت شخصية اليزابيث الأولى ترفض فكرة أن يسيطر أحد عليها حتى ولو كان زوجها وهذا التفسير منطقي في ضوء عشق اليزابيث للسلطة والسيطرة والنفوذ لدرجة أنها كانت لا تتحدث الى احد من وزرائها الا وهو راكع عند قدميها .

وقد ثارت مشكلة ذات يوم عندما صفعت احد النبلاء على وجهه امام الحاشية واحس هذا النبيل بهانة شديدة فاهتمد عن البلاط وقال : انه مستعد للعمل في خدمة صاحبة الجلالة ولكنه ليس مستعدا لأن يكون عبدا لها .

وهناك دلائل عديدة تشير الى ان اليزابيث الأولى احبت رجلا واحدا هو ايرل اوف ليشستر ولكنه كان متزوجا ، وعندما ماتت زوجته ترددت شائعات بأنه هو الذي قتلها حتى يتزوج من الملكة فخافت اليزابيث أن تتهم بالمشاركة في هذه الجريمة ولم تتزوج منه .

ولقد احاطت اليزابيث نفسها بالمعجبين والمتفانين ايضا وكانت تتحول الى امرأة حقيقية لدى سماعها للكلمات الاطراء والاشادة بجمالها .

كما كانت مفرمة بالمجوهرات والملابس الغالية ويقال انها كانت تملك ٣ آلاف فستان وكميات هائلة من الحلى والجواهر كما كانت تهوى الصيد والرقص وتمتني بجمالها بشكل مهالغ فيه وتستخدم الشعر المستعار « الباروكة » .

ولقد كان نهج الملكة اليزابيث في الحكم هو الحل الوسط خاصة أنها كانت تتولى السلطة في ظروف حرجية يتصارع فيها الكاثوليك والبروتستانت والمتطرفون الدينيون المعروفون بالهيويوتان . وكان الكاثوليك يطالبون بأحقية ماري ملكة اسكوتلندا الكاثوليكية في تولي عرش انجلترا .

ورغم ذلك فقد كانت اليزابيث حاسمة بل وعنيدة في المواقف التي تتطلب القوة والحسم ومثال على ذلك خلافتها مع بابا روما الذي قرر حرمانها من الكنيسة في عام ١٥٧٠ .

فعندما تولت اليزابيث الأولى العرش ، أرسلت الى بابا روما تليفه بأنها اصبحت ملكة على بريطانيا وانفجر غضب البابا لانها لم تليفه من قبل وواتتها الجراءة على تولي العرش دون اذنه المسبق وردت اليزابيث على ذلك بأن تحدث البابا واطلقت على نفسها لقب « راس الكنيسة » واختارت شعارا لها على العملة البريطانية هو « على الله توكلت » ومضت في خلافتها مع البابا الى النهاية .

ولقد اثبتت الملكة اليزابيث الأولى قدرة هائلة على مواجهة المواقف الصعبة .. فقد لاحظت ان المبشرين والوعاظ الدينيين يسيرون البلبلة بين الناس ويعملون على تعميق الخلافات المذهبية من خلال التفسيرات والآراء الدخيلة التي يحمونها على جرح الاديان فاعلنت انها لا تكره شيئا قدر

كراهيتها للوعظ والوعاظ واصدرت مرسوما ملكيا بالا يحارس أى شخص الوعظ أو الدعوة الدينية قبل ان يحصل على ترخيص رسمى بذلك . وقالت اليزابيث فى ذلك الحين ان الملكة البريطانية بأسرها لا تحتاج لأكثر من اثنين أو ثلاثة من الوعاظ .

وحول علاقة الملكة اليزابيث الأولى بشعبها ترددت الكثير من الروايات التاريخية التى وصلت الى درجة التناقض .

فقد قيل انها كانت رحيمة بالناس لانها انتقلت من السجن الى العرش وفى نفس الوقت تردد أنها كانت قاسية حيث أعدمتم المئات بتهمة الخيانة العظمى وعلقت رموسهم لأيام على جسر لندن الشهير حتى يكونوا عبرة لمن يعتبر .

ويقول كتاب تاريخ الشعب الانجليزى : ان اليزابيث لم تكن تعرف الحذر او ضبط النفس وانها كانت تنطلق معبرة عن مشاعرها دون حرص او روية لدرجة انها كانت تهدى اعجابها بالشباب ذوى الملامح الجميلة وتغازل حبيبها لورد ليشستر أمام حاشيتها دون خجل .

ورغم ذلك . فليس هناك شك فى أن العصر اليزابيثى كان من أزهى العصور فى التاريخ البريطانى فتحت حكمها تحولت بريطانيا من دولة من الدرجة الثانية الى قوة أوروبية وعالمية من الطراز الأول وانتصر الأسطول البريطانى على الأسطول الأسبانى الشهير « الأرمادا » فى موقعة بحرية عام ١٥٨٨ بفضل اهتمامها الكبير بدعم القوة البحرية لبريطانيا باعتبارها المدخل الرئيسى لعالم الدول الكبرى فى ذلك الحين .

ولقد كان تأثير اليزابيث على عصرها هائلا خاصة فيما يتعلق بازدهار الفنون والآداب وكان من نتاج هذا العصر الشاعر الانجليزى الكبير وليم شيكسبير لا غيره من عظماء الأدب والفكر والفلسفة فى كل العصور من أمثال سير فيليب سيدنى وكريستوفر مارلو وفرنسيس بيكون وادموند سبنسر وغيرهم .

ومن الحقائق التاريخية الثانية ان اليزابيث الأولى كانت مفرمة بالثقافة والآداب لذلك شجعت الشعراء والمبدعين فى كل المجالات واهتمت بالفنون التشكيلية وحثت الرسامين على الابتاع ولكنها عندما رأت الصور التى رسموها لها بعد ان تقدم بها العمر أصيبت بالفزع والازعاج لأن الرسامين لم يظهروها بدرجة الجمال التى كانت تنشدها فهرعت الى المرأة واكتشفت بنفسها الحقيقة المرة التى كانت تحاول الهروب منها فقصت السنوات الأخيرة من حياتها وهى ترفض النظر فى المرأة .

ولقد قدم لاليزابيث الأولى فى عام ١٥٦٠ أول جوب نساتى من الحرير صنع فى بريطانيا وفى عهدها دخل الدخان « الطباق » الى بريطانيا لأول مرة على يد الرحالة سير والتر رالى الذى راى الملكة على أنه يستطيع ان يعرف وزن الدخان الذى يتصاعد اثناء عملية التدخين . وقبلت الملكة

الرهان وقام السير والتر رالي بوزن الطباقي قبل التدخين ثم جمع الرماد المتخلف بعد التدخين وكان الفرق بين الوزنين هو وزن الدخان وبذلك كسب الرهان .

وقى عهد اليزابيث الأولى أيضا أتم سير فرانسيس دريك رحلته حول الأرض وارتبطت بريطانيا لأول مرة بعلاقات دبلوماسية رسمية مع روسيا وتركيا حيث أرسلت اليزابيث سفيرين المجلزين الى هاتين الدولتين .

ولقد ظل موقف اليزابيث الراض للزواج ثابتا حتى النهاية فلم تتزوج قط رغم الضغوط التي تعرضت لها ورغم ادراكها ان عدم النجاش وريثا للعرش سيعنى انتقال العرش اليرطاني من أسرة تيودور الى أسرة ستيوارت . ولقد حدث ذلك بالفعل وخلف اليزابيث على العرش الملك جيمس السادس ملك اسكتلندة وابن عدوتها الملكة ماري الاسكتلندية .

فى شهر شهر مارس عام ١٦٠٣ أصيبت اليزابيث بالحمى ولفظت أنفاسها الأخيرة وهى فى التاسعة والستين من عمرها بعد ان قضت ٤٥ سنة على العرش وموتها انقضى عهد أسرة تيودور فى حكم بريطانيا .

لقد كان عصر الملكة اليزابيث الأولى بحق هو عصر الشجاعة والعبقرية فى بريطانيا . ولقد أثبتت هذه المرأة القوية ان ما يتردد عن عجز المرأة وضعفها الطبيعى هو مجرد أسطورة بلا أساس . ورغم كل السلبات التى ترددت عن حكم اليزابيث إلا أن دعمها للثقافة وتشجيعها للعلوم ومساندتها للابداع سظل الى الابد علامات مضيئة تشير للأجيال الى « العصر اليزابيثى » .. عصر الشجاعة والعبقرية .

## دليلة ..

## الحقيقة والاسطورة

في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، قكن الفلسطينيون وهم السكان الأصليون في أرض فلسطين من الحاق هزيمة كبرى بعصابات اليهود التي كانت تحاول الاستيلاء على أراضيهم .. واستبعد الفلسطينيون اليهود قرابة ٤٠ عاما .. وظل اليهود على هذا الوضع دون أن يغير ذلك من رغبتهم الدفينة في القضاء على الفلسطينيين والاستيلاء على أراضيهم .

والقصة الشهيرة التي تتردد في كتب التاريخ والأساطير حول شمشون ودليلة ، هي خير مثال على طبيعة هذا الصراع القديم بين الفلسطينيين اصحاب الأرض والأطماع اليهودية التي لم تتوقف حتى يومنا هذا .. وربما يكون من المفيد الإشارة الى هذه القصة كما وردت في دائرة المعارف اليهودية « الطبعة الانجليزية ص ٧٧١ » ..

ووفقا لهذه الرواية التي تستند الى التوراة والتلمود فان دليلة كانت امرأة فلسطينية من غزة ارتبطت بعلاقة مع شمشون ثم تسببت في القضاء عليه .. ولم يكن من الغريب ان تصف الادبيات اليهودية دليلة بأنها امرأة خائنة وفاسقة رغم ان مراجعة الدور الذي قامت به دليلة في ضوء تطورات الصراع الفلسطيني الصهيوني قد تغير كل الأحكام السابقة التي أصدرها المؤرخون لادانتها وربما ايضا تجعل منها أول امرأة تشارك بفعالية في هذا الصراع .

والقصة تبدأ بأحد قضاة اليهود وكان يدعى « منوح » كانت زوجته عاقرا فشلت في الانجاب بعد عشرات السنين من الزواج ولأسباب مجهولة ظهر ملاك لهذه المرأة اليهودية وأبلغها بأنها ستلد طفلا وان طفلها سيكون نذرا للرب . وامتنعت المرأة على الفور عن تناول النبيذ أو أية اطعمه غير طاهرة حتى لا تدنس حملها .

وعندما وضعت الطفل أطلقت عليه اسم « شمشون » وهو اسم مشتق من كلمة « شش » بالعبرية وتعني الشمس . ونذرت الام إلا تقص شعر رأس الطفل مدى الحياة .

وتقول دائرة المعارف اليهودية أن الملاك أبلغ الأم بأن شمشون سيقف الى جانب بني اسرائيل ضد الفلسطينيين وبأنه سيكون خارق القوة .

ورغم ان الأدبيات الصهيونية تحاول استغلال اسطورة أو قصة شمشون للتعبير عن كراهيتها الشديدة للفلسطينيين الا أن ما ذكرته عن صراعات شمشون ضد الفلسطينيين يؤكد ان الفلسطينيين هم أصحاب أرض فلسطين وبعد اعترافا من الصهاينة بأن الفلسطينيين عاشوا على هذه الأرض قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين .

وتعنى قصة شمشون لتحكى عن القوة الاسطورية التى كان يتمتع بها . وتقول انه ارتبط فى حياته بثلاث نساء فلسطينيات وكانت الأولى فتاة من منطقة ثمة أحبها شمشون وطلب من والده تزويجه منها ولكن عنصرية الوالدين جعلتها يرفضان زواج أيهما من فلسطينية .

وألح شمشون على والده وتمسك بهذه الفتاة فوافقا فى النهاية كارهين وذهبا معه الى ثمة التى تسمى اليوم ثمة جنوب غربي بيت شمس .

وقبل أن يدخل شمشون الى القرية هاجمه أسد فانتفض عليه شمشون وقتله .. وبعد فترة عاد الى موقع هذه المعركة فشاهد سربا من النحل يتجمع على جثة الأسد وشيد فيها خلية يسيل منها العسل .

وإثناء حفل زفاف شمشون أخذ يتسامر مع بعض الشبان الفلسطينيين فراحنهم على ان يقول لهم لغزا اذا عرفوا تفسيره خلال الايام السبعة الأولى التى يستغرقها العرس أعطاهم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة من الثياب وان عجزوا أعطوه هم نفس الزمان .

وقال شمشون للغز وهو : « من الأكل خرج مأكول ومن الشرس خرجت حلاوة » .. وعجز الشبان الفلسطينيون عن حل اللغز وطلبوا مساعدة عروس شمشون باعتبارهم فلسطينية مثلهم لتعرف منه الحل وتبلغهم به .

وتعنى القصة اليهودية فتقول ان عروس شمشون الفلسطينية بذلت كل جهدها حتى عرفت منه حل اللغز . وهو خلية النحل التى شاهدها فى جثة الأسد .

وفى اليوم السابع اجاب الفلسطينيون على لغز شمشون فعرف ان عروسه أقشبت سره لقومها من الفلسطينيين واتهمها بالخيانة وقتل ٣٠ فلسطينيا من الشبان الذين كانوا يتسامرون معه ثم هجر عروسه وعاد الى عسقلان !!

هكذا . حتى السر واللغو يتحول بفضل العنصرية الى قتل ودماء .. ويقتل شمشون ٣٠ فلسطينيا بسبب بسيط هو أنهم عرفوا حل اللغز عن طريق عروسه !!

ولا يتوقف الامر عند ذلك . فبعد فترة يحاول شمشون العودة لزوجته الفلسطينية ولكنه يعلم أنها تزوجت من شخص آخر بعد أن تركها فيقرر الانتقام !!

قضى القصة اليهودية فنقول ان شمشون قيد ٣٠٠ من الثعالب فى أزواج من ذيرلها ثم أشعل فيها النار وأطلقها فى حقول الفلسطينيين ليدمرها ثم يتوجه الى بيت عروسه السابقه فيقتل جميع افراد اسرتها !!

وتجمع الفلسطينيون على شمشون وتمكنوا من أسره وتقييده بالحبال ولكنه يمزق هذه الحبال ويقتل ١٠٠٠ فلسطينى بفك حمار ميت !!

هكذا دائما كان . وما زال وسيظل مفهوم البطولة لدى اليهود هو سفك الدماء خاصة اذا كانت دماء عربية أو فلسطينية .

وتقول دائرة المعارف اليهودية : ان شمشون ارتبط بعد ذلك بعلاقة مع فلسطينية أخرى من غزة ولكنه اهتمد عنها بعد أن شك فى ان الفلسطينيين يديرون خطة للقضاء عليه أثناء خروجه من منزلها .

أما ثالث امرأة فلسطينية فى حياة شمشون فكانت هى دليلة .. ودليلة هذه كانت تعيش فى منطقة تدعى وادى سوريك ، وكانت رائعة الجمال فأصبح شمشون لا يستطيع الابتعاد عنها .

ووفقا للقصص والأساطير اليهودية فإن الفلسطينيين كانوا يرغبون فى معرفة سر قوة شمشون بن منوح ، فطلبوا من دليلة عمل المستحيل لمعرفة هذا السر وبذلت دليلة ثلاث محاولات لاغراء شمشون بالكشف لها عن سر قوته ولكنه كان يرفض فى كل مرة .. وأخيرا نجحت فى أن تعرف منه هذا السر ..

قال شمشون لدليلة : أن قوته تكمن فى شعره الذى نذرت أمه للرب إلا تقصه له طوال حياته . وبعد أن نام شمشون قامت دليلة بقص ضفائره السبع وهجم عليه الفلسطينيون بعد أن فقد قوته وأمسكوا به حتى ينتقموا منه .. وأصيب شمشون بالعوى نتيجة للتعذيب والأسر لدى الفلسطينيين ..

وذات يوم تجمع الآلاف من الفلسطينيين داخل المعبد للاحتفال بأحد اعيادهم الدينية وأحضروا شمشون لاهائنه والسخرية منه خلال هذا الاحتفال .. خلال هذه الفترة كان شعر شمشون قد نما مرة أخرى واستعاد قوته دون أن يعرف احد .. وطلب شمشون من الشخص الذى يقوده أن يرشده الى أعمدة المعبد وقام بتلاوة صلاة يهودية استعدادا للانتقام ودفع أعمدة المعبد بيديه القويتين مطلقا صرخته الشهيرة « على وعلى أعدائى » وهدم المعبد على رؤس الجميع ومات هو أيضا مع ثلاثة آلاف من الفلسطينيين .

ان قصة أو أسطورة شمشون ودليلة محتوى بلا شك على الكثير من المبالغات .. ورغم ان المبالغة

سمة أساسية في الأساطير برجه عام الا أن المبالغات في هذه الأسطورة بالتعدي ليست عفيفة أو عشوائية بل هي بالغة الخبث والدناء .

قال يهود دائما يروجون لاكثوية ان « الرب » كان معهم مهما ارتكبوا من جرائم ومهما تخضعت أيديهم بدماء الأبرياء .. وهم يطرحون فكرة السورمان أو « البطل الخارق » الذي لا يقهر سواه . كان هذا « البطل » هو شمشون الذي يحرق الحقول ويقتل امرأة زوجته ويهدم المعبد على رؤوس ٣ آلاف فلسطيني ، أو كان هو أريل شارون الجنرال الاسرائيلي السفاح الذي يقتل الاطفال العرب والفلسطينيين ويحرق مخيمات اللاجئين العزل .

خيوط طويل متصل منذ آلاف السنين ومؤامرة تاريخية بدأت قبل الميلاد بآلاف السنين ولا يعرف أحد متى ستنتهي !

أما بالنسبة لدليلة ، تلك المرأة الفلسطينية التي شاركت قومها في مواجهة شمشون عدو الفلسطينيين ، فرما تكون دليلا آخر على تزيف التاريخ واخضاع أحداثه لوجهات نظر غير موضوعية تخدم أهدافها شريرة وخبثية القصد .

ان معظم كتب التاريخ والأعمال الأدبية والفنية التي تناولت شخصية دليلة تشير اليها دائما باعتبارها المرأة الخائنة التي استخدمت جمالها لاغراء شمشون اليهودي على ان يبيع لها نفسه . ورغم ان التوراة ذاتها لم تحدد جنسية دليلة الا ان الادبيات اليهودية والصهيونية تؤكد دائما انها كانت فلسطينية .

والكتب اليهودية تصف دليلة بانها كانت « عاهرة » وتدينها بكل قوة في نفس الوقت الذي تقدس فيه شخصية شمشون وتدفعه الى مرتبة النبوة دون أن يؤثر في ذلك عشقه للعاهرات ، دون أن تتعارض « قداسته » المزعومة مع مجونه ولهوه وعلاقاته النسائية الآثمة !

ومع قبول الرأي القائل بأن دليلة كانت فلسطينية فإن وقوفها مع قومها الفلسطينيين في مواجهة عدوهم الجبار شمشون كان عملا وطنيا ولا يمكن أن يعد خيانة لانه ببساطة يتفق مع انتمائها وهويتها الفلسطينية .

ورغم ذلك ، فإن سيطرة المؤرخين اليهود والصهيانية على الفكر والتراث الانساني في العالم أدت الى قلب الحقائق ومطالبة دليلة بأن تكون مخلصه لشمشون اليهودي وبأن تخون قومها وكأنها تحاول الزعم بأن كل خيانة مقبولة ما عدا خيانة اليهود وان خدمة اليهود والولاء لهم واجب على كل انسان حتى لو تعارض مع وطنيته ومهما تناقص مع انتمائه الطبيعي .

والسؤال الآن هو : هل كانت دليلة حقا ضحية من ضحايا التاريخ ؟

الاجابة : بالطبع . ليست سهلة لأن هناك آلاف من السنين مرت وفي كل يوم منها كان العالم يقرأ ويسمع الروايات اليهودية التي تدينها بكل قوة وتطلب من الجميع أن يلعنوها .

وربما يكون الأمل الوحيد لدليلة هو إعادة النظر في الكثير من القصص والروايات التاريخية التي يعتبرها العالم الآن من المسلمات التي لا تقبل المناقشة .

وهذه الخطوة مطلوبة بالحاح ليس فقط من أجل الدفاع عن دليلة التي ربما كانت هي أول فدائية في الصراع الفلسطيني اليهودي ، بل أيضا من أجل تنقية الفكر والتراث الأنساني من كل الأكاذيب والأساطير الخبيثة التي لا تستهدف فحسب تشويه تاريخ الأنسان وإنما تسعى بمكر ودهاء . للتحكم في حاضره مستقبل أيضا .

\* \* \*

١٦

## مدام توسو ..

### عاشقة الجمال والإبداع

مدام توسو ، التي يحمل متحف الشمع الشهير في لندن اسمها ، حتى الآن ، فهي امرأة دخلت التاريخ لسبب بسيط هو انها قررت أن تكرس كل حياتها من أجل خدمة التاريخ .

اسمها الحقيقي آن ماري جروشولتز . ولدت في سويسرا عام ١٧٦١ . ومنذ طفولتها عرف عنها الذكاء والقدرة على عمل تماثيل من شمع النحل حيث تعلمت هذا الفن على يد عمها الدكتور فلبليپ كيرتيوس الذي كان خبيرا في هذا المجال . ولقد كانت السمة المميزة لتماثيل الشمع التي ابدعتها الفتاة آن ماري هي الحموية الشديدة وقرنها الواضح من الأصل ليس من ناحية الملامح فحسب بل أيضا من حيث الشخصية وخصائصها النفسية .

بدأت آن ماري في صنع أول تماثيل متكامل وهي في سن السابعة عشرة وكان تماثالا لأديب فرنسا العظيم فولتير .. وبعد فترة قصيرة ذاعت شهرتها وأصبحت من أقرب أصدقاء الملك لويس السادس عشر ملك فرنسا وزوجته ماري انطوانيت .

ولقد دفعت آن ماري ثمنها باعظا لهذه الصداقة خاصة بعد سقوط لويس السادس عشر عن العرش ، ففي عام ١٧٨٩ كانت في باريس عندما قامت الثورة الفرنسية واقتحمت الجماهير سجن الباستيل الرهيبة وتم اطلاق سراح جميع المسجونين . وبعد ذلك توجه الثوار الى القصور الملكية الفرنسية واقتحموا قصر التويلري وشهدت فرنسا حمامات دم لم يسبق لها مثيل لافراد طبقة النبلاء وأنصار الملكية . وعندما تصاعدت هذه المذابح وأصبحت المفصلة رمزا لهذه الفترة التي أطلق عليها « عصر الأراهاب » حدثت موجة هروب واسعة النطاق لافراد الأسرة المالكة والنبلاء وكل من ارتبط اسمه بهم . وقد رفضت آن ماري الهروب كغيرها وقررت البقاء رغم أن الجميع كانوا يتوقعون أن تساق الى المفصلة كغيرها من ارتبطوا بالعهد الملكي .

وبالفعل تم اعتقال آن ماري جروشولتز انتظار لتنفيذ حكم الاعدام فيها بين لحظة وأخرى ولكن موهبتها الفنية هي التي انقذتها من هذا المصير المروع . فقد رأى الثوار ان هذه الموهبة يمكن الاستفادة منها في خدمة الثورة .

كان قادة الثورة الفرنسية يحرصون على عرض رموس انتصار الملكية التي تطيح بها المفصلة في الاماكن العامة . وفكر هؤلاء القادة في عمل نماذج لهذه الرموس حتى تعرض في كل مدن فرنسا وهنا كانت تكمن مهمة آن ماري جروشولتز . وبينما كانت آن ماري تنتظر مصيرها المؤلم في سجن لافورس بعد ان حلقوا لها شعرها استعدادا لأعدامها بالمفصلة . توجه اليها وقد من الثوار وأهلقوها بالمهمة التي ستكلف بها . وطلبوا منها عمل تماثيل لرأس الملك لويس السادس عشر وزوجته ماري أنطوانيت لعرضهما على الجماهير في مدن فرنسا الأخرى تأكيدا لانتصار الثورة .

ووقفت آن ماري أمام رأسي صديقيها لويس السادس عشر وماري أنطوانيت وأخذت في عمل التماثيل بأصابع مرعجة ودموع لا تتوقف . ومازال هذان التمثالان حتى الآن في متحف مدام توسو بلندن .

واستمرت آن ماري تصنع التماثيل لرموس أعز أصدقائها من النبلاء الفرنسيين وأفراد البلاط وامتزج ألها الشديد بموهبتها الفنية الأصيلة فاهدعت نماذج اسطورية حاولت من خلالها أن تخلد ذكرى هؤلاء الاصدقاء وفي عام ١٧٩٤ ، مات مكسيميليان دوروبير وهو أبرز قادة الثورة الفرنسية والذي بدأ عصر الأراهاب وقضى خلاله على معظم خصومه السياسيين وبعد وفاة روبسبير ، وانتهاء عصر الأراهاب في فرنسا ، اطلق سراح آن ماري جروشولتز فخرجت من السجن لتفاجأ بوفاة عمها وبأنها أصبحت مسئولة عن الديون التي تراكمت عليه .

وبدأت آن ماري على الفور تبذل كل جهدها للخروج من المحنة الرهيبة التي عاشتها في سجنها من خلال اغراق نفسها في العمل .

وفى عام ١٧٩٥ ، تزوجت آن ماري من مهندس يدعى فرانسوا توسو وأنجبت منه ولدين هما جوزيف وفرانسيس .

واستمر هذا الزواج لمدة ٧ سنوات انفصل الزوجان بعدها فى عام ١٨٠٢ ، وقررت مدام توسو أن تنتقل بعض قائلها الى لندن وادنبره .

وفى الوقت الذى بدأت فيه مدام توسو تنطلق نحو تحقيق احلامها الفنية فى انجلترا تلقت صدمة قاسية أخرى . وفى عام ١٨٠٤ كانت فى طريقها إلى ايرلندا عن طريق البحر وتحطمت السفينة التى كانت تقلها وغرقت جميع قائلها التى كانت معها على ظهر السفينة وبذلك ضاع جهد سنوات من العمل والعرق والكدح .

وسيطر على مدام توسو احساس غريب بأن هناك قوة غامضة تدفع بها الى الفشل والعجز عن تحقيق احلامها ولكنها لم تستسلم لهذه المشاعر المحيطة وقررت أن تبدأ من جديد فعكفت على العمل المستمر لمدة ٣ شهور متواصلة أبدعت خلالها مجموعة أخرى من التماثيل الرائعة وأقامت معرضا ناجحا فى ايرلندا .

ومرة أخرى ، منيت مدام توسو بصدمة جديدة ، فقد حاولت احضار التماثيل التى قامت بعملها فى باريس ولكنها علمت ان مستحيل لأن هذه التماثيل كان قد حجز عليها وقاء لديون زوجها السابق الذى كان يحتفظ بها فى منزله .

وفى عام ١٨١١ ، قررت مدام توسو ان تعيش فى انجلترا حيث بدأت الحياة تهتسم لها من جديد واقامت عددا كبيرا من المعارض الفنية فى مختلف المدن الانجليزية .

وفى النهاية استقرت مدام توسو فى لندن بشارع بيكر حيث ظلت تمارس عملها حتى تقاعدت عن العمل فى عام ١٨٤٢ وهى فى سن الحادى والثمانين ، وبعد ٨ سنوات من التقاعد أى فى عام ١٨٥٠ توفيت مدام « توسو » بعد مرض قصير وشيع جثمانها الى مثواه الأخير بكنيس سانت ماري فى العاصمة البريطانية .

لقد كان الانجاز الاكبر الذى سعت مدام توسو الى تحقيقه ونجحت فى ذلك الى حد بعيد هو تخليد تلك الشخصيات التاريخية التى لعبت ادوارا هامة فى تاريخ الإنسانية . ولذلك حرصت كل الحرص الحياذ التام فى عملها ولم تتدخل بأية وتوش من عندها لابرار عيب معين او ميزة ما فى الشخصية التى تحاول تجسيدها .

ونتيجة لهذا المفهوم الملتزم العالم الآن ان يشاهد فى متحف مدام توسو بلندن صورة طبق الأصل من ملامح ملوك وملكات أوروبا فى العصور الماضية والاكثر من ذلك أن مدام توسو حرصت

على أن تغلد روسييه زعيم عصر الأرواح في فرنسا ، والذي سجنها ومثل بها حيث قامت بصنع قتال له والقريب انها استطاعت أن تقاوم ذاتيتها وكراهيتها الشديدة لهذا الرجل الذي أعدم بعد ذلك بالقطعة عندما بدأت الثورة الفرنسية تأكل ابنائها .

ومتحف الشمع أو متحف مدام توسو في لندن ما زال يعد من أبرز معالم العاصمة البريطانية حتى الآن ويتدفق عليه الزوار لألقاء نظرة على الماضي ومشاهدة ملامح تلك الشخصيات الشهيرة في التاريخ وهي شخصيات لرجال ونساء وسياسيين ورياضيين وفنانين يجمع بينها جميعا خيط واحد وهو التأثير في عصرها سواء بالسلب أو الإيجاب .

\* \* \*

١٧

## مدام كوري ..

### روح الاصرار وعبقريه التحدي

امرأة جمعت شخصيتها بين العبقريه والاصرار والوفاء والالتزام الحقيقي للإنسانية .. امرأة ذرف التاريخ دمعه من اجلها يوم حرم البشر من نبوغها .. والوسع لها المكانة التي تستحقها بين العظماء والمبدعين .. انها ماري كوري أو مدام كوري ..

اسمها و مانيا سكلود وسكا ، ولكنها بعد ان سافرت الى فرنسا وتزوجت من بيير كوري حملت اسمها الفرنسي الجديد وهو ماري كوري . ولدت في ٧ نوفمبر ١٨٦٧ في وارسو ، عاصمة بولندا الآن ، ومنذ طفولتها كانت تتميز بذكاء ملحوظ وذاكرة قوية .. وفي سن السادسة عشرة حصلت على ميدالية ذهبية لتفوقها في شهادة البكالوريا من مدرسة الروسية كان والدها مدرسا للرياضيات وخسر أمواله في استثمارات فاشلة فاضطرت مانيا الى العمل كمدرسة لتشارك في نفقات تعليم اختها يرونها التي كانت تدرس الطب في باريس .

وفي عام ١٨٨٩ ، توجهت مانيا أو ماري ، الى باريس لتلقى محاضرات في جامع السوربون ..

لم تكن لديها أية امكانيات مادية ولكن اصرارها الشديد على التعلم جعلها تتحمل كل الصعوبات لدرجة انها كانت تكتفى بوجبة واحدة فى اليوم مكونة من الخبز والزبد والشاي .

وفى عام ١٨٩٢ التحقت بالعمل فى أحد معامل الأبحاث الفرنسية وهو معمل « ليهمان » وهناك التقت ببيير كورى .. وحصلت ماري على شهادة فى العلوم الطبيعية وكان ترتيبها الأولى ثم حصلت على شهادة أخرى فى علم الرياضيات .

وفى ٢٥ يوليو ١٨٩٥ تزوجت من زميلها فى المعمل بيير كورى الذى بدأت معه رحلة كفاح أسطورية حققت للعالم والإنسانية منجزات لم يسبق لها مثيل .

وفى عام ١٨٩٧ ، انجبت ايرين ابنتها الاولى من زوجها بيير كورى الذى لا يمكن الحديث عن امة مرحلة من مراحل حياة ماري دون الاشارة اليه فعلاقتها لم تكن مجرد علاقة زوجية بل كانت نوعا من المشاركة الكاملة فى كل شئ وكان بالنسبة لها هو الزوج والزميل والأخ ورفيق الكفاح .

وقد ولد بيير كورى فى باريس فى ١٥ مايو ١٨٥٩ وكان والده طبيبا . وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمرة ظهر واضحا اهتمامه الكبير بعلم الرياضيات والهندسة بوجه خاص .. وعندما بلغ السادسة عشرة التحق بجامعة السوربون وحصل منها على بكالوريوس العلوم .. وفى عام ١٨٧٨ أصبح مساعدا للمعمل فى نفس الجامعة وحقق أول انجازاته العلمية عندما قام بقياس طول الموجة فى الموجات الحرارية وفصر ظاهرة الكهربية الحرارية التى توصل اليها العالم « لورد كلفن » وهى ظهور شحنات كهربية عند تسخين المادة ، وارجع بيير كورى ذلك الى حدوث تغيير فى حجم البلورات عند تسخينها .

ومضى فى أبحاثه حتى اكتشف انبعاث شحنات كهربية عند تعريض المواد للضغط المرتفع والعكس بالعكس أى تغيير ضغط وحجم بعض البلورات عند تعرضها لمجالات كهربية .

وفى عام ١٨٨٢ أصبح بيير كورى مديرا لمدرسة الفيزياء والكيمياء الصناعية فى باريس وواصل أبحاثه فى المغناطيسية وفى عام ١٨٩٢ حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم عن رسالته فى هذا المجال .

ونعود مرة أخرى الى كورى ، التى لم تمنعها ظروفها كأم وزوجة لعالم من أن تواصل أبحاثها العلمية فبدأت بعد الحجاب ابنتها « ايرين » مباشرة فى البحث عن موضوع لرسالة الدكتوراه . وأخذت تتابع أحدث الاكتشافات العلمية فى مجال الفيزياء . ولفت نظرها بوجه خاص الاكتشاف الذى توصل اليه العالم « هنرى بيكويريل » فى عام ١٨٩٦ حول ظاهرة « الانبعاث التلقائى » أى انبعاث اشعاعات تشبه أشعة اكس من حبيبات اليورانيوم بشكل طبعى .. وثبت ان الغازات التى تتعرض

لهذه الاشعاعات تصدر أجساما مشحونة كهربيا .

وقررت ماري أن تبحث فيما إذا كانت هذه الظاهرة تحدث في اليورانيوم فقط أم أنها تتكرر في مواد أخرى أيضا . وبدأت أبحاثا مضمينة وبالغة الخطورة تعرضت خلالها للمواد النووية المشعة وتوصلت في النهاية إلى أن نفس الظاهرة تحدث مع عنصر « الثوريوم » أيضا .

وخلال أبحاث ماري كوري . لاحظت أن مادة أكسيد اليورانيوم تصدر اشعاعات أكثر من اليورانيوم النقي وفسرت ذلك النشاط الزائد على أنه يرجع إلى وجود مادة أخرى غير معروفة مختلطة بخام اليورانيوم . وركزت جهودها على محاولة الحصول على العناصر النقية للمواد وسط ظروف بدائية وصعبة وامكانيات محدودة للغاية .

وانضم إليها زوجها بيير كوري في هذه المرحلة من الأبحاث التي اكتشف خلالها انبعاث ثلاثة أنواع مختلفة من الاشعاعات من عنصر اليورانيوم .. وهذه الاشعاعات أولها يحمل شحنة كهربية موجبة والثاني شحنة سالبة والثالث متعادل وقد وصف العالم روزرفورد هذه الاشعاعات بعد ذلك بأنها اشعة ألفا وبيتا وجاما .

وكانت ماري كوري وزوجها بيير هما أول من استخدم مصطلح النشاط الاشعاعي في عام ١٨٩٨ بالنسبة لعنصر الثوريوم وقالوا أن هذا النشاط الاشعاعي هو الذي يحدد كمية اشعاعات ألفا وبيتا وجاما التي تصدر من العنصر المشع .

وتوصل الزوجان كوري إلى وسيلة لقياس النشاط الاشعاعي للمواد ثم حققا واحدا من أكبر المنجزات العلمية عندما اكتشفا عنصرين جديدين هما البولونيوم والراديوم .. وقد أطلقت ماري كوري اسم البولونيوم على العنصر الأول تكريما لبلادها بولندا أو بولونيا بالفرنسية .

لم تكن ماري كوري مجرد شخصية علمية تهتم بالجانب العلمي للبحث لأبحاثها بل كانت مخلوقا إنسانيا على أعلى مستوى من الرقى العاطفي والوجداني وكانت ترى أن القيمة الوحيدة للعلم هي أن يكون في خدمة الإنسان وأن هذه هي الفلسفة الحقيقية للعلم .. لهذا السبب كان اهتمامها البالغ ببحث أثر الراديوم وغيرها من العناصر المشعة على أعضاء جسم الإنسان وامكانية استخدام خواص الاشعاع النووي في علاج الأمراض وكانت هذه هي الخطوة الأولى في أحد أهم فروع العلم بالنسبة للإنسان وهو الطب النووي الذي يعد الآن هو الأمل الوحيد للكثيرين من ضحايا الامراض الخطيرة التي عجز الطب التقليدي عن مواجهتها .

وفي بداية القرن الحالي . عرضت جامعة جنيف على بيير كوري أن يعمل استاذًا بها ولكنه رفض حتى يواصل أبحاثه ورسائله السامية مع زوجته .. وفي عام ١٩٠٤ أصبح بيير كوري استاذًا في

جامعة السوربون تقديراً لأبحاثه ومكانته العلمية .. وكانت ماري كوري قد عينت في عام ١٩٠٠ كمعلمة كيمياء في مدرسة للبنات حيث ابتكرت وسيلة جديدة لتدريس مادة العلوم على أساس التجارب العملية التي يشاهدها الطلاب ويجربونها بأنفسهم .

وفي عام ١٩٠٣ حصلت ماري كوري وزوجها بيير على جائزة نوبل في الفيزياء . تقديراً لاكتشافاتهما في مجال النشاط الاشعاعي والعناصر المشعة .. وفي نفس العام حصلت ماري على درجة الدكتوراه في العلوم وفازت مع زوجها بميدالية الجمعية الملكية للعلوم في لندن .

ولقد كان اشد ما يزعج ماري وبيير كوري هو ان يتحول العلم الى اداة تدمير في ايدي اعداء الإنسانية .. كانوا يدركان جيداً ان العلم مارد أسطوري يستطيع ان يفعل الكثير وان قوة هذا المارد يجب ان تستغل في خدمة البشرية . ولكن نفس هذه القوة يمكن ان يستغلها البعض لتدمير الانسان والقضاء على امته وسلامته .. وربما لا تكون قيمة هذا المرقف واضحة بالنسبة لنا في الوقت الراهن بعد ان عرف الجميع الكثير من التفاصيل حول الرعب النووي ومدى الدمار الذي يمكن ان تحدثه قنبلة ذرية واحدة .

اما في بداية هذا القرن فلم يكن معظم البشر يدركون خطورة العلم اذا استخدم كسلاح للموت وكأداة ضد الحياة .. وهكذا ، كانت ماري وبيير كوري هما اول صوت يحذر العالم من خطورة الأسلحة النووية وهو الصوت الذي ما زال يتردد في كل مكان رغم مرور أكثر من ٨٠ عاماً على تلك الكلمة التي القاها بيير كوري عند تسلمه جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٠٣ .

فقد قال : « انني أشعر بقلق شديد من امكانية وقوع أسرار النشاط الاشعاعي في « ايدي مجرمة » لان ذلك سيكون بمثابة كابوس تعاني منه الإنسانية .. ولقد طالب بيير كوري في كلمته بأن يستفيد الإنسان من سلاح العلم من أجل خدمة الحياة والتخفيف من معاناة الإنسانية .

ولكن ، بكل أسف ، كان بيير كوري مجرد « صوت يصرخ في البرية » ولم يستمع اليه أحد بدليل ما يعيشه العلم الآن من هلع بسبب تلك الأسلحة الرهيبة التي استغل العلم من أجل ابتكارها وتهديد الحياة على الأرض بها .

وفي عام ١٩٠٤ ، انجبت ماري كوري ابنتها الثانية « ايفا » . وفي نفس العام عينت رئيسة للمساعدتين الفنيين في المعمل الذي كان يديره زوجها .. وقدمت له كل العون وشاركته في التجارب التي كان يجريها بروح التعاون والحب والرغبة في خدمة الإنسانية .

لم تشعر ماري كوري في أية لحظة بأنها يجب ان تنفصل بأبحاثها عن ابحاث زوجها بل كانت دائماً تضع نصب عينها انهما يقومان معا بمهمة سامية .. ولم تتردد في تعرض نفسها للمواد المشعة أثناء

اجراء التجارب وهى أول من يعلم خطورة التعرض لهذه المواد .. وفى عام ١٩٠٥ وشع بيير كورى لعضوية أكاديمية العلوم الفرنسية وهى أكبر هيئة علمية فى فرنسا ولها مكانتها الهارزة فى جميع انحاء العالم .. ولكن بيير كورى مات فجأة عندما دهمته سيارة نقل فى باريس ولغظ انفاسه على الفور فى يوم ١٩ ابريل ١٩٠٦ .

لم تترك ماري كورى الحزن يحطم حلمها وحلم زوجها الراحل وعقدت العزم على اكمال الرسالة .. ورغم ان وفاة بيير كورى كانت صدمة لها الا انها ايضا كانت نقطة تحول فى حياتها العلمية والعملية .. فقد كرست ماري كل جهودها وطاقاتها من أجل استكمال الأبحاث التى كانت قد بدأتها مع زوجها .. وفى ١٣ مايو ١٩٠٦ عينت فى منصب الاستاذية بجامعة السوربون وهو نفس المنصب الذى كان يشغله زوجها .. وبذلك أصبحت ماري كورى هى أول امرأة تقوم بالتدريس فى جامعة السوربون الفرنسية العريقة من مقعد الاستاذية .

وفى عام ١٩١٠ نشرت اعظم ابحاثها العلمية عن النشاط الاشعاعى وتوصلت الى الحصول على الراديوم النقى فى حالته المعدنية الصلبة لأول مرة وكان ذلك بمساعدة عالم الكيمياء الفرنسى « اندريس لويس ديبيرين » .. وفى عام ١٩١١ حصلت على جائزة نوبل فى الكيمياء على اكتشافها للراديوم والبولونيوم وعزل الراديوم النقى .

وخلال الحرب العالمية الأولى قامت ماري كورى بمساعدة ابنتها ايرين فى اجراء ابحاث حول استخدام اشعة اكس فى مجال التشخيص الطبى وخاصة استخدام هذه الاشعة فى علاج الجنود المصابين فى الحرب .. وتم افتتاح معهد الراديوم فى باريس عام ١٩١٨ تحت اشراف ماري كورى وأصبح مركزا كبيرا لاجتياز الفيزياء والكيمياء الطبية الفرنسية عام ١٩٢٢ وكرست كل ابحاثها بعد ذلك لدراسة التطبيقات الطبية للاشعاع النووى وعلاج الامراض بالمواد المشعة .

وقامت بزيارة لأمريكا حيث قدم لها الرئيس الأمريكى هاردينج جراما من اليورانيوم تبرعت النساء الأمريكيات لشرائه وتقديمه لها لتجرى عليه أبحاثها .. وأصبحت ماري كورى عضوا باللجنة الدولية للمعاون الفكرى التى كانت تابعة لعصبة الأمم وكانت ماري سعيدة بتطور مؤسسة كورى للأبحاث النووية فى باريس وافتتاح معهد « ماري سكلود وشكا » للراديوم فى عاصمة بولاندا وارسو تكريما لها .. وقد أصبحت شقيقته يرونيا مديرة لهذا المعهد .. ولم يشغل النشاط العلمى ماري كورى عن قضية المرأة التى كانت تناضل فى ذلك الحين من أجل انتزاع حقوقها فى مختلف انحاء العالم .

وهكذا ، طالبت ماري كورى بمنح المرأة الفرنسية حق التصويت فى الانتخابات .. وكانت تردد فى كل مكان أن المرأة لم تحتل بعد المكانة التى تستحقها فى المجتمع .

وكانت المكانة العلمية المرموقة التى وصلت اليها ماري كورى هى الدليل الاكيد على ان المرأة

تستطيع ان تحقق الكثير اذا توافرت لديها الارادة واختارت لنفسها مهمة إنسانية سامية تركز لها كل حياتها بعيدا عن قيود الذاتية والكثير من القضايا الثقافية التي ما زالت تشغل تفكير عدد كبير من النساء حتى الآن .. ولقد بلغ اخلاص ماري كوري لرسالتها حد التضحية بحياتها .. فرغم ان الأطباء طلبوا منها الاعتماد عن العمل بسبب تدهور حالتها الصحية الا انها رفضت ذلك وظلت تقوم بأبحاثها حتى توفيت بمرض سرطان الدم « اللوكيميا » نتيجة لتعرضها لاشعاعات نووية قاتلة اثناء التجارب .

ولقد كانت ماري كوري حريصة على الا تنتهي رسالتها بانتهاء حياتها .. فأعدت ابنتها ايرين كوري لتكمل هذه الرسالة .. وقامت الابنة بهذه المهمة على خير وجه .. وحقت انتصارات كهيرة في كل مجال عملت فيه امها لدرجة ان حياة ومنجزات ايرين كوري اصبحت لا تقل أهمية عن حياة ومنجزات امها ماري ..

وسوف يكون حديثنا في فصل آخر عن هذه الابنة المعجزة التي لم تسمح لراية العلم بأن تسقط بعد وفاة والدها ووالدتها .

\* \* \*

١٨

## جوزفين دي بوارنيه ..

### تاج الحب وعرش الامبراطورية

ماري جوزيف تاشير دي لاها جري المعروفة تاريخيا باسم جوزفين شخصية ملهودرامية بمعنى الكلمة اذا جاز لنا أن نستعير هذا اللفظ المسرحي للتعبير عن العديد من جوانب حياتها . وهي « بطل درامي » بكل ما يحمله هذا اللفظ من معان أبرزها أن المرأة لا يملك سوى التعاطف معها بصرف النظر عن تحفظه على بعض مواقفها وسلوكياتها التي تؤدي بها في النهاية الى الكارثة .

وجوزفين .. هي زوجة نابليون بونابرت أو نابليون الأول امبراطور فرنسا خلال الفترة من ١٨٠٤ وحتى ١٨١٥ .. وقد تزوجها نابليون في عام ١٧٩٦ .. قبل ثماني سنوات من

تتويجه امبراطورا وظلت زوجة له حتى عام ١٨٠٩ ..

ورغم ان جوزفين ظلت تحمل لقب امبراطورة حتى بعد طلاقها من ناپليون الا ان ملامح شخصيتها لم تكن لتوحى على الاطلاق بأنها ولدت لتكون امبراطورة .

فقد ولدت جوزفين فى عام ١٧٦٣ أى قبل ٢٦ عاما من قيام الثورة الفرنسية وقضت السنوات الأولى من عمرها فى جزر الهند الغربية حيث كانت تعيش مع عمها وحيث ارتبطت بالطبيعة ارتباطا عضويا انعكس فى الكثير من صفاتها مثل الصلوق والاخلاص والعاطفة الجياشة والاندفاع فى بعض الأحيان .

وفى مرحلة الصبا والشباب اتقنت جوزفين الكثير من الفنون فكانت بارعة فى الموسيقى والرسم والرقص وتميزت بشخصيتها بالانطلاق والمرح والرفقة ..

كانت جوزفين جميلة الملامح ذات تقاطيع اغريقية وكانت أيضا تتسم بذكاء متوقد وجاذبية ملحوظة وقدرة على اكتساب مشاعر المحيطين بها .. وفى نفس الوقت كانت صريحة .. واثقة من نفسها متمسكة بقرارها مهما اختلف معها الآخرون .

لذلك لم يكن من الغريب أن تتزوج قبل أن تبلغ العشرين من عمرها وكان زواجها من أحد النبلاء الفرنسيين قبل الثورة .. وهو الفيكونت دى يوارنيه الذى حملت اسمه وأنجبت منه ولدا وبنتا هما أيوجين وهورتنسى .

وعندما قامت الثورة الفرنسية بدأت حماسات الدم ضد أفراد الطبقة النبيلة فى فرنسا واعدم الفيكونت دى يوارنيه بالمقصلة أما زوجته جوزفين فقد سجنحت لفترة حتى هدأت عاصفة الأرباب وتدخل أحد الأصدقاء من كبار رجال الثورة لاطلاق سراحها حتى ذلك الحين ، كانت حياة جوزفين وزجا لما حدث للآلاف من أفراد طبقة النبلاء الفرنسيين فى ذلك العصر .. وبعد ذلك تعرف عليها الجنرال ناپليون الذى كان نجمه قد بدأ فى الصعود ولفتت انتباهه بشخصيتها المتميزة فتقدم لحطبتها .

ورغم أن الكثيرين من اصدقاء جوزفين حذروها من الزواج من هذا الجنرال الذى كان سبب الطبع الا ان جوزفين قبلته بسبب بسيط هو انها أحبته حبا جما وكان هذا وحده سببا كافيا لكى تتجاهل كل التحذيرات وتندفع فى علاقتها معه الى آخر المدى ..

وفى عام ١٨٠٤ ، تم تتويج ناپليون امبراطورا لفرنسا وتوجت جوزفين امبراطورة أيضا رغم أنها اعترفت بانها لم تحلم فى يوم من الأيام بأن تكون امبراطورة وكان أقصى مناه أن تعيش مع الرجل الذى أحبه فى جزر الهند الغربية التى قضت فيها فترة صباها ..

كانت جوزفين ذات حس إنسانى مرفف انعكس فى علاقتها المحيطة بخدمها ووصيفاتها فكانت

تعاملهم جميعا بكل رقة وعطف واحسان .. ومنذ البداية كان لها موقف من النبلاء وحاشية البلاط الامبراطورى الذين كانوا يحاولون احياء الملكية الفرنسية فى عهد لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر بكل ما كانت تمثله من فساد الطبقة الارستقراطية .

وعجزت جوزفين عن ادراك خطورة أفراد الحاشية على استقرار حياتها سواء كزوجة أو كامبراطورة .. وقد ازدادت كراهية النبلاء لهذا عندما رأوا بانفسهم مدى حرص الامبراطور عليها ووجه لها وأحسوا أنها تشكل خطرا على نفوذهم لدى الامبراطور خاصة بعد أن وصفها ناهليون نفسه بأنها مستشاره الأول الذى يشق كل الثقة فى آرائه .

ولقد كانت جوزفين امرأة تعشق الاناقة لدرجة الجنون وقيل انها كانت ترتدى الثوب مرة واحدة وبعد ذلك تعطيه لوصيفاتها حتى أصبحت التجارة فى ملابسها المستعملة عملية مريحة لبعض التجار اليهود فى فرنسا الذين كانوا يشترون هذه الثياب من الوصيفات والخدمات ثم يقومون بعد ذلك ببيعها لسيدات الطبقة الارستقراطية الفرنسية .

وكانت جوزفين تهوى أيضا الحلى والمجوهرات كما كانت تتمتع بذوق بارع فى اختيار ملابسها وقطع الاكسسوار الملائمة لها مما كان يزيدها جمالا على جمال .. وقد ادى ذلك بالطبع الى اثاره مشاعر الغيرة لدى كل نساء البلاط الامبراطورى منها وخاصة بين سيدات اسرة ناهليون مثل والدته واخته بولين .

ولقد وصفت جوزفين بأنها ابنة الثورة الفرنسية لأنها كانت تؤمن بالكثير من افكارها ومبادئها مثل العدل والمساواة وجعل ذلك نبلاء البلاط يتهمونها بأنها صديقة الرعاع .

كل هذه العناصر شاركت فى تشكيل جبهة معادية لجوزفين فى البلاط الامبراطورى ولكن أفراد هذه الجبهة كانوا عاجزين عن القيام بأى عمل ضدها بسبب ادراكهم لدى حب الامبراطور لها .. وبسبب ادراك جوزفين أيضا لهذه الحقيقة . فمادت فى تحديها للمنافقين المحيطين بناهليون وكانت دائما تحذره منهم وتؤكد لاصدقائها انها لو تركت زوجها لهؤلاء المنافقين لأودوا به الى الهلاك .. وكلما حذرها أحد من المبالغة فى التحدى كانت ترد عليه بقولها : إن اخلاصها المطلق لزوجها الامبراطور هو الدرع الذى سيجبها من أية مؤامرة تدبر ضدها .

وعندما كانت تشعر بالقلق من المكائد التى تحاك ضدها كانت تعبر لناهليون عن مخاوفها وكان يقول لها : « اطمئنى يا عزيزتى فالويل كل الويل لمن يحاول الوقوعة بهنى وبينك » ..

وكان ناهليون يدرك حب الشعب الفرنسى لها درجة جعلته يقول : « اننى أكسب البلاد والاراضى وجوزفين تكسب القلوب والأفئدة » .

ورغم ذلك كانت مشاعر القلق قوية في أعماق نفس جوزفين ، وإن لم تصرح بذلك على الإطلاق .. فقد كانت تدرك أن علاقتها بزوجها ستظل في مهب الريح لأنها لم تنجب له ابناً ورغم مرور سنوات على زواجها منه وكانت على ثقة من أن هذه النقطة هي المقتل الذي سيعاود خصومها ضربها فيه للقضاء على مكانتها لدى الامبراطور .

وبالفعل ، بدأت الحرب ضد جوزفين عندما سافر نابليون إلى مصر على رأس الحملة الفرنسية واشتركت أسرة نابليون في هذه الحرب عندما طالبت والدته وأخوته بالزواج مرة أخرى من إحدى نبيلات أوروبا حتى ينجب ورثاً للعرش من دمه ..

وكان نابليون قد أعرب عن رغبته في أن يتولى أوجين دويوارنيه ابن جوزفين من زوجها الأول عرش الامبراطورية من بعده فأثار ذلك قلق أسرة نابليون .. وتدخل قوشيه وزير داخلية فرنسا في ذلك الحين لاقتناع نابليون بضرورة تطليق جوزفين والزواج من أخرى لانحجاب ولي للعهد .. وإثناء وجود نابليون في مصر وصلته الكثير من الوشائات التي تطعن جوزفين في شرفها وتتهمها بخيانة زوجها .

ونتيجة لتزايد الضغوط على نابليون من كل اتجاه خضع في النهاية وقرر تطليق جوزفين رغم أنه حرص على أن تظل تحمل لقب امبراطورة وخصص لها قصراً رائعاً لتقيم فيه وكان أكثر ما يحز في نفس جوزفين هو احساسها بالظلم فقد اخلعت لزوجها وأحبته ولكنها تلقت جزاء ذلك تخليه عنها وتطليقه لها ..

حدث الطلاق في عام ١٨٠٩ ، وفي يوم اعلان الطلاق رسمياً بكى نابليون وبكت جوزفين خاصة مع ادراكهما أن قرار الطلاق مفروض عليهما معاً .

ورغم أن نابليون تزوج بعد ذلك من ماريا لوزا إلا أنه ظل على حبه لجوزفين التي لم تستطع أيضاً أن تكرهه واستمرت تدافع عنه وتؤكد لنفسها قبل الآخرين أنه اضطر لتطليقها لاعتبارات سياسية وإن الأمر لو كان بيده لما انفصل عنها أبداً .

ولقد اصدر نابليون أوامره بأن تلقى جوزفين كل تكريم حتى بعد أن طلقها وظل يلتقي بها ويذهب إليها في كل وقت يشعر فيه أنه بحاجة لرأى صادق ومشورة مجردة عن الهوى وعندما التحيت الزوجة الجديدة ماريا لوزا ابناً لنابليون لم تشعر جوزفين بالخقد على غريماتها بل ابتهجت لأن أمل الامبراطور قد تحقّق وانجب طفلاً من صلبه وأصبح له ورث يتولى العرش من بعده .

وكان من مفارقات القدر ألا يتولى هذا الابن عرش أبيه وأن يكون ورث نابليون هو حفيد جوزفين من ابنتها هورتنسى التي التحبها من زوجها الأول .

ولقد اندلع ناهليون في مقامراته العسكرية وبدأ حملته المشنومة ضد روسيا والتي كانت بداية بالنسبة له .. وانتهت مقامرات ناهليون العسكرية بهزيمته المروعة في معركة واترلو « الشهيرة عام ١٨١٥ .. وتغلى الجميع عن ناهليون بعد هزيمته وكان في مقدمة هؤلاء زوجته الثانية ماري لويزا التي أخذت ابنها ورحلت بعيدا عن الامبراطور المهزوم .. الذي نفى الى جزيرة سانت هيلانة حيث تردد انه أصيب بالجنون ، اما جوزفين ، فقد ماتت في هدوء عام ١٨١٤ وكانت رغبته الأخيرة ، التي لم تتحقق ، هي ان ترى ناهليون الرجل الذي احبته والذي عجزت عن أن تكرهه أو تحقد عليه برغم تخليه عنها .

وموت جوزفين أغلقت صفحاتها في كتاب التاريخ وتحولت تلك المرأة العاشقة الى « شخصية درامية » فريفة قامت بدورها بكل نجاح على مسرح الحياة فاكسبت اعجاب الكثيرين ودموعهم أيضا .

\* \* \*

١٩

## أنا بافلونا ..

### أغنية الجمعة والشودة الخلود

صفحات قليلة جدا في كتاب التاريخ تلك التي خصصت للمرأة الفنانة .. والسبب في ذلك ربما يرجع الى ندرة من مارسن الفن كرسالة سامية ووسيلة أخلاقية لتهذيب المشاعر والرقى بالفكر الإنساني .

ومن هؤلاء كان أنا بافلونا أعظم راقصة بالية في كل العصور والتي كانت حياتها مشهدة اسطوريا من بالية سحرى تنطلق فيه روحها من أسر الجسد الرقيق لتخلق في أجواء نروانية على أنغام أروع السمفونيات والمقطوعات الموسيقية الكلاسيكية ..

اسمها بالكامل أنا بافلونا بافلونا . من أصل بولندى ولكنها ولدت في مدينة سانت بطرسبرج « ليننجراد حاليا » في روسيا .

هناك خلاف بين المؤرخين حول تاريخ ميلادها ولكن أقرب التقديرات تشير الى أنها ولدت في ٣١ يناير عام ١٨٨٢ .

ليس هناك شك في أن الظروف التي عاشتها أنا بافلوفا في طفولتها قد ساعدتها على تنمية مواهبها الاسطورية في فن الرقص الكلاسيكي .

فقد انشأ قبصر روسيا في ذلك الحين العديد من المدارس لتعليم مختلف الفنون وكان الالتحاق بهذه المدارس يتم بعد اجتياز اختبارات صعبة .

ورغم أن والدتي أنا بافلوفا كانت فقيرة ورغم وفاة والدها وهي لم تتجاوز الثانية من عمرها إلا أن موهبتها الطبيعية اتاحت لها الالتحاق بمدرسة البالية الملكية التابعة لمسرح مارينسكي وهو المعروف الآن بمسرح كIROV . وكان التحاق أنا بافلوفا بمدرسة البالية في سانت بطرسبرج في عام ١٨٩١ وعمرها ٩ سنوات فقط . وكان المدرسون والمدرسون في هذه المدرسة من كبار راقصي وراقصات البالية في ذلك الحين وقد تخرجت أنا بافلوفا في عام ١٨٩٩ ونزغ نجمها بسرعة حتى أصبحت هي راقصة البالية الأولى « بريما باليرينا » في عام ١٩٠٦ واشتهرت بأدائها المعجز في بالية « جيزيل » بالتحديد . وفي عام ١٩٠٧ قامت مع فرقة البالية التي تعمل بها بجولة في أوروبا رقصت خلالها في ستوكهولم وكوبنهاغن وبرلين وباريس ولندن .

وكان الطابع المميز لأداء أنا بافلوفا هو بذل كل جهد ممكن لإظهار جماليات هذا الفن البالية .

وذاع صيتها كأعظم راقصة بالية في العالم فقد تلقت عدة دعوات للرقص في نيويورك وغيرها من المدن الأمريكية حيث بهرت عشاق هذا الفن بخطواتها الحاملة وكانت تبدو بالفعل كقراصة أسطورية أو كروح هائبة تنطلق عبر حواجز الزمان والمكان .

وأحست أنا بافلوفا أن ارتباطها بفرقة البالية الملكية الروسية يقيد رغبتها في الانطلاق وممارسة فنها في كل مكان من العالم فتركت الفرقة في عام ١٩١٣ .

وبدأت أنا ترقص مع العديد من فرق البالية العالمية وقال النقاد : أن خطواتها على المسرح هي شكل جديد من أشكال الشعر وأن أنغام الاوركسترا تخترق جسدها الرقيق وتخرج به لتقدم فطاً ساحراً ومزيماً من الفن الذي يثرى الوجهان ويحرك في النفس اسمى المعاني وأنبل المشاعر .

وتزوجت أنا من راقص البالية الشهير الفنان فيكتور دانديري وقدمنا معا أروع الباليهات مثل دون كيشوت وجيزيل وبحيرة البجع وغيرها وكانت المشاهد التي تؤديها أنا بافلوفا وحدها « صولو » على المسرح من أعظم المشاهد في تاريخ فن البالية لدرجة أن بعض المشاهدين كانت تنهمر دموعهم نتيجة لهذا الأداء المعبر واستجابة لكل ما كان يوحى به أداء أنا بافلوفا من تدفق المشاعر ، وفي عام ١٩١٨ قدمت أنا بافلوفا بالية « أوراق الخريف » التي أبدعت فيه كما لم تفعل من قبل واستطاعت أن تنقل للمتفرجين كل ما يوحى به مشهد سقوط ورق الشجر في هذا الفصل الرمادي من فصول العام .

لقد كانت أنا بافلوفا تتميز بحس إنساني بالغ الرقة ولذلك انشأت فرقة بالية خاصة بها وقدمت

رقصات من تراث كل الشعوب من هولندا وروسيا والمكسيك . وعندما زارت الهند واليابان درست فنون الرقص هناك بعنق وقدمت من وحيها مشاهد راقصة بعنوان « انطباعات شرقية » وتقول دائمة المعارف البريطانية : ان اهتمام أنا بافلوفا بدراسة فن الرقص الهندى قد ساعد على احياء هذا الفن ونهضته .

ولقد كانت أنا بافلوفا هى المسئولة عن جميع شئون فرقتهما من حيث الادارة والتمويل الى جانب الاداء الفنى وكانت هذه الاهداء اثقل من أن تتحملها .

ورغم ذلك ، استمرت أنا بافلوفا تؤدى رسالتها التى وهبت لها حياتها كلها ، ولم تنجب أنا اطفالا حيث ضحت بفرصة الامومة لديها من أجل فنها وكانت تعرض هذه الفرصة برعاية الاطفال اليتامى فى روسيا وبمحاولة اغراق نداء الامومة داخلها فى بحر الفن الذى عشقته . وفى عام ١٩٢٠ انشأت أنا بافلوفا احد الملاجئ فى باريس لرعاية الاطفال الروس اليتامى وكانت تغدق على هذا المركز برغم الظروف المالية الصعبة التى كانت تمر بها .

وكانت بافلوفا أيضا مفرمة للغة بالطيور والحيوانات الأليفة . واشتهر بيتها فى منطقة هامبستد بالمجلترا ببهيرة البجع الخرافية التى اقامتها فى حديقته والتى كانت تحفة حقيقية استلهمتها من البالية الشهير « بهيرة البجع » ولقد تم تصوير أنا بافلوفا فى فيلم رائع بجوار هذه البهيرة فى منزلها وهى تؤدى مشهد « موت البهجة » أداء فرديا مذهلا . وما زال هذا الفيلم موجودا حتى الآن مع مجموعة من رقصاتها الصولو الفردية التى صورت وجمعت فى فيلم واحد بعنوان « البهجة الخالدة » وقد صورت معظم لقطات هذا الفيلم فى هوليوود عام ١٩٢٤ تحت اشراف الممثل الشهير دوجلاس فيربانكس .

ورغم بدء تقدم أنا بافلوفا فى السن الى الحد الذى لابد ان يعرقل اداها كراقصة بالية الا أنها ظلت حتى آخر حياتها تبداع فى اداء المشاهد الفردية على خشبة المسرح .

ومن الحقائق المعروفة أن البهجة تشدو بأعلى الأصوات قبل موتها مباشرة ويطلق على هذه الاصوات الرائعة التى تودع بها البهجة العالم اسم الاغنية الأخيرة .

وكان هذا هو بالتحديد ما حدث مع أنا بافلوفا . ففى عام ١٩٣٠ أصيبت بداء الرئة ولكنها أصرت على ألا تتوقف عن رقص البالية وظلت تمارس هذا الفن حتى آخر رفق من حياتها ، والغريب ان موهبتها الفنية التهب وتألفت فى أيامها الأخيرة وكأنها بهجة حقيقية تودع العالم الوداع الأخير .

وكان هذا الوداع فى لاهاي بهولندا حيث ماتت أنا بافلوفا يوم ٢٣ يناير عام ١٩٣١ ليتحول حبها للفن الى اسطورة خالدة تتناقلها الأجيال .

## مارى ملكة اسكتلندا ..

القدر لا يمكن أبدا  
أن يمنع القدر !

مارى ستيوارت ملكة اسكتلندا فزوج مأساوى للإنسان عندما تعانده الأقدار ويرافقه الحظ وكأنه لعنة خامضة ارتبطت بكل لحظة من لحظات حياته .. لهذا النهاية ، كان من الواضح أنها لن تعيش حياة طبيعية كبقية البشر لدرجة أن اليزابيث الأولى ملكة بريطانيا وصفها بأنها « ابنة الجدل والحلال » .. ورغم مرور حوالي أربعة قرون على وفاتها إلا أن المؤرخين مازالوا يختلفون على تقييم شخصيتها ومازال الجدل مستعدا حولها حتى الآن .

ولدت مارى ستيوارت فى ٨ ديسمبر عام ١٥٤٢ وكانت هى الطفلة الوحيدة للملك جيمس الخامس ملك اسكتلندا من زوجته الفرنسية مارى دى جاييز .. وبعد ستة أيام من مولدها مات أبوها وحاول جدها الملك هنرى الثامن ملك إنجلترا ، أن يسيطر عليها وعلى عرش اسكتلندا ولكن أمها أرسلت بها إلى فرنسا عندما بلغت الخامسة حيث تربعت فى بلاط الملك هنرى السابع وزوجته الملكة كاترين دى ميديشى .. وساعدتها أسرة « جاييز » التى تنتمى إليها أمها على أن تنمو فى أحسن ظروف ممكنة .

كانت طفولة مارى ستيوارت فى فرنسا رائعة .. فكانت تمارس الصيد والرقص وتعلمت اللغات اللاتينية والإيطالية والإسبانية واليونانية إلى جانب الإنجليزية والفرنسية .. ونتيجة لهذه التربية أصبحت مارى أقرب لفتاة فرنسية منها الاسكتلندية .

كانت جميلة الملامح طويلة القامة ذات شعر ذهبي وعينين فى لون العنبر تحب الموسيقى والشعر .. لذلك كان من الطبيعي أن تخطب لفرانسيس الثانى الابن الأكبر لهنرى السابع وكاترين دى ميديشى وهى لم تتجاوز العاشرة من عمرها . وتم زواجها بفرانسيس فى شهر إبريل عام ١٥٥٨ . ورغم أن هذا الزواج كان يرمى إلى تحقيق هدف سياسى هو توحيد فرنسا واسكتلندا إلا أن مارى اخلصت فى حبها لزوجها الذى أصبح بعد ذلك ملكا لفرنسا .

وفى نوفمبر ١٥٥٨ تولت اليزابيث الأولى عرش إنجلترا وكان معنى ذلك أن مارى ستيوارت قد

اقترب دورها لتولى عرش المجلترا بعد الهزايث مباشرة وذلك وفقا للترتيب الشرعى من خلال قرابتها للأسرة الانجليزية الحاكمة .

والأكثر من ذلك أن الكاثوليك فى المجلترا كانوا يعتبرون الهزايث ملكة غير شرعية ويرون أن مارى أحق بالعرش الانجليزى والسبب فى ذلك أن هؤلاء الكاثوليك لم يعترفوا بزواج الملك هنرى الثامن من آن بولين أم الهزايث وبالتالي فليس من حقها وراثته العرش .

وفى نفس الوقت ، قال الكاثوليك أن طلاق هنرى الثامن من زوجته الأولى كاترين داراجون ، جدة مارى لأمها ، لا يعتد به وباطل ولذلك فالعرش من حق مارى .

وهكذا ، استند هنرى السابع ملك فرنسا ووالد زوج مارى على هذا الموقف وادعى أن عرش المجلترا من حق زوجة ابنه وأنه يجب أن يحكم المجلترا أيضا باسمها .. وفى عام ١٥٥٩ مات هنرى السابع وتولى عرش فرنسا من بعده ابنه فرانسيس الثانى زوج مارى التى أصبحت ملكة فرنسا ولكن فرانسيس الثانى مات فى عام ١٥٦٠ بعد عام من توليه عرش فرنسا وأصبحت مارى أرملة وهى فى الثامنة عشرة من عمرها .

وفى أغسطس ١٥٦١ عادت مارى الى اسكتلندا واكتشفت أن الملكة اليزايث تكن لها عدا . مريرا باعتبارها إحدى المطالبات بعرش المجلترا .. وقد رفضت اليزايث أن تعترف بمارى حتى كورث للعرش .

ورغم أن مارى كانت كاثوليكية إلا أن اسكتلندا كانت تدين بالذهب البروتستانتى فتفجرت ضدها المعارضة وبدأ البروتستانت بتأمرون للقضاء عليها وكان فى مقدمة هؤلاء طبقة النبلاء الاسكتلندية التى حاول أفرادها اسقاط مارى من على عرش اسكتلندا .

ومما زاد فى كراهية الملكة اليزايث لها أن ملوك أوروبا طلبوا الزواج من مارى مثل فيليب الثانى ملك اسبانيا وجوستاف ملك السويد والارشدوق تشارل ابن امبراطور المانيا واصبحت اليزايث لا تطبق مجرد سماع اسم مارى .. ولقد رفضت مارى الزواج من كل هؤلاء وتزوجت من ابن عمها « دارتلى » الذى احبته بشدة ولكنها اكتشفت بعد الزواج انه انسان بالغ المكر والدهاء وأنه يتآمر ضدها مع خصومها من البروتستانت والنبلاء .

وبدأت العلاقة تفتت بين مارى ودارتلى .. وفى نفس الوقت وقعت مارى فى حب نيبيل آخر هو جيمس هيورن « ايريل هوتويل » وقيل أنها اتفقت معه على قتل زوجها الذى مات فى انفجار بمنزله فى ادنبره ..

وقد تزوجت مارى بعد ذلك من جيمس هيورن وتساعدت الحملة ضدها فاضطرت الى التنازل عن العرش فى ١٥٦٧ بعد أن تأكدت من أن استمرارها كملكة لاسكتلندا أصبح مستحيلا .. وبعد أن

تخلت ماري عن العرش انفض الجميع من حولها واتهمها خصومها بالقتل والاتحلال الخلفي والتآمر والخيانة .

وانضم زوجها جيمس هيرن « إيرل برثول » الى اعدائها وقام بسجنها في احدى القلاع قهيدا لمحاكمتها .. ولكنها تمكنت من الهرب .

وحاولت ماري ان تثبت انها لم تقتل زوجها دارتلى وان قتلته هم النبلاء الذين حاولوا الصاق الجريمة بها ولكن احدا لم يستمع اليها .. وليس هناك شك في ان سلوك ماري بعد وفاة دارتلى كان طائشا وساعد خصومها على اثبات الجريمة لانها تزوجت من الرجل الذي اتهموها بالتآمر معه لقتل زوجها .

ولقد وضع معارضو ماري على العرش ابنها جيمس الذي كان عمره في ذلك الحين عاما واحدا . واضطرت ماري للهروب الى خارج اسكتلندا وتوجهت الى انجلترا على امل ان تساعد الملكة اليزابيث وتنسى الخلافات القديمة بينهما حول الأحقية في العرش .

ولكن ما حدث بعد ذلك كان هو عكس ما توقعته ماري تماما .. فقد استخدمت اليزابيث كل دهائها السياسي واستندت الى قضية موت دارتلى زوج ماري لكي تصدر أمرا باعتقالها لمدة ١٨ عاما دون ان يتحرك أحد لمساعدتها سواء شقيقتها ماري الوري على عرش اسكتلندا أو ابنها جيمس الذي اصبح ملكا لاسكتلندا بعد ذلك ..

وفي السجن ، تدهورت صحة ماري وذبل جلالها ، وقد وصلت الى مرحلة من اليأس الشديد بعد ان تقدمت بعشرات الاتسمات لاطلاق سراحها ولكنها قوبلت كلها بالرفض من جانب اليزابيث .

وفي نفس الوقت ، لم يتوقف الكاثوليك عن المطالبة بحق ماري في عرش انجلترا رغم وجودها في السجن . وفي عام ١٥٨٦ اكتشفت الملكة اليزابيث مؤامرة لاغتيالها في اطار محاولة كاثوليكية للاستيلاء على العرش .. وادركت اليزابيث ان ماري ستظل تشكل خطرا على عرشها حتى وهي في داخل السجن ..

ورغم ان ماري كانت ملكة لدولة اجنبية هي اسكتلندا الا ان اليزابيث قدمتها للمحاكمة امام المحاكم الانجليزية بتهمة التآمر على العرش والخيانة .

وصدر الحكم باعدام ماري متحوارت ولم يعترض ابنها جيمس ملك اسكتلندا لانه كان يطمح في ان تقبله اليزابيث ورثا لعرش انجلترا فلم يشأ أن يفضيها ولم يهذل أية محاولة لانقاذ حياة امه التي لم يرها منذ كان طفلا رضيعا .

وطالبت ماري ان تدلى ببيان امام البرلمان الانجليزي تثبت براءتها من التهم المنسوبة اليها ولكن طلبها قوبل بالرفض ايضا .

وقد تردد أن الملكة اليزابيث لم توقع على الحكم باعدام ماري ستيوارت وإن بعض وزرائها قد زودوا هذا التوقيع ولكن الأحداث التاريخية التالية تؤكد أن اليزابيث لم تفعل أى شئ لاثبات براءتها من واقعة اعدام الملكة ماري .

وعندما أدركت ماري أن الحياة بالنسبة لها تعتبر فى حكم المنتهية استسلمت لقدرها وحاولت أن تكون شجاعة فى مواجهة الموت وتوقفت عن طلب العفو عنها أو اثبات براءتها وانتظرت فى صمت اليوم الموعود الذى ستوضع فيه نهاية لقصة حياتها المأساوية .

وفى صبيحة يوم ٨ فبراير ١٥٧٨ أبلقت ماري بأن موعد تنفيذ حكم الاعدام قد حل وإن عليها أن تذهب الى الجلاء على قدميها .

وطلبت ماري من حراسها أن يسمحوا لها بارتداء أجمل ملابسها ولما ترددوا قالت لهم : انها كانت ملكة لاسكتلندا وزوجة لملك فرنسا وانها تنتمى للأسرة المالكة فى انجلترا وكل ذلك يعطيهما الحق فى أن تواجه الجلاء كشخصية نبيلة يحيط بها التيجيل والاحترام .

وسمح لماري بارتداء ما تشاء من ثيابها وكانت آخر جملة قالتها وهى على المقصلة : « اننى اشعر بالسعادة الآن لأن هذه الحياة التى عشتها سوف تنتهى أخيرا » .

ورفع الجلاء سيفه .. وهوى به على رقبتها ولكنه اخطأ فأصيبت ماري بجرح بالغ فى رأسها ولكنها لم تصرخ من الألم .. وكرر الجلاء المحاولة ولكن يبدو انه كان يشعر بالرهبة أمام هذه المرأة التى لم يرمش لها جفن وهى تصعد الى المقصلة وخطأ الجلاء محاولته الثانية ايضا وفى المرة الثالثة والأخيرة كانت نهاية الملكة ماري ستيوارت وبهذا ارتقى الجلاء على الأرض وكأنه لا يصدق انه أنجز هذه المهمة العسيرة .

وقد دفن جثمان ماري بعد ذلك فى دير وستمنستر وبعد أن تولى ابنها جيمس الأول عرش انجلترا وتحقق الحلم الذى كان يسعى اليه اقام نصبا تذكاريا رائعا لأمه وكأنه يحاول ان يكفر عن خطيئته فى حق أمه التى تخلى عنها وتركها وحدها . كما فعل الآخرون ، لتواجه حوالى ٢٠ عاما من السجن وبعد ذلك ينفذ فيها حكم الاعدام .

ومعظم المؤرخين ينظرون الى حياة الملكة ماري ستيوارت على أنها كانت نموذجاً للمآسى التى يمكن ان يتعرض لها إنسان دون ذنب أو جريرة .. فقد اضطهدتها الملكة اليزابيث ملكة انجلترا بسبب خوفها على عرشها وتخلى عنها أقرب الناس اليها وهو ابنها جيمس الأول طمعا فى العرش وتأمر ضدها زوجها املا فى أن يصل الى السلطة وحاربها نهلاء اسكتلندا ليس فقط لانها تنتمى للمذهب الكاثوليكي بل أيضا لانهم استكثروا عليها ان تجلس على العرش وهى المرأة التى لا تجيد دهاء السياسيين ومكر رجال وسيدات البلاط .

بوسط كل ذلك ، كانت ماري ستيوارت تعتقد أن النية الحسنة تكفى وحدها لاحتياط كل مؤمرات خصومها وكانت تؤمن بأن الإنسان لا يحتاج لأكثر من السحر فى الطريق حتى يأمن المؤمرات التى تحاك ضده .

والسؤال الآن هو .. هل ثبتت صحة هذه الفلسفة التى التزمت بها الملكة ماري ستيوارت طوال حياتها ؟ ولا يملك الاجابة على هذا السؤال سوى التاريخ وحده وهى موجودة بالفعل فى تلك الصفحات المزينة التى سطرها المؤرخون وسجلوا فيها مأساة ماري ملكة اسكتلندا .

\* \* \*

٢١

## بوديكيا ..

### معادلة القوة .. والمقاومة

قبل مائة عام من ميلاد المسيح ، كان الأوربيون يعيشون فى ظلمات الجهل والعنفل وكانت بريطانيا بالعديد عبارة عن مجموعة من القبائل المتفرقة التى تعبد الأوثان والاصنام وعلى رأس كل قبيلة ملك يخوض صراعات لا تنتهى مع ملوك القبائل الأخرى . وفى ذلك الحين ، كانت الامبراطورية الرومانية هى القوة المسيطرة على العالم شرقا وغربا ، وكان الجيش الرومانى يتقدم لى جميع الانحماحات للسيطرة على المزيد من الأراضى وضمها الى ممتلكات امبراطور روما .

وفى عام ٤٣ قبل الميلاد بدأت قوات الامبراطورية الرومانية غزو الأراضى البريطانية ولكنها لم تستطع أن تحسم الموقف لصالحها الا بعد مرور سنوات بسبب المقاومة التى لقيتها هذه القوات من جانب بعض القبائل البريطانية ..

ولقد كانت الملكة بوديكيا هى احدى ملكات القبائل البريطانية فى هذه الفترة ولعبت دورا تاريخيا بارزا فى التصدى للرومان .. كانت بوديكيا زوجة لملك قبيلة الايسنى بمنطقة نورفولك وكان ملكا ضعيف الشخصية فآثر الهمة .

ونظرا لأنه لم يكن لديه أولاد من البنين وخشى على زوجته وابنتيه من بطش الرومان فقد اتخذ قراره بالاستسلام للقوات الرومانية وقال لقومه : انه يفضل ان يقدم مملكته للرومان على أن يتركها لزوجته أو ابنتيه .

وبالفعل ارسل الى قادة الرومان معربا عن استعداده للتسليم دون قيد أو شرط وطلب فقط حمايته واسرته ولكن بمجرد ان وصلت القوات الرومانية الى اراضى قبيلة الالستى استولى الرومان على جميع الممتلكات والأراضى واعتقلوا النبلاء والأغنياء وحولوهم الى عبيد يعملون فى خدمتهم وقاموا بتجنيد الرجال من أفراد القبيلة للخدمة العسكرية وفرضوا ضرائب باهظة لم يكن يمكن أحد أن يتحملها .

وفى عام ٦١ قبل الميلاد توفى زوج الملكة بوديكا وتركها وحدها تواجه اهانات الرومان ولكن هذه المرأة كان لديها قدر هائل من الشموخ والاباء فتوجهت الى قائد الحامية الرومانية وقدمت له احتجاجا - باعتبارها وريثة لعرش زوجها - على الممارسات الرومانية التعسفية ضد شعبها وسخر منها القائد الرومانى وأصدر أوامره بضربها بالسياط وتعذيب ابنتيها وهنا أدركت ان اسلوب المهادنة لن يقنع بالتخلى عن طغيانهم وقررت ان تلجأ الى الأسلوب الوحيد الذى يفهمه الغزاة فى كل العصور وهو القوة ..

لقد كان عامة الشعب يفضون لأكثر من طاغية .. الامبراطور الرومانى وقائد حامية الاحتلال وضباط الجيش والجنود وحتى العبيد . الذين كانوا يعملون فى احقر المهام ، كانوا يمارسون القمع ضد الشعب ويعرضون مهانتهم باذلاله .

ولفتت الأمور حد اقتحام البيوت والاعتداء على الاعراض واختطاف الاطفال لتحويلهم الى عبيد وبدأت بوديكا تجمع حولها عددا من أفراد الشعب وتشعل فيهم نيران الثورة ضد الغزاة المحتلين .

وبدأ رويدا رويدا ادرك الرومان ان هذه المرأة تشكل خطرا عليهم لانها لجأت الى السلاح الذى يعجز اى محتل عن مواجهته وهو تحريض الشعب على الثورة .

وطلب القائد الرومانى من جنوده اعتقال بوديكا بأية وسيلة وأندفع الجنود فى كل مكان يبحثون عنها ويعتقلون أى شخص يشكون مجرد شك فى انه من رجالها .

وقررت بوديكا ان تتخذ لها قاعدة أخرى لتنظيم المقاومة بعيدا عن قبضة البطش الرومانية وانتقلت بالفعل الى ضواحي مدينة « كولتستر » التى كانت خاضعة للرومان ولكنها بلا حماية رومانية تدافع عنها . وعملت بوديكا المستحيل حتى تزود الشعب بالسلاح فهاجمت الدوريات الرومانية واستولت على اسلحة أفرادها حتى أصبح لديها فى النهاية جيش كبير ، وهنا قررت بوديكا شن هجوم شامل على « كولشيستر » وتم هنا الهجوم اثناء الليل حيث اشعلت قواتها النار

فى الممتلكات الرومانية .. وسيطرت تماما على المدينة وقررت ان تعتبرها نقطة انطلاق لطاردة القوات الرومانية .

وربما تتضح قبة هذه العمليات فى ضوء القوة العسكرية الهائلة التى كانت تمتلكها الامبراطورية الرومانية فى ذلك الحين والاسلحة المتطورة بمقاييس ذلك العصر والتى كانت بحوزة الجيش الرومانى .. وفى مواجهة هذه القوة كانت هناك بوديكا بجيشها الصغير المستحيت فى القتال دفاعا عن ارضه .

وتوصف حركة الملكة بوديكا فى المراجع التاريخية بانها كانت « ثورة حقيقية » خاصة انها أدت الى هز اركان الامبراطورية الرومانية .

لقد تجاهلت بوديكا حقيقة انها امرأة ينظر اليها الآخرون على انها ضعيفة وغير قادرة على قيادة الجيوش أو خوض الحروب وبدأت تصعد هجماتها ضد القوات الرومانية اينما وجدت فقطعت طرق الامدادات واقتحمت القلاع والحصون الرومانية وقتلت كل الجنود الذين كانوا فيها .

وفى خضم الانتصارات التى حققتها بوديكا ، قررت ان تتوجه بقواتها الى لندن حيث كانت توجد حامية رومانية صغيرة ارسل قائدها يستنجد بهولينوس القائد العام للجيش الرومانى الذى حرك قواته فى اتجاه لندن لاتخاذها من السقوط فى ايدى قوات الثورة .

وقبل وصول هذه التعزيزات اقتحمت بوديكا لندن ودمرت كل المواقع الرومانية داخلها واندفعت لتسيطر على مدن جنوب انجلترا بأسرها .

واحتشدت القوات الرومانية فى موقع استراتيجى بحيث تحمى إحدى الغابات جانبى ومؤخرة الجيش الرومانى الذى يادر بمهاجمة قوات بوديكا بشراسة ..

ورغم الفارق الهائل بين عدد جنود الجيشين الا أن قوات الملكة بوديكا تمكنت من الصمود وقاتلت بشرف حتى آخر رجل وانتصر الرومان انتصارا ساحقا أسفر عن أباداة جيش الملكة البريطانية .

وبعد هذه الهزيمة الساحقة لم يكن أمام بوديكا سوى أن تتجرع السم وتنتحر حتى تلحق بجنودها الذين وثقوا فيها وحتى لا تسقط فى أيدي الرومان وتعرض للذل والمهانة من الأسر .

وكانت آخر كلمات بوديكا لمن بقى من جنودها انها حاولت ان تثبت للفرزة الرومان ان قوة الشعب مهما كانت واهنة وضعيفة يمكن ان تتحدى الطغاة .

والدليل على ذلك انه رغم خسارة جيش بوديكا للمعركة الحاسمة مع الرومان الا أنه كان ق استطاع ان يلحق بقوات الرومان خسائر فادحة بلغت حوالى ٧٠ ألف قتيل ..

وفي نفس الوقت ، تؤكد المراجع التاريخية أن تضحيات بوديكيا والموالين لها لم تذهب هباء منثورا .. فقد أدرك الامبراطور الروماني أن القمع لن يؤدي الا الى الانفجار ولذلك قرر تغيير حكام المناطق في المهلترا واستبدالهم بحكام آخرين اكثر قدرة على تهدئة الثورة واحتواء نيران الفضب في نفوس المقهورين .

وسوف تبقى بوديكيا في ضمير التاريخ رمزا خالدا على الضعف عندما يتحول الى قوة هادرة .. فقد كانت مجرد امرأة مات زوجها ملك القبيلة وكان عليها ان تختار بين التعامل مع الواقع في ضوء ظروفها الخاصة التي تهرر الضعف وقهرل الهزيمة .. اما الخيار الآخر فكان هو التحدى وإيقاظ روح الثورة في نفوس الشعب .

\* \* \*

٢٢

## إليانورا ديوز ..

### عرض مأساوى على مسرح الحياة !

من اروع الشخصيات في تاريخ المسرح تلك المثلة الايطالية العظيمة « اليانورا ديوز » التي ارتبط اسمها بالتمثيل المسرحى واصبحت حياتها بمثابة دراما واقعية عاشها العالم معها في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .. هي بلا شك أعظم ممثلة مسرحية في عصرها .. كانت موهبتها تختلف تماما عن موهبة أسطورة المسرح الفرنسي سارة برنار التي عاشت معها في نفس العصر .

فقد كانت سارة برنار ممثلة محترفة من ارفع طراز تطنى شخصيتها القوة على الشخصية التي تقوم بتمثيلها وتذكر المشاهد في كل وقت بأن التي تتحرك أمامه على المسرح هي سارة برنار العظيمة .

أما اليانورا ديوز فقد كانت كالملاك الحارس تخلق حول الشخصية التي تؤدبها وتضيف اليها الأبعاد الروحية والنفسية التي تؤكد حقيقتها وتحولها الى كائن حي بدرجة عجز أعظم كتاب المسرح

عن تحقيقها في رواياتهم لم يكن المسرح بالنسبة لاليانورا ديوز مجرد مهنة أو حتى هواية تعشقها وتذوق فيها بل كانت رؤيتها للمسرح باللغة العمق والجدية .. وهي رؤية ترجع جذورها الى العصر الذهبي للمسرح أيام الاغريق عندما كان جزءا أساسيا من الحياة ووسيلة للتعبير عن الفكر والعقيدة والسلوك والاخلاق .

وكانت اليانورا ديوز ترفض بشدة اعتبار المسرح وسيلة للترفيه أو التسلية بل تنظر اليه على انه مدرسة للأهم وأداة باللغة الرقى لتهديب المشاعر وصقل الرجنان ..

وفي نفس الوقت ، كانت شخصية اليانورا بالغة الرومانسية فانتقة الحساسية ، وكانت تبكي بدموع حقيقية على خشبة المسرح في المشاهد المؤثرة وكانت دموعها الطبيعية تنهمر كل ليلة في نفس المواقف دون أن تتهد مشاعرها بسبب التكرار ..

ولدت اليانورا ديوز في إحدى عرصات السكك الحديدية قرب مدينة « فينانور » الإيطالية يوم ٣ أكتوبر عام ١٨٥٨ .. وكان جميع أفراد اسرتها من الممثلين في الفرق المسرحية المتجولة فعاشت الطفلة الصغيرة سنوات حياتها الأولى كفراشة هائمة تنطلق في حقول وغابات القرى التي كانت تتوقف فيها الفرقة لتقديم عروضها .

وكانت اليانورا الصغيرة تشاهد كل ليلة العروض المسرحية من وراء الكواليس وتندفع بين اقدام المغنيين والممثلين كقطعة برية تجرى هنا وهناك بلا قيود .. ولاحظ المسئولون ان الفتاة الصغيرة تقوم بتقليدهم وتؤدي المشاهد المختلفة بموهبة ملحوظة فقرروا ضمها للفرقة ولم تكن تتجاوز الرابعة من عمرها ..

وكانت أول شخصية قفلها اليانورا هي شخصية ابنة جان فالجان في رواية « الهؤساء » لاديب فرنسا العظيم فيكتور هوجو .

وفي سن الرابعة عشر مثلت اليانورا دور جوليت في رائعة شيكسبير الشهيرة « روميو وجوليت » .. وبعد وفاة والدها ووالدتها عاشت اليانورا أوقاتا صعبة وعملت مع العديد من الفرق المسرحية حتى توجهت الى مدينة نابولي في عام ١٨٧٨ وبدأت نقطة التحول الرئيسية في حياتها الفنية .

ففي نابولي كانت فرحتها أكبر لاطهار موهبتها فالتحقت بأحدى الفرق وأبدعت في اداء الشخصيات المسرحية الكلاسيكية مثل « الكترا » من المسرح الاغريقي و« اوفيليا » بطللة مسرحية هاملت وعندما لعبت شخصية « راكيني » في رواية « تيريزا » لامييل زولا حققت نجاحا هائلا واجمع النقاد على مولد ممثلة عظيمة تؤدي ادوارها على المسرح بصدق لم يسبق له مثيل .

وفى عام ١٨٨٢ ، توجهت اليانورا الى باريس حيث شاهدت تمثيل لجمعة فرنسا الشهيرة « سارة برنار » ولاحظت النجاح الذى حققته فى اداء الروايات المعاصرة وقررت منذ ذلك الحين ان تقوم بتمثيل مسرحيات لكتاب معاصرين وخاصة من فرنسا .

وبدأت اليانورا فى تمثيل روايات الكسندر ديماس الابن وكان اول هذه الادوار هو دور « ليهونيت » فى رواية أميرة بغداد وانطلقت بعد ذلك لتتفوق على سارة برنار وتصبح أعظم ممثلة مسرحية فى العالم .

وفى عام ١٨٨٥ ، قامت اليانورا بجولة فى امريكا اللاتينية مع فرقة سيزاروس .. وبعد عودتها الى ايطاليا كونت فرقته المسرحية الخاصة وكان اسمها « فرقة روما المسرحية » .. وقامت الفرقة بجولة فى النمسا والمانيا وانجلترا وفرنسا وروسيا ومصر وبلجيكا والبرتغال والولايات المتحدة .. ومع كل نجاح كانت اليانورا تحققة ، كان عشقها للمسرح يتضاعف وكان تألقها يزداد وموهبتها تتفجر كينهرج متجدد للفن والحياة .

وعلى الصعيد الشخصى ، كان من الطبيعى لمثل هذه الشخصية الفريدة ان تخوض اروع تجارب العلاقات الإنسانية .

ففى عام ١٨٩٤ ، التقت اليانورا بشاعر ايطالى مغمور هو « جابريل دانونزو » وكان اشد ما لفت نظرها اليه هو شخصية البوهيمية والطابع الرومانسى الذى كان يغلف كل تصرفاته .

ورغم ان دانونزو كان فى ذلك الحين شاعرا مبتدئا لم يحقق أى نجاح الا ان اليانورا كانت مؤمنة تماما بانه شاعر موهوب ولذلك طلبت منه ان يكتب لها عددا من المسرحيات .

وفى عام ١٩٠٠ ، كتب جابريل دانونزو افضل اعماله الأدبية وكانت قصة بعنوان « لهيب الحياة » وكانت هذه القصة بمثابة تسجيل امين لعلاقة الحب التى ربطته باليانورا .

والى جانب مسرحيات دانونزو ، عثرت اليانورا على معين لا ينضب للتعبير عن ذاتها وتمثل هذا المعين فى روايات ومسرحيات الكاتب النرويجى هنريك ايسن .. ولم تكن اليانورا تشعر بالملل من تمثيل شخصية « نورا » فى رائعة ايسن « بيت الدمية » ..

ومن اروع الأدوار التى ارتبطت باسمها شخصية « ايليدا » فى « سيدة من البحر » وشخصية هيدا جايلر وهى كلها شخصيات ابدعتها عبقرية هنريك ايسن وازافت اليها اليانورا بأدائها التمثيلى نهض الحياة للدرجة جعلت ايسن نفسه يعترف بأنه مهوود لأن هذه الممثلة العظيمة اضفت على شخصياته ايمادا عجز هو نفسه عن التعبير عنها .

وقد كان أديب إيرلندا الكبير جورج برناردشو احد النقاد الذين بهرتهم اليانورا بتمثيلها المعجز

وقدرتها على تجسيد الجوانب النفسية والروحية من خلال الحركة والسكون .. والحديث والصمت .  
وفي عام ١٩٠٩ ، تركت اليانورا خشبة المسرح لاسباب صحية واكتفت بإدارة شئون فرقتها ،  
ولكن خلال الحرب العالمية الاولى ، منيت الفرقة بخسائر مادية فادحة واضطرت اليانورا للعودة الى  
التمثيل لاتخاذ الموقف ولاتها ادركت بالفعل عجزها عن الحياة بعيدا عن خشبة المسرح .  
ورغم تدهور حالتها الصحية الا ان موهبتها وعبقريتها كانت ملتزمة وفي أوج تألقها وذروة  
نضجها الفني .

وانتقلت اليانورا بعد ذلك الى مدينة « بيتسبورج » لتقديم عروضها المسرحية الرفيعة وفي ليلة  
٢١ ابريل عام ١٩٢٤ ، انتهت من اداء دورها في الرواية واسدل الستار على الفصل الأخير من  
المسرحية لتسقط اليانورا ديهوز على الأرض وتلفظ انفاسها الأخيرة وكان آخر صوت سمعته اذناها هو  
هتاف الاعجاب والتقدير من جمهورها واغمضت عينيها للمرة الأخيرة وكأنها تحاول ان تستمتع بذلك  
الصوت العذب الذي طالما ساعدها على مقاومة الارهاق والمرض .  
ماتت اليانورا ديهوز ونقل جثمانها الى ايطاليا حيث دفن في قبر صغير متواضع بمنطقة « اسولو »  
وفقا لوصيتها التي أوصت بها قبل موتها .

## الآخوات بروننى ..

### سنوات العزلة .. والعقوبة

شارلوت وأميلى وأن بروننى ثلاث شخصيات خالدة فى تاريخ الأدب الانجليزى والابداع الإنسانى بأسره .. هن ثلاث أخوات عشن ظروفًا بالغة الصعوبة سواء بالنسبة للمناخ العام الذى كان سائدًا فى المجلترا خلال مطلع القرن التاسع عشر أو بالنسبة للبيئة الخاصة التى تربين فيها والتى كانت تفرض عليهن العزلة والوحدة والاكتئاب .

ورغم ذلك استطاعت الشقيقات الثلاث اختراق حاجز العزلة القائم واثراء الفكر الإنسانى بأعمال أدبية مميزة أصبحت الآن تحتل مكانة فريدة بين اعمال المبدعين الكبار كتحتاج للعقول الملهمة .

ولقد انعكس الطابع المأساوى لحياة الأخوات بروننى بكل صدق فى شخصيات رواياتهن ورموز قصائدهن الشعرية فجاءت أعمالهن تجسيدًا حيا لمختلف الصراعات التى تعتمل فى نفس المرأة عندما تعيش وسط ظروف بالغة الصعوبة والقسوة .

فرواية « جين آير » التى كتبها شارلوت بروننى كان لها تأثير هائل على حركة المرأة الانجليزية نحو التحرر لانها قدمت فيها بكل الصراحة والانفعال الصراع الداخلى للمرأة بين رغباتها الطبيعية وظروفها الاجتماعية ..

والشقيقة الثانية « أميلى بروننى » كانت بمثابة الفرس البرى الشارد بين الآخوات الثلاث ، كانت متعتها الوحيدة هى التجول فى البرارى وتلقى حبات المطر على صفحة وجهها البرئ . وكتبت أميلى واحدة من اروع الأعمال الأدبية فى تاريخ الأدب العالمى وهى رواية « مرتفعات وذرنج » التى تعرض مأساة حب قدرى بين خادم مجهول الأهورين وابنة سيده .. وقد حاول هذا الحب ان يصمد امام الظروف الاجتماعية والطبقية السائدة ولكنه انهار وتحولت عاطفة الحب السامية لدى الخادم « هيتكليف » الى رغبة جهنمية فى الانتقام من كل شئ حتى من نفسه وحييته .

ولقد وصفت رواية « مرتفعات وذرنج » بعد ذلك بأنها كانت أول رواية ثورية اجتماعية وهى تعد بالفعل بمثابة الجذر الحقيقى لأسلوب تدفق الشاعر فى الأعمال الأدبية التالية .

أما الشقيقة الثالثة « آن بروننى » فقد كانت شخصيتها تفتقد النيران التى ميزت شخصيتها

شقيقتها وكانت تمهيرا أصبلا عن القوة الهائلة والواقعية المتزنة وكان أبطالها دائما لديهم القدرة على التعامل مع الواقع بوقار وهدوء دون انفصال أو انسياق وراء تيار العاطفة .

كان الأب هو باتريك بروتشي .. رجل أيرلندي تعلم في كمبريدج رغم فقر أسرته بفضل قدرته الهائلة على الادخار ومساعدة الكنيسة له .

تخرج باتريك بروتشي في الجامعة عام ١٨٠٦ وعمل واعيا لايرشبة هارتشيد في يوركشير وفي عام ١٩١٢ تزوج من ماريا برانويل والمحبة منها الابنة الكبرى ماريا في ١٨١٣ ثم اليزابيث في عام ١٨١٤ ثم شارلوت في عام ١٨١٦ ثم ابنة الوحيد باتريك في عام ١٨١٧ وأميلى في عام ١٨١٨ ثم ان في عام ١٨٢٠ .

وبعد ثلاثة شهور من مولد « آن » أصبح والدها قسيسا لكنيسة هاوورث في يوركشير وظل في هذا المنصب حتى نهاية حياته .

في سبتمبر ١٨٢١ ماتت الأم بالسرطان وتولت شقيقتها اليزابيث رعاية منزلها وأولادها حيث اهتمت بتعليم الفتيات الخمس الحياكة والتطريز وبذلت أقصى ما في وسعها لمساعدتهن ولكنها .. رغم ذلك .. كانت بعيدة عن قلوبهن بسبب تزمها الديني وصرامتها وقسوتها في التعامل معهن .. اما الابن باتريك فكان أبوه هو الذي يتحمل مسئولية تعليمه .

كان الأب محبا لعائلته ولكنه فرض على أطفاله العزلة وابعدهم تماما عن الحياة الاجتماعية وكان كل اهتمامه يتركز في حث أطفاله على القصائد والمقالات .

قرأ الأطفال الستة كل ما وقع تحت أيديهم ابتداء من الصحف وحتى أعقد الكتب الدينية وكانت متعتهم الوحيدة هي التجول في البراري والأحراش الأمر الذي له أثره البالغ في تنمية مشاعرهم وعواطفهم بدرجة تفوق ستمهم ..

ولكن هذه التربية الصارمة والحياة في عالم العزلة تركت لدى البنات الخمس صفة التحجب الشديد والخوف من التعامل مع الناس في الواقع . وفي عام ١٨٢٤ أرسل الأب ابنتيه ماريا واليزابيث الى مدرسة لبنات رجال الدين ولحقت بهما بعد ذلك شارلوت وأميلى .

كانت نفقات المدرسة رخيصة وطعامها سيئ ونظامها صارم لذلك فعندما كتبت شارلوت بروتشي رانعتها « جين إير » كان حجم كراهيتها للمدرسة شديدا وصورتها في شكل ملجأ للأيتام مما دفع بطلقة القصة الى قبول اي عمل للهروب من حجم المدرسة .. وبالفعل خرجت جين إير بطلقة القصة لتعمل مربية لطفلة وتقع في حب رب الأسرة المتزوج وتعاني أشد الصعوبات في تعاملها مع المجتمع الذي لم تكن تعرف عنه شيئا .

وتنتهجة لسوء التغذية في المدرسة مرضت الشقيقتان ماريا واليزابيث وأعيدتا لمنزل الأسرة حيث كان مصيرهما هو الموت .

وتعمقت كراهية شارلوت للمدرسة وحملتها مسئولية وفاة شقيقتها .

وفي يونيو ١٨٢٥ عادت شارلوت وأميلي إلى منزل الأسرة .. وخلال السنوات الخمس التالية تفتحت ملكات ومواهب الشقيقات الثلاث شارلوت وأميلي وآن وشقيقتهن باتريك وانطلقوا في البراري يقرأون ويمارسون متعة إطلاق العنان للخيال .

وخلق الأطفال الأربعة مملكة وهمية اسمها « المجيريا » وأبتكرت عقولهم . الحروب والسياسات وشخصيات الطبقة الراقية في هذه المملكة .

وفي عام ١٨٤١ أرسلت شارلوت إلى مدرسة في هيدرسفيلد فقررت أميلي وآن ترك مملكة « المجيريا » لها وإنشاء مملكة وهمية أخرى أطلقا عليها اسم مملكة جرونندال « وأخذ خيال أميلي وآن يبدع علاقات الحب والعدا بين شخصيات هذه المملكة .

واستمرت هذه القصة الرومانسية المعقدة مع الأخوات برونتي حتى سن العشرين .. وليس هناك شك أن ملكتي « المجيريا » و « جرونندال » الوهميتين كانت تعبيراً عبقرياً عن رغبة عارمة في الانطلاق تعتمل داخل نفوس الأخوات برونتي .

وقد أكدت شارلوت برونتي أن هذه الوسيلة كانت تعوضا عن حياتها القادمة ، أما أميلي فلم تكن تشعر بالتناقض بين حلمها « مملكة جرونندال » وواقعها المر وقالت : إنها اكتشفت في النهاية أن جرونندال هي نفسها يوركشير التي تعيش فيها .

وبالنسبة للشقيقة الثالثة آن فقد كانت تعتبر أن مملكة « جرونندال » الوهمية هي مجرد وسيلة لتعميق اتصالها الفكري بشقيقتها أميلي التي كانت تحبها حبا جما ..

والأخ الوحيد « باتريك » كانت مشكلته أو مأساته منذ البداية وحتى النهاية هي أنه لم يعد قادرا على التمييز بين الحلم والواقع فاختلفت الأشياء في ذهنه وتحولت حياته إلى تراجيديا حقيقية .

كان جميع أفراد أسرة برونتي معشوقون القراءة والرسم .. وكانوا جميعا معزفون الموسيقى باستثناء شارلوت .. وفي عام ١٨٢٥ عملت شارلوت مدرسة وعمل باتريك رساما وذهبت أميلي إلى المدرسة التي تدرس فيها شقيقتها كتلميذة ولكنها كانت مرتبطة بالمنزل برباط عاطفي غامض فلم تستطع الاستمرار في البقاء بعيدا عنه فعادت واحتلت شقيقتها آن مكانها في المدرسة .

وفي نفس الوقت لم يكن العمل الروتيني كمدرسة يلائم عبقرية شارلوت فأصبحت بمرض « الاكتئاب » وأصبحت في حالة مستمرة من الحزن والانقباض لذلك استقالت من المدرسة في عام

١٨٣٨ وعادت الى بيت اسرتها .

كان لدى شارلوت طموح بأن تستغل عبقريتها الأدبية ولكنها اضطرت لقبول أعمال مختلفة لمساعدة شقيقها باتريك فى سداد ديونه .

ورغم أن باتريك كان موهوبا فى الكتابة والرسم والموسيقى الا أنه كان يعاني من الفشل المستمر .. وقد أنشأ باتريك مرسما لليوتريه عام ١٨٣٧ ، وعمل بدأب لمدة عام ولكنه كان ضعيف الارادة فلم يستمر وانهار مشروعه وفصل من جميع الاعمال التى فيها بسبب شخصيته اللامبالية .

وفى عام ١٨٤٢ توجهت شارلوت وامبلى الى بلجيكا لتعلم الفرنسية والالمانية وتعلمت امبلى فى بروكسل المزيد من الموسيقى وكانت تعطى دروسا فى العزف على البيانو ..

ولكن ، فى نهاية نفس العام ماتت الحالة اليزابيث وعادت الشقيقتان الى هاوروث حيث ورثت كل فتاة ٣٠٠ جنيه استرليني الحالة .. وظلت امبلى فى منزل الاسرة وعمل باتريك مدرسا مع شقيقته آن وعادت شارلوت وحدها الى بروكسل حيث تعرفت بمدرس يدعى قسطنطين هاجر بعد ان بهرتها شخصيته وثقافته وإيمانه بموهبتها .

ولكن زوجة هاجر أحست بالخطر من علاقة زوجها بشارلوت وأحست شارلوت بمعجزها عن مواجهة الموقف فأحكمت السيطرة على مشاعرها وانتهت علاقتها به ..

وفى عام ١٨٤٥ طرد الاخ باتريك من عمله بعد اتهامه بالخطفينة مع زوجة صاحب المدرسة وعادت معه اخته آن الى منزل الأسرة ليجتمع الشمل مرة أخرى فى هاوروث .

وخلال هذه الفترة بدأت شارلوت وامبلى فى نشر بعض القصائد والأعمال الأدبية بتوقيع مستعار وطبعت الشقيقتان هذه الاعمال فى كتاب على نفقتها الخاصة ، ولكن بيعت من هذا الكتاب نسختان فقط .. ورغم ذلك كانت معالم الطريق قد اتضحت امامها .. وفى منتصف صيف ١٨٤٧ نشرت لامبلى رانعتها الفذة « مرتفعات وذرنج » ، ونشرت لـ « آن بروننى » قصة « أجنس جري » ، ولكن شارلوت فشلت فى نشر قصتها « الهروفيسور » .

ورغم ذلك أكملت شارلوت كتابة أروع قصصها « جين إير » ونشرت فى أكتوبر ١٨٤٧ وحقت نجاحا كبيرا .. وبدأ انتشار الاخوات بروننى فى الأوساط الادبية ولكن فى العام التالى ١٨٤٨ مات شقيقهن باتريك بعد ان أدمن الخمر والأفيون وبدأت الكوارث تنهمر على هذه الأسرة العبقريه .

فبعد موت باتريك أصيبت أمبلى بنزلة برد اثناء جنازته وتدهورت حالتها لتصاب بمرض السل ورفضت اى علاج بسبب حزنها على شقيقها وماتت فى ١٩ ديسمبر من نفس العام .

وكانت الصدمة هائلة على الشقيقة الصغرى آن التى أصيبت بعدها مباشرة بنفس المرض وماتت

أيضا فى مايو ١٨٤٩ ولم يبق سوى شارلوت مع أبيها فى منزل الأسرة وواصلت إبداعاتها الأدبية فنشرت قصتها « شيرلى » وأصبحت أدبية مشهورة .

وفى عام ١٨٥٤ تزوجت شارلوت برونتى من أحد رجال الدين من تلاميذ والدها .. كان الزوج يحبها ولكنه كان مختلفا تماما عنها وكل أمل أن يصبح راعيا للكنيسة بعد وفاة والدها .. لذلك لم تشعر هى بأى حب نحوه .. وعندما حملت فى بداية ١٨٥٥ اجتاحتها مشاعر غريبة حول الحياة وأصبحت باكتئاب جديد ولم تكمل الحمل حتى نهايته فماتت فى ٣١ مارس عام ١٨٥٥ وظل زوجها مع أبيها حتى مات الأب فى عام ١٨٦١ ليخلق ملف أسرة برونتى ولتدخل عبقرية الاخوات الثلاث شارلوت وإميلى وأن فى سجل التاريخ كنموذج للعطاء الإنسانى الذى لا يتوقف مهما كانت الظروف صعبة وقاسية ..



## الأميرة أوجينى .. سيفونية الأقدار

إذا توهم المرء أن شمس لا تعرف سوى الشروق وأنه خلق فقط ليخلق فوق ذرى النجاح وقمم المجد ، عندئذ يكون قد اختار أن يعيش منتشيا فى غيبوبة ألهم حتى ينفق ذات يوم على ضوء الحقيقة ودوى الواقع ، فتكون النهاية القاسية .. والمأساوية أيضا . وقد كان هذا بالتحديد هو الدرس الهام الذى تعلمته الاجيال من سيرة حياة أوجينى اميرة فرنسا .

« أوجينى دى مونتيو » هى زوجة ناهليون الثالث امبراطور فرنسا فى منتصف القرن التاسع عشر . ولدت فى غرناطة بإسبانيا عام ١٨٢٦ وكان والدها هو الكونت « تيبا » أشهر نبلأ إسبانيا فى ذلك الحين ..

وعند دخلت أوجينى مرحلة الصبا أصبحت محط انظار شباب الطبقة الارستقراطية فى أوروبا لجمالها وثقافتها الفريزية وشخصيتها الجذابة .. التقت بناهليون الثالث اثناء فترة وجوده فى منفاه بالمجلترا وتعاهدا على الزواج فى اللحظة التى يسترد فيها ناهليون مكانته ويصبح جديرا بها ..

فخلال السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر كانت أسرة « البوربون » الحاكمة فى فرنسا قد

بلغت ذروة استبدادها وأصبح الشعب الفرنسى عاجزا عن تحمل ذلك التفاوت الطبقي الهائل الذى أعطى للنهلاء والاستقراط الحق فى ملكية ثروة فرنسا وتهديدها فى اوجه الهذخ بينما كانت غالبية الشعب تعاني من شظف العيش وقسوة الحكم الدكتاتورى الذى جسده مقولة الملك لويس الرابع عشر الشهيرة « انا الدولة والدولة انا » .. واستمر هذا الوضع المؤسف حتى تفجرت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وتم اعدام الملك لويس السادس عشر وزوجته ماري انطوانيت .

وقد بدأت الامبراطورية الفرنسية الجديدة بتتويج ناهليون الأول فى عام ١٨٠٤ وشاعت الأقدار الا يخلفه على العرش ابن من صلبه بل كان الملك التالى هو حفيد زوجته جوزفين من ابنتها « هورتنس » التى كانت قد أنجبتها قبل ان تتزوج من ناهليون .. وحكم هذا الامبراطور فرنسا باسم ناهليون الثالث وكان هو الذى تزوج من أوجينى فى ٢٩ يناير عام ١٨٥٣ ..

ورغم الكثير من السلبات التى أحاطت بحكم ناهليون الثالث لفرنسا الا ان عهده شهد العديد من المنجزات ، فقد بذل جهودا هائلة لتحقيق العدالة وعمل على اعادة بناء العاصمة باريس وتجديدها وانشاء الحدائق والشوارع الجديدة فى انحاءها . وكان ناهليون الثالث هو الذى اتم بناء متحف اللوفر الشهير ..

وقد استمر ناهليون الثالث يحكم فرنسا لمدة ٢٧ عاما ابتداء من عام ١٨٥١ وحتى ١٨٧٣ .. وكانت هذه الفترة بحق مرحلة رخاء واستقرار كانت فرنسا فى شوق شديد اليها بعد الاحداث الجسام التى شهدتها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

أما سلبات عهد ناهليون الثالث فكان معظمها مرتبطة بشخصية زوجته الامبراطورة أوجينى التى اتهمت بأنها كانت تولى عليه ارادتها وتتدخل فى القضايا السياسية للدولة وتسيطر على شئون الحكم .

ويتهم بعض المؤرخين أوجينى بأنها هى المسئولة عن دفع ناهليون الثالث الى خوض حروب خاسرة مثل شن حملة لغزو المكسيك والدخول فى مواجهة عسكرية مع واحدة من أقوى الدول الأوروبية فى ذلك الحين وهى روسيا .

كذلك كانت أوجينى تمسك حياة الترف والهذخ وتسرف فى الانفاق بهجنون لدرجة جعلت الشعب الفرنسى يخشى من عودة عصر النهلاء والاستقراط مرة أخرى بكل ما شهده هذا العصر من ظلم اجتماعى صارخ .

والواقع ان أوجينى كانت بالفعل محبة للحياة الرفهة الناعمة لذلك كانت تهتم اهتماما شديدا بأزيائها .

وتقتنى عددا هائلا من الأثواب وكميات من الحلى والمجوهرات .

ورغم ذلك ، فالتاريخ يذكر لأوجيني أيضا انها تبرعت بجزء من مجوهراتها لبناء معهد لتعليم بنات العمال الفرنسيين كما تصدقت بمبلغ ٢٠ ألف دولار للفقراء . وكان هذا المبلغ جزءا من هدية مالية قدمها لها نابليون الثالث قيمتها ٥٠ ألف دولار .

وقد شاركت الامبراطورة أوجيني في احتفالات افتتاح قناة السويس في مصر عام ١٨٩٦ وحضرت حفل العرض الأول لأوبرا عابدة للموسيقار العالمى فيردى بدار الأوبرا المصرية في ذلك الحين .. ولقد كان الخطأ الفادح الذى ارتكبه نابليون الثالث بتشجيع من زوجته الامبراطورة هو اعلان الحرب على بروسيا في عام ١٨٧٠ .

ورغم أن الجيش الفرنسى لم يكن مهيا على الإطلاق لخوض هذه الحرب ضد واحد من أقوى الجيوش الأوروبية الا ان نابليون الثالث لم يتراجع عن قراره بالحرب خاصة بعد أن تحدى داهية السياسة الجرمانى الشهير « بسمارك » .

وكانت النتيجة الطبيعية هي ان يلقى الجيش الفرنسى هزيمة مروع بعد معارك استمرت ٢ أسابيع فقط مع البروسيين .

ولم يستقر الأمر على مجرد الهزيمة العسكرية فحسب بل أدى ايضا الى سقوط الامبراطورية الفرنسية الثانية وأسر الامبراطور نابليون الثالث ودخول الجيش البروسى باريس وجلس الملك وليم ملك بروسيا على عرش نابليون فى العاصمة الفرنسية .

وخلال المعارك الأولى بين الفرنسيين والبروسيين لم تكن أوجيني تتوقع هزيمة جيش زوجها ولكن بعد أيام بدأت الانباء ترد اليها حولها هزيمة الجيش الفرنسى .. وعندما حاصر الجيش البروسى باريس ، حاولت أوجيني ان تفعل شيئا لاتخاذ امبراطورية زوجها من السقوط وفكرت فى الخروج الى الشوارع ودعوة الشعب الى المقاومة والالتفاف حول أمبراطوره المهزوم ولكن حادثة بسيطة وقعت أدت الى تغيير مجرى التاريخ .. فقد كانت أوجيني شديدة الاهتمام بمظهرها واناقتها .. وعندما فكرت فى الخروج الى شوارع باريس والتحدث الى الشعب الفرنسى امرت باعداد جوادها وأخذت تبحث عن زيهما المخصص لركوب الخيل ولكنها لم تجد هذا الثوب ورفضت ان ترتدى اى ثوب آخر وقررت التراجع عن فكرتها خشية ان تراها الجماهير وهي تغطي الجواد بثياب غير تلك المخصصة لركوب الخيل !!

وهكذا ، فضلت أوجيني أن يضيع العرش وتفقد تاج الامبراطورية على أن تفقد تاج الاتاقة ويقال عنها بعد ذلك انها لا تجيد اختيار ثيابها حتى فى احلك الظروف .

وتشير المصادر التاريخية الى ان خدم الامبراطورة أوجيني تخلوا عنها بمجرد ان أدركوا أن البروسيين على ابواب باريس فهربوا من القصر وحملوا معهم ائمن ممتلكات الامبراطورة وفي مقدمتها

بالطبع ثيابها الاتيقة الرائعة .. لذلك قال المؤرخ الفرنسي الشهير تيرس : « أن ضياع ثوب واحد اضاع الامبراطورية الفرنسية » .

وانتهز عامة الشعب الذين يطلق عليهم اسم « الرعاع » أو « الفوغا » هذه الفرصة وتوجهوا الى قصر التويلرى حيث كانت تقيم الامبراطورة أوجينى وأخذوا يهتفون بسقوط نابليون المهزوم .

واسرع سفيراً ايطاليا وانتمسا الى الامبراطورة وطلباً منها سرعة مغادرة القصر قبل أن يقتحمه « الفوغا » .. وخضعت أوجينى لطلبهم وقبل ان تستقل العربة وقفت أمام متحف اللوفر تنظر اليه فى حيرة وانهمرت الدموع من عينها .. وغادرت الامبراطورة فرنسا الى بريطانيا حيث نزلت فى ضيافة الملكة فيكتوريا ..

وتوجه نابليون الثالث بعد ذلك الى بريطانيا ليعيش فى المنفى مع زوجته أوجينى وابنه لويس نابليون .. وعاش امبراطور فرنسا السابق فترة قصيرة من الحزن والأسى على عرشه الذى ضاع حتى توفى يوم ٩ يناير عام ١٨٧٣ ..

وكان الأقدار كانت قد أعدت لأوجينى مرحلة من الأحزان والكوارث المتتالية ، ففى عام ١٨٧٩ . قتل ابنها لويس اثناء اشتراكه فى الحرب ضد قبائل الزولو بجنوب افريقيا .

وعاشت الامبراطورة بعد ذلك تعاني من الوحدة والاحزان وتستعيد ذكريات الماضى الحافل وكأنها تحاول ان تبحث عن شئ يستحق أن تحيا من أجله ..

وتغيرت الظروف فى فرنسا وانتهزت أوجينى الفرصة وسافرت الى باريس وكانت هذه المرأة مجرد امرأة عجوز ترتدى ثوبا وتتحرك بصعوبة دون ان يتعرف عليها احد .. واخذت هذه المرأة المعجور محوم حول القصور الشامخة التى شهدت ايام مجدها الغابر وتتطلع الى جدرانها وكأنها شبح من الماضى .. كانت تتخيل مرحلة صباها والجنود يحيطون بها والنبلاء يقبلون يديها وكأنها شمس تتألق بالضياء وتبعث الحياة فى كل ما يحيط بها .

وأمام قصر « فرساي » انحنى الامبراطورة السابقة لتتطف زهرة من الحديقة المواجهة للقصر ولكن احد الحراس تقدم منها ونهرها بشدة طالبا منها الابتعاد .

وادركت أوجينى أن الامبراطورية التى كانت بين يديها قد ضاعت منها الى الابد وأنه لم يعد من حقها حتى ان تقتطف زهرة صغيرة من أمام قصر كان ذات يوم مجرد واحد من عشرات القصور التى كانت تمتلكها .

وفى يوم ١١ يوليو سنة ١٩٢٠ توفيت الامبراطورة أوجينى فى العاصمة الأسبانية مدريد وكان عمرها ٩٤ عاما وبموتها أغلقت الصفحة الأخيرة فى كتاب الامبراطورية الفرنسية .

## ممتاز محل ..

### التاريخ تصنع النساء عندما تحب !

كانت سيدة تاج محل واحدة من ثلاث نساء احتفظن مكانة فريدة في التاريخ الإسلامي بالهند وجميعهن من أصل فارسي .

الأولى هي « البيجوم حميدة بانو » التي تزوجت من الامبراطور همايون في السند وعمرها لم يكن يتجاوز ١٥ عاماً وأخلصت له لدرجة أنها لم تتركه وحده في المنفى خلال الصراع على العرش وظلت بجانبه لمدة ١٥ عاماً كاملة عاشها في منفا ..

والثانية هي « نور جهان » أسطورة الجمال والذكاء التي خلعت لب الامبراطور جهانگیر وجعلته يكرس امبراطوريته بأسرها لتكون في خدمتها .

أما الثالثة فكانت هي « البيجوم أرجومانان بانو » التي أطلق عليها اسم « ممتاز محل » والتي يضرب بها المثل باعتبارها نموذجاً للزوجة المحبة المخلصة التي تذوب عشقاً لزوجها ..

فخلال القرن الخامس عشر كان الوجود الإسلامي في وسط آسيا قوياً وملحوظاً وحدثت صراعات وحروب من أجل السيطرة على الاراضي الشاسعة في تلك المنطقة حيث لم تكن هناك دولة موحدة تضم تحت لوائها القوى الإسلامية ممثلة في الابطارة والخانات المسلمين .

وفي عام ١٦١١ ميلادية ، تزوج الامبراطور جهانگیر من نورجهان التي تؤكد كتب التاريخ أنها أعظم مراكز القوة في الامبراطورية .

وكان نورجهان حريصة على تدعيم نفوذها من خلال ترتيب زيجات بين أقاربها والامراء لضمان الاستمرار في السلطة ..

وكان والد نورجهان هو اعتماد الدولة رئيس وزراء الامبراطور جهانگیر وقد ظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته في عام ١٦٢١ .

أما ابنتها من زوجها الاول ، وكانت تدعى شير افغان فقد زوجتها من شهربار اصغر ابناء الامبراطور . وكانت المنهج الزيجات التي رتبها نورجهان هي تلك التي تمت في عام ١٦١٢

واسفرت عن زواج البهجوم ارجومانند بانو ( ممتاز محل ) ابنة أخيها عساف خان للأمير خورام ابن الامبراطور .

ورغم ان الامبراطور جهانجير لم يكن قد اختار خورام بشكل نهائي كولي للعهد من بين أبنائه الا أن خورام كان يعد نفسه لتولي العرش .

وعندما مات جهانجير في عام ١٦٢٧ حاولت نورجهان اعطاء العرش لشهريار زوج ابنتها ولكن خورام تحرك بسرعة بمساعدة عساف خان والد زوجته وحدثت مواجهة دموية اسفرت عن انتصار خورام الذي اعلن نفسه امبراطورا باسم شاه جهان عام ١٦٢٨ .

ورغم ان الامبراطور شاه جهان كان متزوجا من احدى حفيدات اسماعيل شاه امبراطور الفرس قبل عامين من زواجه من ممتاز محل ورغم انه تزوج ذلك لأسباب سياسية من ابنة أحد الخانات لدعم موقفه في صراعات القوة الا ان ممتاز محل كانت هي زوجته المفضلة دون منازع ..

والواقع ان ممتاز محل كانت تستحق هذه العاطفة القوية من جانب زوجها .. فقد كانت ذات جمال باهر رقيقة كالنسيم والأهم من ذلك انها كانت تحب زوجها شاه جهان حبا لا يوصف وتكرس كل لحظة من عمرها لاسعاده وادخال البهجة الى قلبه .. وكانت دائما تدعم ثقته في نفسه وتؤكد له انه قادر على مواجهة مسئوليات الحكم مهما تعاضمت .

ولم تضعف عاطفة الحب في قلبى ممتاز محل وشاه جهان بمرور سنوات على زواجهما بل كانت تشتعل يوما بعد يوم .. وظل الزوجان عاشقين يسيران كل ليلة معا على ضفة نهر السند وسط المروج والخضائق وتحته ضوء القمر ويحيشان معا أروع قصص الحب الرومانسية في التاريخ .

ومن الحقائق المعروفة عن ممتاز محل وشاه جهان انهما كانا لا يفترقان طوال ساعات الليل او النهار .. كان كلاهما يشعر بالضيق اذا لم يكن نصفه الآخر امام عينيه .. وكانت ممتاز محل تخشى النوم لأنه يحرمها من رؤية زوجها فتبقى الى جواره وهو نائم حتى يغلبها النعاس فتقاومه وتتعبجج طلوع النهار حتى تتبادل الحديث مع شاه جهان .

والزوج من جانبه كان يعتبر ممتاز محل كل شيء في حياته فهي زوجته وصديقه ومستشاره الأول وكان يخشى ما يخشاه الزوجان العاشقان ان يفرق بينهما الموت لانه وحده الذى لن يستطيع حبهما أن يتحدها ولاتهما عقدا العزم على الا يفرق بينهما أى شيء في الحياة .

وذات يوم ابلى شاه جهان زوجته ان عليه التوجه جنوبا لمواجهة حركة تمرد .. ورغم ان ممتاز محل كانت حاملا الا أنها أصرت على ان ترافق زوجها وقواته برغم صعوبة السفر على امرأة في مثل حالتها ورغم قسوة الحياة وسط الجنود في الشكبات العسكرية .. ولم يستطع شاه جهان أن يرفض

رغبة زوجته لانها كانت رغبته أيضا فوافق على ذهابها معه .. وبينما كان الامبراطور وقواته يمضون فى منطقة برهان بورا أحست ممتاز محل بالآم الوضع ، وكانت ممتاز محل قد الحبت ١٣ طفلا من الامبراطور شاه جهان .. وأحست أن ولادة طفلها الرابع عشر لن تتم على ما يرام .. وأنذرع الامبراطور الى الخيمة التى كانت عملية الوضع تتم فيها ونظر الى عينيها فوجد الدموع تترقق فى مقلتيها فامسك بيديها واحس بالبرودة تسرى فى جسدها ..

وبصوت واهن كأنه قادم من أعماق الزمن قالت ممتاز محل لزوجها انها تشعر بالموت يسرى لى أوصالها وانها ليست حزينة الا على شئ واحد هو انها ستحرم منه .. وناشدته ان يعنى باطفالهما بعد موتها ثم لفظت أنفاسها الأخيرة وعينها عالقان بوجهه .. وأجهش شاه جهان بالبكاء واجتاحه شعور عارم بالحزن .. وخرج الجميع وتركوه مع جثمان ممتاز محل وكأنه يستعطف الموت ان يتراجع ولكن هيهات .

كان موت ممتاز محل فى يوم ٢٨ يونيو ١٦٣١ .. وتقول كتب التاريخ : ان لحية شاه جهان التى لم يكن يوجد بها سوى عدة شعيرات رمادية قد تحولت كلها الى اللون الأبيض خلال الفترة القصيرة التى قضاها مع جثمان زوجته من فرط حزنه عليها والصدمة التى اصابتها برحيلها .

واعتاد الامبراطور بعد ذلك ان يتوجه وحده كل يوم جمعه لزيارة القبر المؤقت الذى دفن فيه جثمان ممتاز محل بحديقة زين محل فى مدينة برهان بورا .

وظل شاه جهان لمدة عامين كاملين بعد وفاة زوجته يمتنع عن تناول أى طعام فاخر ويرتدى أبسط الملابس واشدها تقشفا كما اصدر قرارا بمنع عزف الموسيقى أو اقامة اية احتفالات لعدة سنوات بعد وفاة زوجته .. وظل الشهر الذى ماتت فيه ممتاز محل شهر حداد كامل حتى بمرور سنوات على وفاتها ..

وبعد ستة شهور من وفاة ممتاز محل نقل جثمانها الى مدينة « أجرا » ودفن فى قبر مؤقت آخر بحديقة « راجاجاى سنج » يوم ٩ فبراير ١٦٣٢ .. وفى هذا المكان بالتحديد قرر شاه جهان ان يشيد ذلك النصب الخالد الذى اطلق عليه اسم « تاج محل » لزوجته .. واعطى الامبراطور لصاحب الحديقة اربعة قصور من ممتلكات التاج كتعويض له عن حديقته ..

وقد عاد شاه جهان الى أجرا فى موعد الذكرى الاولى لوفاة زوجته حيث احتشد الالوف للاحتفال بهذه المناسبة . وفى مقدمتهم الملوك والخانات والأمراء والعلماء والسفراء ورددت جنات المدينة أصداً آيات القرآن الكريم واقترنت الصلوات على روح ممتاز محل ووزعت ٥٠ ألف روبية ترحما عليها و ٥٠ ألف روبية اخرى فى اليوم التالى .. واصبح ذلك تقليدا خلال السنوات التالية حيث كان يتم توزيع مبلغ مماثل اذا كان الامبراطور فى اكبر اهاد و ١٢ ألف روبية اذا كان الامبراطور بعيدا عن المدينة .

وكان الفقراء يتجمعون في هذه المناسبة من كل عام أمام مقبرة ممتاز محل حيث كان الطعام يقدم لهم .. ووفقا للتقاليد التي كانت سائدة في ذلك الحين فإن المرأة التي كان تموت أثناء الوضع كانت تعتبر شهيدة وكانت تتحول الى مزار مقدس .. وهكذا ، كان من الطبيعي ان يبنى شكل من القداسة على تاج محل منذ اللحظة الأولى لبنائه ..

ولقد كان اختيار شاه جهان لحديقة « راجاجاي سنج » كموقع لاقامة ضريح تاج محل اختيارا فنيا عبقريا .. فالمنطقة كلها تحيط بها الحدائق وتعتبر من اجمل المواقع الطبيعية وتنتشر حولها قصور وقلاع اباطرة وتبلا .. « الموغال » وبجانب الضريح يجرى النهر في رقة ونعومة في اتجاه الشرق . والموغال اشتقوا اسمهم من الغزاة المغول في آسيا وكان هذا الاسم يشمل الاتراك والمغول والقبائل المسلمة بوسطة آسيا .. وما زال اسم الموغال يطلق على سكان هذه المنطقة باستثناء الافغان .

كان هدف شاه جهان ان يرى ضريح زوجته مباشرة من فوق قلعة اجرا .. ولا تذكر كتب التاريخ اسم مهندس معماري واحد صمم ضريح تاج محل وتشير السجلات فقط الى أسماء النبلاء الذين عينهم الامبراطور للإشراف على البناء .. والحقيقة التاريخية الواضحة ان تاج محل كان ثمرة ابداع مجموعة كبيرة من المعمارين والفنانين .. ولكن بعض المصادر التاريخية ذكرت ان احمد لاهوري رئيس المعمارين في بلاط الامبراطور شاه جهان هو الذي أشرف على تنسيق جهود بناء تاج محل ..

وقد بدأ بناء تاج محل في عام ١٦٣٢ واستقدم شاه جهان لهذا الغرض امهر الفنانين والحرفيين من جميع انحاء هندوستان وغرب آسيا وبلغ عدد هؤلاء ٢٠ ألف شخص ظلوا يعملون لمدة ٢٢ عاما حتى انتهوا من بناء الضريح ..

وتقول المراجع التاريخية ان تكلفة بناء تاج محل تراوحت بين ٣٠ و ٦٠ مليون روبية .. وبعد انتهاء البناء ، كانت عادة الامبراطور ان يتوجه لزيارة الضريح في مركب مهيب عن طريق النهر حيث يستقل زورقا ينساب مع المياه حتى يرسو الى جانب تاج محل .. وكان شاه جهان يقضى الاعياد والمناسبات في الضريح ويعتبره مكانه المفضل للاستجمام واستعادة ذكرياته مع زوجته الراحلة .

وفي ٣ فبراير ١٦٦٦ لحق الامبراطور شاه جهان بزوجته ممتاز محل ونقل جثمانه بنفس الطريقة عبر مياه النهر حيث دفن الى يمين جثمان زوجته وبذلك التقيا مرة أخرى وإلى الابد ..

ولقد ترددت أساطير عديدة حول قصة حب ممتاز محل وشاه جهان وذكرت أحداها ان ممتاز محل اثناء حملها في الطفل الرابع عشر سمعت الجنين يبكي داخل بطنها قبل ان يولد فهرعت الى زوجها الامبراطور وقالت له : ان الأم عندما تسمع صوت بكاء الجنين فهذا يعني انها سوف تموت ولذلك يتمتع عليها ان تستعد للرحيل عن العالم .

وأوصت ممتاز محل زوجها الا يتزوج بعدها وان يبنى لها قبرا لم يشهد به العالم مثيلا ..

ورغم ارتباط هذه القصة بالامبراطور الا ان هناك حقيقة تبقى وهي ان الامبراطور شاه جهان لم يتزوج بعد وفاة ممتاز محل رغم انه عاش ٣٥ عاما بعدها كما انه ليس هناك جدال في ان ضريح تاج محل هو اعظم مقبرة في العالم ولا يوجد ضريح على مثل هذه الدرجة من الروعة ولذلك لم يكن من الغريب ان يصبح احدي عجائب الدنيا السبع .

\* \* \*

٢٦

## إيرين كورى ..

### ولدت من رحم المجد والعنفانية

« إيرين كورى » ابنة المفكرة الفذة ليهير ومارى كورى والتي اثبتت ان التقدم يمكن في تسلسل الخلق والابداح تماما كالتفاعلات النووية التي تخصصت فيها .

ولدت إيرين كورى في ١٢ سبتمبر ١٨٩٧ وحصلت على شهادة البكالوريا في عام ١٩١٤ .  
واثناء الحرب العالمية الأولى عملت بوظيفة فنى اشعة اكس في الجيش الفرنسى وبدأت جهودها للحصول على شهادة عليا في الفيزياء .. وفي نفس الوقت عملت ابتداء من عام ١٩١٨ كمساعدة لامها ماري كورى في العمل حيث استهوتها دراسة المواد المشعة التي كانت تجذبها بسحر غامض رغم علمها بخطورة هذه الأشعات الصادرة منها ..

ولقد ورثت إيرين كورى عن والدها ليهير وامها ماري عشق الابتكار والبحث العلمى والرغبة الملحة في خدمة الإنسانية .. وفي عام ١٩٢٥ حصلت على شهادة الدكتوراه وكانت رسالتها عن اشعة « الفا » التي تنبعث من عنصر البولونيوم .. وفي نفس العام التقت بفردريك جوليوتي الذي كان يعمل كمساعد فنى يعمل امها مدام كورى .

وجدت إيرين في فردريك صورة أخرى من أبيها ليهير كورى .. عاشق العلم يحلم بتحقيق منجزات علمية تفيد البشرية .. وكان فردريك ، من جانبه ، معجبا أشد الاعجاب بأعمال ليهير ومارى كورى وحصل على بكالوريوس في الهندسة ثم اكمل خدمته العسكرية والتحق بعد ذلك بوظيفة

مساعد فنى فى معمل مدام كورى .

وفى عام ١٩٢٧ بدأ فردريك جوليوت الدراسة من جديد للحصول على شهادة فى العلوم الى جانب قيامه بالتدريس فى مدرسة الصناعات الكهربائية بهأريس .

ونجح فردريك فى دراسته ثم قدم رسالة الدكتوراه فى عام ١٩٣٠ حول « تخفيف السوائل بالاملاح المشعة » وتخصص بعد ذلك فى الخواص الالكترونية للعناصر المشعة .

ورأى فردريك وراء الشخصية العلمية الجادة والجافة لايرين كورى انسانة بالغة الرقة والرومانسية .. وجنبه اليها ذلك الهدوء والتقاء الذى كان يميز والدها بيير كورى وبهره ذلك الوميض النبعث من عينيهما والباحث دوما عن الحقيقة .. وفى عام ١٩٢٦ تزوج فردريك جوليوت وايرين كورى وبدأت رحلتهم المشتركة وتعاونهما المستمر فى المعمل والبيت .. وانجبا هيلين فى سنة ١٩٢٧ ثم بيير فى سنة ١٩٣٢ ..

وتكررت قصة التعاون الخلاق بين بيير ومارى كورى مع فردريك وايرين اللذين تركز اهتمامهما على نواة الذرة وسارا على درب عالم الفرة الكبير روزفورد الذى كان قد توصل الى وسيلة لقذف نواة الفرة بأشعة الفا .

وكانت المشكلة التى تواجه بيير ومارى كورى هى البحث عن مصدر للمواد المشعة لاستخدامها فى الابحاث اما ايرين وزوجها فقد كانا أكثر حظا لان كل رصيد معمل مدام كورى من هذه المواد كان تحت تصرفهما .

وفى عام ١٩٣٢ نجح فردريك فى التقاط أول صورة طبيعية لعملية الاشعاع النووى وظهرت فيها لأول مرة جزيئات مثل الالكترىون والپوزيترون .

ولقد كانت مساهمة ايرين وفردريك فى اكتشاف النيوترون حاسمة .. ففى عام ١٩٣١ عملا معا كمحاضرين فى جامعة السوربون وأشرفا على اجراء تجربة هامة تم خلالها قذف شريحة من الالومنيوم بجزيئات اشعة الفا من مصدر مكثف لعنصر البولونيوم وانبعث نتيجة ذلك النيوترون والپوزيترون .. وظل انبعاث النيوترون مستمرا حتى بعد ابعاد مصدر البولونيوم بمعدلات كانت تقل تدريجيا بمرور الوقت .. وبهذه الطريقة تم التوصل الى الفوسفور المشع والنيوتروجين المشع والسليكون المشع بتغيير مادة الشريحة التى يتم قذفها بأشعة الفا .

والواقع أن هذه العناصر المشعة كان يتم الحصول عليها من قبل بشكل طبيعى ولكن ايرين وفردريك كانا هما أول من انتج هذه العناصر المشعة بطريقة صناعية فى المعمل .. ولقد سعدت مدام كورى كثيرا عندما شاهدت أول عينة من المواد المشعة المنتجة صناعيا قبل شهر من وفاتها باللويميا « سرطان الدم » فى ٤ يوليو ١٩٣٤ ..

وبعد وفاة مدام كورى استمرت إيرين تواصل رسالة والديها فى البحث العلمى .. وفى عام ١٩٣٥ حصلت إيرين كورى وزوجها فردريك جوليوت على جائزة نوبل فى الكيمياء لمنجزاتهما العلمية فى مجال العناصر المشعة .. وعين فردريك استاذاً فى « الكوليج دوفرانس » عام ١٩٣٧ وكرس جهوده للبحث عن مصادر جديدة للإشعاع النووى .

وفى ١٥ ديسمبر ١٩٤٨ . توجت جهود إيرين كورى وفردريك جوليوت بإنشاء أول مفاعل نووى فرنسى .. ورغم أن هذا المفاعل كان متوسط القوة إلا أنه أنهى احتكار الأمريكيين والإنجليز للمفاعلات النووية . وفى عام ١٩٤٩ ظهرت الى الوجود أول عينة من البلوتونيوم تم انتاجها فى فرنسا بعد ١٥ عاماً من اكتشاف إيرين وزوجها للنشاط الإشعاعى الصناعى .

وفى إبريل ١٩٥٠ وخلال ذروة الحرب الباردة بين الشرق والغرب أقبل فردريك جوليوت من جميع مناصبه العلمية بقرار من جورج بيدو رئيس وزراء فرنسا فى ذلك الحين .. وبعد شهر حدث نفس الشئ مع إيرين كورى دون أى تفسير .

وعاد الزوجان بعد ذلك الى الأبحاث العلمية وتركزت جهودهما فى مجال الاستخدام العلمى للطاقة النووية .. وشاركا فى حملات مناهضة التسليح النووى وحظر اجراء التجارب على القنابل الذرية والهيدروجينية .

وكان فردريك جوليوت قد أجرى اتصالات مع العلماء البريطانيين لتشكيل الاتحاد الدولى للعاملين فى مجالات البحث العلمى واسس حركة السلام العالمى وأصبح رئيساً لها فى عام ١٩٤٩ وكان فردريك جوليوت هو الذى وجه نداء ستوكهولم الشهير ضد التسليح النووى عام ١٩٥٠ وطالب بأن تستفيد الإنسانية من الطاقة النووية فى الأغراض السلمية . وفى مقدمتها علاج الامراض .

وخلال الخمسينيات تدهورت صحة إيرين كورى . وفى عام ١٩٥٦ تأكدت إصابتها بمرض « اللوكيميا » سرطان الدم وهو نفس المرض الذى قضى على أمها والذى تحدث الإصابه به نتيجة التعرض لجرعات إشعاعية غير عادية .

وماتت إيرين كورى فى ١٧ مارس ١٩٥٦ . وشغل زوجها منصبها كأستاذ فى السوربون الى جانب عضويته باكاديمية العلوم الفرنسية . وكان آخر منصب له هو رئاسة المؤتمر الدولى للطبيعة النووية الذى عقد بباريس فى يوليو ١٩٥٨ وبعد ذلك بشهر واحد مات فردريك جوليوت ليلحق بزوجته وليحتل اسمهما واحدة من أنصع الصفحات فى كتاب التاريخ تقديراً لجهودهما الرائع فى اكمال رسالة العلم ورويتهما الثاقبة للعلم كوسيلة لخدمة الإنسانية وتخفيف معاناة البشر وليس كاداة لإشعال الحرب وتدمير الحضارة .

## كورازون اكينو ..

### من البيت الى قمة السلطة !

لا تختلف قصة كورازون أكينو في الفلبين عن تلك التي عاشتها بنازير بومبو باستثناء أنها خاضت حربها في مواجهة رجل مستعد لتجاوز جميع الحواجز من أجل الحفاظ على السلطة ، وزوجته إميلينا .

لم تعيش كورازون الأجواء السياسية ففي الستينيات لم تكن سوى ربة منزل كغيرها من السيدات ، واستمرت كذلك حتى سنة ١٩٨٣ تاريخ مقتل زوجها « وينيو اكينو » على يد الدكتاتور فرناند ماركوس ، وفجأة تبدل كل شئ وبعد هذه المأساة ، بدأت زوجة الشهيد بالغوص في عالم السياسة من باب الواسع ، وهي حذرة مصممة ، حزينة ، خطراتها دقيقة ، خروفا من الوقوع في المطبات التي يحضرها لها أعداؤها .

واجهت ماركوس في الانتخابات وانتصرت بالرغم من محاولة هنا الاخير للفسح والتزييف وهكذا زال نظام ماركوس واختفى عن الحياة السياسية الفلبينية ، وفي عام ١٩٨٦ وصلت كورازون الى رئاسة الجمهورية .

« عندما تكون امرأة ، قالتها كورازون مرة لاحدى المجلات الامريكية بعد استلامها السلطة . يتطلب النجاح مضاعفة العمل » .

ولدت ماريا كورازون كونيخوانكو في عام ١٩٣٣ لأغنى عائلة في مقاطعة تارلاك ، عائلة جمعت مجد الدنيا من طرفي : مزرعة كبيرة للسكر وجد دخل مجلس الشيوخ ، وتهمة أبو كورازون وأخوها من مجلس النواب . درست في أمريكا ، في مدرسة للراهبات ، وتذكرها معلماتها فتاة هادئة مجتهدة متدبنة . تخرجت في الأدب الفرنسي . ونهوى جميع اللغات في ذاكرتها كما نهوى إميلينا ماركوس جمع الثياب والاحذية ، وتتنقن الانجليزية الفرنسية ، اليابانية ، والتاغالوغية ، اللغة المحلية الفلبينية .

التقت وينيو اكينو ، أو نهوى كما يدعوه الأصدقاء ، ذات عطلة ولم تتجاوب مع رسائله الكثيرة التي بعث بها اليها . كان صحافيا من عائلة ثرية من مقاطعتها . وانطباعها عنه تحسن بلاقئهما مجددا عند عودتها الى مانبلا للدراسة الحقوق التي تركتها الى واجبات الزوجية والقليل من حقوقها ، إذ كانت « زوجة شرقية كلاسيكية » تربي خمسة اطفال ، فنستقبل الزوار ، تطبخ ،

وه تعنى بحصان زوجها المحارب « ، كما رأى صديق لها . راقبت نجم نينوى يزداد سطوعا ، وكانت وراءه دائما ، من اصفر رئيس بلدية الى اصفر حاكم فالى اصفر سناتور . وعينه على القصر ، لكن المتربع فيه رأى انه صاحبه فأعلن حال الطوارئ فى عام ١٩٧٢ لتمديد فترة رئاسته وسحق معارضيه . وكان بنيتو أكينو المرشح لخلافة فرديناند ماركوس ، أول من دخل السجن بتهمة القتل وحيازة سلاح غير مشروع .

والسجن الذى احتوى زوجها سبع سنوات ونصف السنة كان محطة فى حياة المرأة المتجولة الصامدة ، كانت صلته الوحيدة بالخارج ، وعليها ان تحفظ كلماته لتعلنها فى مؤتمرات صحافية للحفاظ على ذكرى زوجها . كانت فى خوف دائم على حياته ، وتعرضت للتفتيش كلما زارته ، تجايلها الأصدقاء ، وتعلمت ان الناس ينسون المقلوب سريعا ، لذلك ما عاد الناس المحامون يعنون لها شيئا ، فكان هذا جزءا من قوتها ، لأنها ما عادت ترهبهم ، وعادت الى اميركا وزوجها الذى أدى تدخل الرئيس جيمى كارتر الى السماح له بالسفر لعملية فى القلب ، درست فى هارفرد وخلعت ثوب السياسة لتعود ست البيت التى تتحرج وتطبخ لعائلتها وتتفرج على التلفزيون ، ولا تنفرد بكلمة واحدة عندما يقرر زوجها العودة الى بلاده لدعم المعارضة على معرفتهما بمخاطرها ، ويكبر قلب زوجها بها ويقول بفخر لصديق : أليست سيدة رائعة ؟ امرأة غيرها كانت بكنت وتوسلت إلى الا افعل . ولم تنطق بكلمة . وعاد ليقتل فى المطار فور خروجه من الطائرة ، وادعت الحكومة ان قائد الدوغلمان الذى قتل فوراً بعد الجريمة وراء الحادث ، والمعارضة اتهمت رئيس الأركان ورئيسه المباشر ماركوس بالتخطيط للاغتيال . واثارت كورى دهشة عائلتها وأصدقائها ، ودهشت هى . للهدوء والشجاعة فى نفسها . لاغتيال زوجها ، كل الخوف المختزن من مقتله قوة كامنة خرجت لتحقيق ما كانت تخشاه سارت امام مليون فيليبينى فى جنازة استغرقت عشر ساعات ووقفت امام التابوت لتقسم على المواصله . وارتدت الأصفر حزنا ، وتخطت التأثير المغناطيسى الذى اراده زعماء المعارضة لحصرها فيه وقررت خوض الانتخابات التى ارادوا مقاطعتها . ووجهت المعارضة ثلث المقاعد وتغيرت النظرة الى الأرملة الناعمة الضئيلة ، وترددت فى مسألة ترشيح نفسها للرئاسة رغم تلقيها عرائض مليون و ٢٠٠ ألف فيليبينى يطلبون منها ان تفعل . ولم تؤخذ القرار الا بعد يوم صلاة وصوم تلا قرار المحكمة اسقاط اقرار رئيس الاركان المتهم بالتورط فى مقتل زوجها . قالت انها كانت ستلوم نفسها لو لم تجرب .

فى أول عام ١٩٨٦ اختارتها مجلة « تايم » الأمريكية « شخصية العام » ل « تصميمها وشجاعته على رأس ثورة ديموقراطية خطفت اعجاب العالم » . وكانت الثالثة لحوز اللقب بعد واليس سميثسون ، الامريكية المطلقة مرتين التى تنازل ملك بريطانيا ادوارد الثامن عن العرش ليتزوجها عام ١٩٣٦ ، وملكة بريطانيا اليزابيث الثانية فى عام ١٩٥٢ .

## أجاثا كريستى ..

### إمرأة تسبح ضد التيار

أجاثا كريستى ( ١٨٩١ - ١٩٧٦ ) : روائية بريطانية . كتبت ٦٨ رواية ، و ١٧ مسرحية ، وأكثر من ١٠٠ قصة قصيرة . واهتمت بكتابة الروايات البوليسية التى تعنى بحل الجرائم الغامضة ، وترجمت رواياتها الى أكثر من ١٠٣ لغات عالمية . وفى عام ١٩٧١ أسعها الملكة اليزابيث الثانية ( ١٩٢٦ ) عضو الامبراطورية البريطانية .

ولدت أجاثا ويلر فى قرية ثوركاي بمقاطعة دينوتشاير من اب امريكى وام انجليزية . وقد شجعته هذه الاخيرة على الكتابة منذ صغرها ، كما شجعها على ذلك صديق العائلة يدعى ايدن فيليبوتس ، وهو كاتب مسرحى مشهور . وكانت اختها مولعة بقراءة الروايات والقصص البوليسية ، وكانت تأتى معها العديد من المجلات التى تنشر هذا النوع من القصص . وكانت أجاثا تشترك معها فى قراءتها .

وقد حملها شغفها بقراءة الروايات البوليسية الى مناقشة اختها والاختلاف معها فى رأى أكثر من مرة ، فقد زعمت هذه الاخيرة بأن ما من رواية بوليسية الا ويخمن القارئ من هو القاتل ويعرف شخصيته بمجرد ان يقرأ الصفحات الاولى منها . ولكن أجاثا اجابته بأنها لا توافقها على ذلك ، وان فى مقصودها هى ان تكتب رواية لا يستطيع اى احد ان يخمن من هو القاتل أو ان يعرف حقيقته الا فى الصفحات الاخيرة منها « قضية قصر ستايلس الغامضة » وفيها يظهر المخير البلجيكي هركسيوس هوارو لأول مرة ، وقد نشرتها روايات الهلال باسم اللغز العجيب .

وكانت قد تزوجت فى اثناء ذلك مضابط شاب يدعى ارشيبالد كريستى ، ولكن ما كادت الشهيرة تعرف طريقها حتى اهتز عالمها ، فقد خانتها زوجها وماتت امها ، واصيبت عندئذ بصدمة عنيفة .

وقد ماتت أجاثا كريستى فى يناير سنة ١٩٧٦ . مخلفة وراءها أكثر من مائة رواية عاجلت فيها الرواية البوليسية والقصة القصيرة وروايات الاثارة والتشويق ، وعرفت كيف تفنن القارئ وتأخذ بلبه ، فإذا ما بدأ برواية لها لا يتركها الا بعد الفراغ من قراءتها دفعة واحدة . ومن هذه الروايات الرواية التى تقدمها اليوم الى القراء ، وهى تعد من احسن رواياتها من حيث الحكمة والموضوع وقد نشرتها بالانجليزية باسم « عشرة هنود صغار » .

## مارى ملقة انجلترا .. عندما تكى صفحات التاريخ

ولم كآة هله الصفحات من كتاب التاريخ الا أنها بالغة الأهمية لكى يصل كل إنسان القصى ما يوسع له اضافة اى صفحات جديدة من هذا النوع المزين الدامى ..

حكمت الملكة مارى الأولى انجلترا خلال الفترة من ١٥٥٣ وحتى ١٥٥٨ .. وكات هى أول امرأة تتولى عرش انجلترا بحكم حقها الشخصى ووفقا لتريبتها فى الأسرة المالكة .

وقد دخلت الملكة مارى التاريخ باسم « مارى الدموية » نظرا للمذابح التى اقامتها للبروتستانت فى محاولة منها للحفاظ على الطابع الكاثوليكى لانجلترا .

ولدت مارى فى جريتش فى ١٨ فبراير ١٥١٦ وكان والدها هو الملك هنرى الثامن وامها الأميرة الاسبانية « كاترين داراجون » ومنذ طفولتها كانت مارى بمثابة اداة فى لعبة التنافس بين انجلترا والأمم الأخرى التى كانت اشد قوة فى ذلك الحين حيث اقترح أكثر من مرة تزويجها من هذا أو ذاك فى إطار لعبة التحالفات .

كانت مارى فتاة مجتهدة مولعة بالدراسة وتتميز بالذكاء واشرفت والدتها بنفسها على تعليمها .. وقد تمت خطبتها الى ابن عمها ( تشارلز الأول ملك اسبانيا ) الذى طلب منها الحضور الى اسبانيا وعرض استعداداه لدفع مبلغ كبير كمهر لها اذا وافقت على الزواج .. وقد تجاهلت مارى هذا العرض فتحول عنها تشارلز الى خطبة فتاة أخرى .

وفى عام ١٥٢٥ حصلت مارى على لقب أميرة ويلز وبعد ذلك مباشرة بدأت حياتها تواجه اهتف الأزومات خاصة بعد زواج ابيها من ان بولين .. فقد اراد الملك هنرى تطبيق زوجته كاترين حتى يتزوج من آن بولين وادعى ان زواجه من كاترين باطل ويعتبر نوعا من السفاح نظرا لأنها كانت زوجة لأخيه الراحل ..

وقد رفض بابا روما الاعتراف بحق الملك هنرى فى تطبيق زوجته كاترين والزواج من ان بولين رغم ان انجلترا اقرت شرعية ذلك ..

وفى عام ١٥٣٤ انفصل الملك هنرى عن كنيسة روما وأسس كنيسة انجلترا .

ونتيجة لادعاء الملك هنرى بأن زواجه من كاترين لم يكن شرعياً أصبحت ماري بمثابة ابنة سفاح وقد انحبت أن بولين ابنة جديدة للملك هنرى هي اليزابيث التي أصبحت ملكة لانجلترا فيما بعد ومنعت الملكة الجديدة ماري من الاتصال بوالديها وسحبت منها لقبها كأمريرة وجعلتها وصيفة لاهنتها اليزابيث .. ولم تلتق ماري بعد ذلك بأُمها على الإطلاق رغم أن المراسلات السرية استمرت بينهما ..

وقد أثرت كراهية آن بولين لماري تأثيراً شديداً على هذه الأميرة التي حرمت من كل شيء وأصبحت ماري تخشى من أن يتم اعدامها في أي وقت . ورغم ذلك لم تعترف قط بأنها ابنة غير شرعية وقاومت كل الضغوط التي تعرضت لها مستندة في ذلك إلى الشجاعة التي ورثتها عن أمها والعناد الاسطوري الذي كان هو السمة الأساسية لشخصية والدها .

كذلك حاولت آن بولين أيضاً الضغط على ماري لإجبارها على أن تدخل الدير وتنخرط في سلك الرهبنة ولكن ماري قاومت ذلك بكل قوة ورفضت الخضوع .

وبمرور الوقت ، بدأت علاقة الملك هنرى بزوجته آن بولين تتدهور فعرض العفو عن ماري إذا اعترفت به رئيساً لكنيسة انجلترا وبأن زواجه من أمها كاترين لم يكن شرعياً .

وقد رفضت ماري بقوة الاستجابة لمطالب أبيها ولكن ابن عمها تشارلز « امبراطور اسبانيا » حثها على قبول تلك المطالب واقتنعها بالفعل ولكنها تدمت بعد ذلك ندما شديداً على هذا القرار .

وفي أعقاب التنازلات التي قدمتها ماري تمت المصالحة بينها وبين والدها الملك هنرى الثامن الذي منحها مخصصات تليق بمكانتها وعرض عليها الزواج من بعض النبلاء وأصبحت ماري أُمًا في العماد للامير ادوارد ابن الملك هنرى من زوجته الثالثة جين سيمور ..

وهكذا ، أصبحت ماري أهم الأميرات في أوروبا .. ورغم أنها لم تكن جميلة إلا أنها كانت تحظى بشعبية كبرى وكانت تتمتع بصوت رنان وقدرات بلاغية ولغوية ملحوظة .

ومع كل هذا النجاح ، كانت ماري عاجزة عن التخلص من تلك الصفة التي وصفها بها والدها وهي أنها « ابنة سفاح » وإن زواجه من أمها كاترين لم يكن شرعياً .. وقد خطبت ماري أكثر من مرة ولكن هذه الحالات لم تصل إلى النهاية الطبيعية وهي الزواج .

وعندما تزوج الملك هنرى للمرة الرابعة من كاترين هوارد سمح لماري بالعودة إلى البلاط الملكي .. وفي عام ١٥٤٤ تم الاعتراف رسمياً بحقها في وراثة عرش انجلترا بعد ادوارد .. وقد حدث ذلك رغم عدم الاعتراف بها رسمياً كاهنة شرعية للملك هنرى .

وكان شرط تولي ماري لعرش انجلترا هو ألا يكون هناك أي ابن شرعي آخر لهنرى .. وقد خلف ادوارد السادس والده في تولي العرش عام ١٥٤٧ وكان من المتزمتين دينياً واحاط نفسه بمجموعة

من المستشارين ذوى الميول الدينية المتشددة ايضا فقرر ان تحمل اللغة الانجليزية محل اللاتينية بالنسبة للصلاة فى الكنائس وبقية المراسم الدينية .. ورفضت ماري الالتزام بتعليمات الملك ادوارد واستمرت فى اداء الشعائر الدينية بالطريقة القديمة وباللغة اللاتينية .. ومرة اخرى اصيبت حياتها فى خطر من احتمال بطش الملك ادوارد بها ..

وفى عام ١٥٥٣ توفى ادوارد وهرت ماري الى نورفولك بعد ان استولت شخصية اخرى هى « ليدى جين جري » على العرش واعترف بها كملكة لاهام قليلة .

ورغم ذلك كانت البلاد كلها ترى ان ماري هى الوريث الشرعى لعرش إنجلترا وبالفعل عادت ماري مرة اخرى الى لندن وتولت الحكم وهى فى السابعة والثلاثين من عمرها .. وقد ورثت ماري عن ابيها الحماس والعاطفة المزاجية والعناد والقوة ولكنها كانت على النقيض منه فى جوانب اخرى فميزت بها مثل كراهيتها الشديدة للقسوة والبطش بالمعارضين والمقصوم وتوقيع أحكام الاعدام .. ولكن المفاجأة كانت هى ذلك التغيير الهائل الذى طرأ على شخصية ماري بعد ان تولت السلطة .

فقد وقعت ماري فى عدة أخطاء بعد توليها العرش .. فهى لم تدرك اهمية توخى الحذر بالنسبة للملكة جديدة وفشلت فى ان تتأقلم مع الظروف الجديدة التى طرأت على حياتها والأخطر من ذلك أنها أعلنت رغبتها فى اعادة إنجلترا مرة اخرى الى كنيسة روما .

ومن أجل تحقيق هذه الرغبة وافقت على الزواج من فيليب الثانى ملك اسبانيا وابن الامبراطور تشارلز الخامس .. وكان فيليب فى ذلك الحين يصغرها بحوالى ١١ عاما . وقد أصرت على هذا الزواج رغم ان معظم مستشاريها نصحوها بالزواج من ابن عمها كورتناى .. ايرل أوف ديقون .

ونتيجة لرغبة الملكة ماري فى اعادة إنجلترا الى كنيسة روما ، تحول عدد كبير من النبلاء الانجليز الى اعداء لها .. والسبب ان هؤلاء النبلاء كانوا قد حققوا ثروات هائلة من وراء الاراضى والممتلكات الخاصة بالكنيسة الكاثوليكية التى استولوا عليها بعد ان صادرها الملك هنرى الثامن .. وعندما بدأت ماري تفكر فى العودة الى كنيسة روما خشى هؤلاء النبلاء من أن تستعيد الكنيسة ممتلكاتها .. وبالتالي تحولوا الى اعداء الملكة ماري .

وكذلك دخلت ماري فى خلاف شديد مع البرلمان الانجليزى بسبب معارضته لزوجها من الملك فيليب ملك اسبانيا وأسأت معاملته الوفود التى أرسلها البرلمان اليها لاقناعها بالتراجع عن هذا الزواج وقالت لهم : « ان زواجى امر يخصنى وحدى ولا دخل للبرلمان به » ..

وفى عام ١٥٥٤ ، بات واضحا ان الملكة ماري مصرة على الزواج من فيليب فحدث قرد للبروتستانت ضدها تزعمه سير توماس وايت .. وعلمت ماري ان وايت يتقدم بسرعة نحو لندن على رأس مؤيديه فألقت خطابا رائعا اسفر عن حشد آلاف المواطنين للقتال دفاعا عنها .

وبالفعل اسفرت المواجهة بين الجانبين عن هزيمة سير توماس وايت واعدامه .. وتزوجت ماري من فيليب واعادت الكاثوليكية إلى إنجلترا واصدرت عدة مراسيم لاعادة القوانين التي تعاقب البروتستانت بتهمة الهرطقة .

ودخل حكم ماري بعد ذلك أشد مراحل الدموية ولمدة ثلاث سنوات ظلت جثث المتمردين عليها تعلق على المشائق واعدم المئات بتهمة « الهرطقة » وبلغ عدد من احرقوا وهم احياء حوالي ٣٠٠ شخص وأصبحت الملكة ماري فوذا لحكم الارهاب والقمع والوحشية ..

ومنذ ذلك الحين ، أصبح يطلق على الملكة ماري اسم « ماري الدموية » وكرهها الشعب وأصبحت سمعة زوجها الملك فيليب سيئة للغاية وفقد الناس ثقتهم فيه وفيها .

وفي هذه الظروف الصعبة خاضت ماري حربا لا مبرر لها ضد فرنسا وفي هذه الحرب كانت اسبانيا حليفة لانجلترا التي فقدت ميناء « كاليه » وهو آخر منطقة في أوروبا كانت تحت سيطرة المجلترا .

ولم تكن ماري قد انجبت ولدا لمهددا وكانت تحلم بانجاب طفل يتولى عرش المجلترا بعدها وفي كل مرة كانت تعتقد أنها حامل وكان الأطباء يؤكدون لها ان الحمل كاذب فأصبحت بالحزن والاكتئاب ومرضت .. وفي ١٧ نوفمبر ١٥٥٨ ماتت الملكة ماري في لندن وموتها انتهى عهد الحكم الدموي والغيت كل الخطوات التي اتخذتها لفرض افكارها ومبولها الخاصة على الشعب الانجليزي .

## كريستينا ..

### طفلة تتولى العرش ولكنها تفعل المعجزات !!

لو عدنا الى « كتاب التاريخ » لاكتشفنا هذه « الوديعة الصعبة » فى كل صفحة من صفحاته وكل سطر من سطورها خاصة تلك التى تحدثنا عن الملكة كريستينا ملكة السويد فى القرن السابع عشر .. فهى المرأة التى رفضت الزواج بشكل قاطع وعندما أدركت ان الفن الذى يعمين عليها ان تدفعه لهذا المؤلف هو العرش لم تقوده فى خلع تاج الملكة مؤكدة انها ترفض أى قيد على حريتها حتى ولو كان كان لهذا من ذهب .

وهى المرأة التى أعطت كل حياتها للأدب والثقافة والفن فأثرت فى عصرها وتركت بصمتها على الفكر الأوروبى الذى ما زال يذكر لها بحرفان انها اعطته بلا حدود واستعقت عن جدارة لقب « مينيرفا » الهة الحكمة الأوروبية مثلها فى ذلك مثل « مينيرفا » الهة الحكمة عند الأغريق .

وهى واحدة من أذكى النساء واعظمن علما وثقافة فى عصرها .. فاجأت العالم كله فى القرن السابع عشر عندما تخلت عن العرش وخلعت تاج الملك بمحض ارادتها حتى تستطيع التحول الى الكاثوليكية .. سياسية من أرفع طراز حاولت أكثر من مرة ان تصبح ملكة على العرش ناهولى وان تحكم مملكة بولندا . كانت تكره الزواج وتنفر منه وتراه بمثابة قيد يفرض على المرأة البقاء فى الدرجة الثانية وراء الزوج ومحول بينها وبين احتلال المركز الأول حتى ولو كانت جديرة به .. خلد التاريخ اسمها كأعظم داعية للفنون والآداب فى القرن السابع عشر وباعتبارها المرأة التى أثرت بكل قوة على الثقافة الأوروبية فى عصرها .

وهى ابنة الملك جوستاف الثانى ملك السويد من زوجته ماريا البانورا دى براندنبورج . ولدت فى ستوكهولم فى ٨ ديسمبر ١٦٢٦ .. وبعد وفاة والدها فى معركة « لوتزن » أصبحت كريستينا ملكة السويد وهى لا تتجاوز السادسة من عمرها باعتبارها الابنة الوحيدة للملك جوستاف .

وكان ملك السويد قد حرص طوال حياته على ان تتم تربية ابنته وكأنها امير ذكر وليست فتاة . وأحضر لها أعظم معلمى المملكة لتلقينها كل العلوم والفنون والمهارات التى كان يتعلمها امراء أوروبا فى ذلك الحين .

وبعد وفاة الملك وتولى الطفلة كريستينا للعرش السويدي تم تشكيل مجلس وصاية من خمسة أشخاص على رأسهم المستشار اكسل اوكنستيرنا لحكم البلاد حتى تصل الملكة الصغيرة الى السن التي تسمح لها بتولى الحكم وحدها .

ومنذ طفولتها .. أظهرت كريستينا نبوغا ملحوظا وتولى المستشار اكسل تعليمها شئون السياسة بحيث استطاعت ان تشارك في الاجتماعات السياسية وهي في الرابعة عشرة من عمرها .

وفي عام ١٦٤٤ تم تزويج كريستينا ملكة للسويد وحل مجلس الوصاية ، ومنذ البداية عارضت الملكة سياسات استاذها المستشار اكسل اوكنستيرنا وكان هناك احتكاك مستمر بينهما خاصة فيما يتعلق بالحروب التي كانت السويد تخوضها في ذلك الحين والتي كانت كريستينا ترغب في انهاءها فوراً .

وفي النهاية ، وقعت كريستينا معاهدة السلام المعروفة باسم معاهدة « وستفاليا » برغم معارضة المستشار اكسل .

ومهارة سياسية ملحوظة ، نجحت كريستينا في احتواء الصراعات الداخلية التي شهدتها السويد في منتصف القرن السابع عشر والتي كانت تهدد بالتحول الى حرب أهلية تمزق البلاد .

وكانت اخطر المشكلات التي واجهتها هي تلك الازمة الاقتصادية الخطيرة التي واجهتها السويد بعد انتهاء الحرب والتي كانت نتيجة طبيعية لثلاثين عاما من الحروب تعرف في التاريخ السويدي ، بحرب الثلاثين عاما .

وأدركت كريستينا انها بحاجة لخبرة المستشار اكسل .. ورغم حساسيتها تجاهه استدعته وطلبت منه المشاركة في وضع الخطط اللازمة لانقاذ السويد من أزمتها الاقتصادية الطاحنة .

كانت كريستينا على قدر كبير من الثقافة ، شغوفة بالعلم والمعرفة ولذلك كان يومها يبدأ في الخامسة صباحا بالقراءة لعدة ساعات قبل أن تقام عملها كملكة . واستقدمت الى السويد أبرز الكتاب والموسيقيين والفنانين من جميع انحاء العالم . وكان المفكر الشهير ديكارت هو الذي علمها بنفسه الفلسفة ومات في بلاطها .

وسبب ثقافتها ومعرفتها الواسعة وجبها للعلم اطلقت عليها أوروبا كلها اسم مينيرفا الشمال تشبها لها بمينيرفا الهة الحكمة عند اليونانيين القدماء .

وكانت هناك بعض السلبيات الواضحة في شخصية الملكة كريستينا ، فقد كانت مبذرة مفرقة تنال في منح العطايا والهبات وخاصة من أراضي التاج السويدي وقامرس حياة البذخ في بلاط السويد بينما كانت بلادها تعاني من أزمتا اقتصادية طاحنة .

ورغم ذلك فقد شهد حكمها منجزات تاريخية لا يمكن اغفالها . ففي عهدها صدرت أول صحيفة سويدية عام ١٦٤٥ وتم إنشاء المدارس في جميع أنحاء السويد ولقي الأب تشجيعا لم يسبق له مثيل وحصلت القرى والمدن الصغيرة على حقوق لا تقل كثيرا عن تلك التي كانت تتمتع بها العاصمة ستوكهولم وتحققت دفعات كبرى للتجارة والصناعة واستخراج المعادن من المناجم .

وبعد عشر سنوات من الحكم ، تنازلت كريستينا عن العرش وكان ذلك بمثابة صدمة هائلة للعالم المسيحي ، وقد برزت هذا القرار بأنها مريضة وبأن أعياها الحكم ثقيلة عليها ولكن السبب الحقيقي كان هو كراهيتها الشديدة للزواج وهو الأمر الذي كان يتعين عليها ان تفعله لتأني بوريث للعرش .

كذلك ، كان تحول كريستينا سرا الى الكاثوليكية يحول بينها وبين الاستمرار في الحكم لأن الكاثوليكية كانت محرمة بالسويد في ذلك الحين .

وهكذا ، اختارت كريستينا ابن كارل جوستاف الخامس كخليفة لها على العرش .

وفي يوم ٦ يونيو ١٦٥٤ تم تتويج كارل جوستاف ملكا وهو نفس اليوم الذي تنازلت فيه كريستينا عن عرشها وغادرت كريستينا السويد على الفور . وفي ديسمبر ١٦٥٥ استقبل البابا الكسندر السابع بابا الكنيسة الكاثوليكية كريستينا في روما بحفاوة بالغة وكان الكاثوليك في العالم سعداء للغاية بتحويلها الى مذهبهم . ولكن سرعان ما اصيب البابا بالاحباط والاستياء الشديد من كريستينا بسبب الانتقادات اللاذعة التي وجهتها لمظاهر التقوى والصلاح التي يباليها رجال الدين في اظهارها بشكل يقرب من الافتعال .

لم تكن كريستينا جميلة كأنتى وكان وجهها مليئا بالنمش وأثار حب العبا او البشور التي تظهر في مرحلة المراهقة ، كما كان كثفها الأيمن محدوبا ورغم ذلك استطاعت بشخصيتها القوية وثقافتها الفزيرة ان تصبح واحدة من أبرز الشخصيات في روما .

وبعد ان تركت عرش السويد ، دخلت كريستينا في مفاوضات مع رئيس وزراء فرنسا في ذلك الحين كاردينال ماراين ودون مودينا لتولي عرش ناپولي التي كانت تابعة للثاج الاسباني بحيث يتولى أمير فرنسي عرش ناپولي بعد وفاتها .

وفي عام ١٦٥٧ انهار هذا المشروع ، فخلال زيارة قامت بها لفرنسا ، اصدرت أمرا لحراسها باعدام باورها الخاص المركيز جيان ديوالدو مومالديشي وقالت : ان سبب ذلك هو خيانة مومالديشي لها وافشاؤه لاسرارها الخاصة بعرش ناپولي الى بابا روما .

ورفضت كريستينا ان تقدم اى مهرر لهذا العمل الذي اصاب البلاط الفرنسي بصدمة وفجر غضب بابا الفاتيكان ضدها .

وبرغم هذه الفضيحة ، واصلت كريستينا حياتها لتصبح واحدة من أشد الشخصيات تأثيراً في عصرها .. فقد ارتبطت بعلاقات صداقة مع أربعة من باباوات روما وكانت من أبرز الشخصيات التي ترمي الفنون والآداب الأوروبية رغم الصعوبات المالية التي تواجهها نتيجة لانكماش الدخل الذي كان يأتيها من السويد ثم توقف قاعاً في النهاية .

وقد زارت كريستينا السويد مرتين بعد تخليها عن العرش ، الأول عام ١٦٦٠ والثانية عام ١٦٦٧ وخلال زيارتها الثانية بلغتها أنها تأييد البابا كليمنت التاسع لتوليها عرش بولندا خلفاً لابن عمها الملك جون كاسيمير الذي كان قد تنازل عن عرشه وقد فشلت هذه المحاولة لتولي عرش بولندا ولم تحزن كريستينا كثيراً لأنها كانت تعشق الحياة في روما حيث ارتبطت بعلاقة قوية مع الكردينال ديشيو أروينو الذي كان يتزعم مجموعة من الكرادلة ويؤثر بمنتهى القوة في سياسات الكنيسة وكان الكردينال أروينو رجلاً ذكياً وحكيماً وترددت شائعات في روما تشير إلى وجود علاقة حب بينهما وهي شائعات دعمتها الخطابات الخاصة بها والتي نشرت بعد ذلك في القرن التاسع عشر .

ونتيجة لعلاقتها بالكردينال أروينو ، دخلت كريستينا في خضم سياسات الكنيسة وظلت لسنوات تطالب بشن حرب مسيحية ضد الأتراك المسلمين لدرجة أنها طالبت بوقف المعاش الذي كانت تدفعه لها الكنيسة وأضافت إلى ميزانية الأعداد لهذه الحرب .

وبمبدأ من عام ١٦٨١ بدأت الإيرادات المالية لكريستينا تتحسن بعد أن سلمت إدارة ممتلكاتها في السويد إلى شخص موثوق به .

ولقد أثر تذوق كريستينا غير العادي للفنون على الثقافة الأوروبية في عصرها بمنتهى القوة . وكان قصرها في روما الذي يطلق عليه الآن قصر كورسيني يحتوي على أعظم مجموعة من اللوحات الفنية التي تنتمي إلى ما يعرف بمدرسة فينيسيا بالإضافة إلى مجموعة رائعة من التماثيل واليقونات والقطع الفنية التي يندر أن توجد في مكان آخر بخلاف المتاحف الكبرى .

كذلك تحول قصر كريستينا إلى ملتقى فكري وأدبي للفلاسفة والأدباء والفنانين ، وقد أسست أكاديمية أركاديا للفلسفة والآداب من مالها الخاص وما زالت هذه الأكاديمية موجودة حتى الآن في العاصمة الإيطالية روما . ويرجع إليها الفضل أيضاً في إنشاء « التورديزونا » وهي أول دار أوبرا في روما .

وكانت كريستينا أيضاً هي أول من اكتشف عبقرية الموسيقار الإيطالي الشهير البساندور سكارلاتي وعيّنته مشرفاً على الممثلين والممثلين في دار أوبرا تورديزونا كما اكتشفت أيضاً موهبة الموسيقار أركانجيلو كوريللي وعيّنته في منصب ماسترو دار الأوبرا الإيطالية .

وكانت كريستينا تبادر بمساعدة أي فنان أو أديب تعرف أنه يعاني من أزمات مالية ، كذلك كانت

تحرص على تقديم هذه المساعدات في صورة راقية محترمة فتشتري أعمال هؤلاء الفنانين والأدباء وتجمعها لديها حتى أصبحت تمتلك ثروة هائلة من الكتب والمخطوطات التي تعرض الآن في جناح خاص بمكتبة الفاتيكان في إيطاليا .

والى جانب كل ذلك ، عرفت كريستينا بدعمها اللانهائى للحريات الشخصية ومساندتها الكاملة لحرية الإنسان المطلقة خاصة في مجال الإبداع والمخلق الفنى والأدبى لدرجة انها في احيان كثيرة تجاهلت علاقتها بكبار رجال الكنيسة وساندت الفنانين والادباء المجددين والمتمردين على سلطة كنيسة روما .

وفي ١٩ ابريل ١٦٨٩ ماتت كريستينا في قصرها بالعاصمة الإيطالية واورست بكل ثروتها للكاردينال أزولينو الرجل الوحيد الذى احبته كأمرأة في هذا العالم والذي حرصت على ان يظل حبها له نموذجاً حياً لكل الأفكار التي آمنت بها .. العطاء بلا حدود والرفض المطلق لكل القيود .

وبعد شهرين فقط من وفاة كريستينا مات الكاردينال أزولينو ليلحق بها دون ان يمس تلك الثروة الهائلة التي تركتها له .

## جورج اليوت ..

### فكر التحرر .. وتحرر الفكر

التقدم الإنسانى كان وسيظل دائما سلسلة من محاولات الاكتعاح والرغبة المستمعة فى تطوير الواقع ليصبح أكثر ملاءمة للانطلاق منه نحو آفاق المستقبل . وهناك فئة من البشر تولت مسئولية هذه المهمة فى كل العصور وكانت دائما فى الصف الأول من حملات التطوير والراء الفكر الإنسانى تطلق فى صدورهم الرصاصات الأولى التى تطلقها جعائل التخلف وتسمى عن طيب خاطر لتحصل المعاناة والألم فى سبيل أهدافها النبيلة .

ومن هذه الفئة كانت « جورج اليوت » أعظم أديبة الإنجليزية فى كل العصور والتى تحول الأدب الانجليزى على يديها الى رسالة حضارية تنادى بفتح كل الأبواب أمام عقل الإنسان وتخطيم كل القيود التى تكبل حقه المشروع فى قيادة مسيرة الحضارة ..

اسمها الحقيقى ماري آن إيفانز .. ولدت فى ٢٢ نوفمبر عام ١٨١٩ بأقليم وور ويكشير فى إنجلترا لأسرة ميسورة الحال وقضت سنوات طفولتها فى بيئة دينية متشددة وتلقت تعليمها الأولى على أيدى المبشرين المسيحيين فى المدارس الملحقة بالكنائس وكان منزل أسرتهما يسيطر عليه الطابع الدينى حتى فى أدق تفاصيل الحياة العائلية .

وبعد وفاة أمها فى عام ١٨٣٥ اضطرت للعودة الى بيت أسرتهما لتعيش مع أبيها الذى حرص على استمرار تعليمها فى المنزل فدرست اللغتين الألمانية واللاتينية ..

وانتقل الاب بعد ٦ سنوات مع ابنته الى مدينة كوفنترى وهناك بدأت ماري آن إيفانز تطلع على نماذج مختلفة من الحياة خاصة فى الاوساط الثقافية الانجليزية التى كانت قوج فى ذلك الحين ، بتيارات فكرية عاتية تحاول اقتلاع جنود الفكر التقليدى المحافظ وتنطلق الى آفاق أرحب فى مجالات الأدب والثقافة والعلم .

وفى كوفنترى ، التقت ماري بالعديد من المثقفين الذين كانوا يقومون حملة تنادى بعلمانية التعليم وضرورة فصل النظام التعليمى عن الكنيسة .. وكان من بين هؤلاء تشارلز براى وهو مفكر ليبرالى اشتهر فى إنجلترا فى القرن التاسع عشر من خلال كتاباته الصريحة ومطالبته بأن يتعلم

التلاميذ في مدارس مستقلة بعيدا عن سلطة الكنيسة وافكار الميثرين ..

والتقت ماري ايضا في تلك الفترة ، بشارلز هينيل مؤلف كتاب « تساؤلات حول أصل المسيحية » الذي نشر عام ١٩٣٨ وفجر عاصفة من المناقشات المزمدة والمضادة لأرائه .. وكان هذا الكتاب هو الذي أحدث انقلابا في حياة ماري آن ايفانز وجعلها تتحول من الأصولية الدينية المحافظة الى عقلية أكثر ميلا للعلمانية وضرورة الفصل بين الدين والمعرفة .. وكانت قراءات ماري السابقة لأعمال سكوت قد جعلتها تعتقد أن الإنسان لا يمكن ان يكون نبيلًا ما لم يكن مسيحيًا متطرفًا في المسيحية .

وبعد فترة قصيرة من الانخراط في الأوساط الثقافية والفكرية بمدينة « كوفنتري » ألفت ماري والدها بأنها لن تستطيع بعد ذلك الذهاب الى الكنيسة بانتظام .. وثار والدها ثورة عارمة ولكنها توصلًا بعد شهر الى حل وسط بأن تكون لها حرية التفكير كما تشاء بشرط ان تذهب الى الكنيسة في أيام الأحد وظل الحال هكذا حتى وفاة الأب في عام ١٨٤٩ .

وبدأت تمارس الكتابة في بعض الصحف باسم مستعار هو « مايمان » ولكنها عجزت لأسباب مالية عن الحياة في لندن لأكثر من ١٠ أسابيع وقررت أن تحاول مرة أخرى ولجأت في الحصول على وظيفة مساعد محرر في صحيفة « وستمنستر ريفيو » وحقت نجاحًا في عملها الصحفي ..

واستمرت ماري أو ماريان تذهب كل مساء الى الندوات الثقافية والأدبية وهي الندوات التي كانت تناقش كل شيء دون قيود ابتداء من المناهج الأدبية وحتى القضايا الدينية والسياسية .. وتعرفت على هربرت سبنسر صاحب أخطر كتاب صدر في إنجلترا في ذلك الحين وهو كتاب « التحجر أو الجمود الاجتماعي » ، والذي صدر في عام ١٨٥١ وكان له دوى هائل بسبب الانتقادات المبررة التي تضمنها ضد جواثب الحياة التقليدية في إنجلترا .. وتدعمت علاقة ماريان بهربرت سبنسر لدرجة جعلت الشائعات تتروى حول زواجهما ، ورغم ان سبنسر لم يتزوج من ماري آن ايفانز الا انه قدمها لرجلين من الطريف أن تتزوجهما واحدا بعد الآخر .

وأول هذين الرجلين هو جورج هنري لويس الذي يوصف بأنه أبرع الصحفيين الإنجليز في العصر الفيكتوري .

ولقد أنشأ جورج هنري لويس صحيفة أسبوعية اسمها « الزعيم » في عام ١٨٥٠ وكانت هذه الصحيفة ذات ميول راديكالية وتميل للتجديد وانتقاد الفكر التقليدي المحافظ . وكان هنري لويس يكتب فيها ابواب الثقافة والأدب والمصرح ..

والتقى لويس مع ماريان عقب محنة طلاقه من زوجته بعد ان اكتشف خيانتها له مع أقرب

أصدقائه .. وبدأت العلاقة بينهما بمناقشات حامية حول الاعمال الأدبية والثقافية ثم اعتادا الذهاب معا للمسرح والوبرا .

وفي عام ١٨٥٤ نشرت ماري آن أيفانز ترجمتها لكتاب « جوهر المسيحية » الذي كتبه الفيلسوف الألماني فيورباخ ثم ذهبت مع هنري لويس إلى ألمانيا حيث تزوجا واستمرت حياتهما الزوجية تتمتع بالسعادة حتى مات لويس في عام ١٨٧٨ .

وفي برلين ، كتب ماريان أيفانز بعضا من أفضل مقالاتها لجريدة « وستمنستر » وترجمت كتاب « الأخلاق » لسبينوزا بينما كان زوجها يعمل في كتابه الرائع عن حياة الشاعر الألماني « جوته » ..

وبتشجيع من زوجها بدأت ماريان أيفانز رحلتها مع الرواية حيث كتبت قصة واقعية عن حادثة وقعت في مسقط رأسها في « تشيلفرز » بأقليم دور ويكشير ونشرت هذه القصة في مجلة « هلاكود » بعنوان « القدر الحزين للأب أموس بارتون » .. وحقت هذه القصة نجاحا ملحوظا فتشجعت ماريان وكتبت قصتين هما : « قصة حب السيد جليفييل » و « توبة جانيت » وكانت أيضا من المدونة الواقعية حول ذكرياتها في تشيلفرز .

وقد أعيد نشر هذه القصص الثلاث بعد ذلك تحت عنوان « مشاهد من حياة رجال الدين المسيحي » وكان هذا الكتاب في جزمين وظهر عليه لأول مرة اسم جورج اليوت بدلا من ماريان أيفانز حيث كان من المستحيل بالنسبة للرأي العام ان يتقبل فكرة احترام المرأة للأدب ، بالإضافة للآراء الجريئة التي تضمنها هذا الكتاب والتي فجرت حملة انتقادات في الأوساط المحافظة ارادت ماريان ان تتجنبها بالاسم المستعار .

وفي عام ١٨٥٩ ، نشرت أول رواية طويلة لجورج اليوت وكانت في ٣ أجزاء بعنوان « آدم بيد » .. ووصفت الكاتبة هذه الرواية بأنها قصة رغبة ملينة بأنفاس البقر وعبير القش ..

وفي الرواية التالية « طاحونة على النهر » ٣ أجزاء عام ١٨٦٠ ، عادت جورج اليوت مرة أخرى إلى مشاهد حياتها المبكرة ، وتجلت في هذه الرواية بوضوح القدرة الهائلة لجورج اليوت على التحليل النفسي لشخصياتها وتوالت بعد ذلك أعمال جورج اليوت الخالدة مثل « سلاس مارنر » التي أصبحت أشهر رواياتها رغم ان هذه الرواية بالذات عانت كثيرا بسبب فرضها كقصة مقررة على أجيال عديدة من تلاميذ المدارس في إنجلترا ودارسي الادب الانجليزي في جميع انحاء العالم .

وبعد ذلك ، كتبت جورج اليوت أحد أروع امالها وهي « رومولا » وتدور أحداث هذه الرواية التي اختصرت في ذهنها اثناء زيارتها لمدينة « فلورنسا » الإيطالية حول « سافونا رولا » المصلح الديني الإيطالي الذي شن حملة على الفساد الاخلاقي للكنيسة في عصره « القرن الخامس عشر » ..

ولقد حصلت جورج اليوت على مبلغ ١٠ آلاف جنيه استرليني مقابل رواية « رومولا » وهو مبلغ ربما لم يكن هناك أديب آخر حصل عليه فى ذلك الحين مقابل رواية واحدة .. وفى عام ١٨٦٦ ، انتهت جورج اليوت من كتاب « الأصول » والذي ظهرت من خلاله رؤيتها السياسية ناقشت فيه قضية الانتخابات والديمقراطية .

وفى عام ١٨٧١ ، صدرت رواية منتصف مارس فى ٨ اجزاء ، وهى الرواية التى تعد بحق أفضل اعمال جورج اليوت رغم انها لم تحظ بشهرة اعمال اخرى مثل ادم بيد وسلاسى مارتر ورومولا .. وليس هناك شك فى أن الفضل يرجع لجورج اليوت فى تحويل الرواية الانجليزية من مجرد وسيلة للتسلية الى شكل فكرى بالغ الرقى من اشكال الفن .

وفى ٣٠ نوفمبر عام ١٨٧٨ ، مات جورج هنرى لويس الذى ظل لمدة ٢٥ عاما يرعى جورج اليوت ويعنى بكل صغيرة وكبيرة فى حياتها .. وبعد موته اصيحت جورج اليوت مرة أخرى مسئولة عن نفسها .

وقد عهدت جورج اليوت لرجل أعمال يدعى جون والتر كروس بمهمة ادارة شئونها المالية وبدأت تقبل اليه حتى تم الزواج بينهما فى مايو ١٨٨٠ وكان عمر جورج اليوت فى ذلك الحين ٦١ عاما ، وعمر الزوج كروس ٤٠ عاما .

وبعد رحلة الزفاف فى ايطاليا ، عادا الى انجلترا .. وفى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٠ وقبل مرور عام على الزواج ماتت جورج اليوت لتدخل التاريخ باعتبارها واحدة من أعظم كتاب الرواية فى الأدب الانجليزى وأعظم كاتبة انجليزية فى كل العصور .

## كاترين الثانية ..

### إمراة تصنع تاريخ أمة بأكملها

التاريخ يؤكد أن العلاقة بين المرأة والسلطة وثيقة وقديمة ومنطقية أيضا .. ورغم أن عدد النساء اللاتي تولين السلطة ، يختلف درجاتها في مختلف المراحل التاريخية وفي جميع أنحاء العالم ، من الصعب أن نحصى إلا أن كل واحدة منهن كان لها أسلوبها المميز في الصعود إلى القمة ومحاربة الحكم .

ومن أبرز تلك النماذج ، الامبراطورة كاترينا الثانية التي اعتلت عرش الامبراطورية الروسية لمدة ٣٤ عاما وكانت لها بصمتها الواضحة على التاريخ الروس وربما الإنسانى بأسره ..

في شهر يونيو ١٧٦٢ ، اعتلت كاترينا الثانية عرش الامبراطورية الروسية ، ومنذ البداية كان واضحا انها ستواصل عمل سلفها الامبراطور بطرس الأكبر الذي فتح ابواب روسيا على مصاريعها وعمل على الامتزاج بالحضارات الاوروبية .

وكان بطرس الأكبر قد أجبر أوروبا على الاعتراف بوجود روسيا قوة مستقلة وقامت كاترين الثانية بتأكيد مكانة روسيا كقوة اوروبية عظمى .

ولقد دمر بطرس الأكبر الثقافة الروسية القديمة وعملت كاترينا من بعده على اقامة ثقافة وطنية متأثرة بالثقافات الأوروبية ، ولكنها روسية في المقام الأول .

لذلك ارتبط بطرس الأكبر بكاترينا الثانية في أذهان الروس وحظيت كاترينا بالاعجاب رغم انها بروسية « المانية » ورغم انها اغتصبت العرش ورغم أن حياتها انسمت بالخلاعة والابتذال وكان حكمها نموذجاً للحكم غير الاخلاقي .

وقد اتفق جميع المؤرخين على أن كاترينا الثانية وضعت بصمتها الواضحة على حقبة كاملة من تاريخ بلادها مثلها في ذلك مثل الملكة اليزابيث والملكة فيكتوريا في إنجلترا .

ولدت صوفى فردريكا أوجست فرن أنهالت بمدينة شيتاين من أعمال بروسيا « المانيا » في ٢ مايو ١٧٢٩ وكان والدها أميراً المانيا مقصوراً .

وعندما بلغت الرابعة عشرة من عمرها اختبرت للزواج من كارل أولريتش دوق هولستين وحفيد بطرس الأكبر وورث عرش روسيا ..

وفى عام ١٧٤٤ وصلت كاترينا الى روسيا واصبح لقبها الرسمى هو الدوقة كاترينا اليكسيفنا .. وفى العام التالى تزوجت ابن عمها ولكن هذا الزواج أنتهى بالفشل الذريع ..

فى ذلك الحين كانت الامبراطورية الروسية تحت حماية الامبراطورة اليزابيث ابنة بطرس الأكبر التى استمر حكمها ٢٠ عاما توطدت خلالها دعائم الامبراطورية .

وتزوجت كاترينا من ابن أخ الامبراطورة اليزابيث الذى تولى عرش روسيا بعد وفاة عمته وهو الامبراطور بطرس الثالث الذى لم يكن يتمتع بأية صفة تتيح له الاستمرار فى الحكم .. كان بطرس الثالث مدعنا للخمر مشوش التفكير متقلب المزاج على عكس زوجه كاترينا التى كانت بالغة الذكاء والطموح وذات قدرة هائلة على كسب الاصدقاء والحلفاء .

كانت كاترينا شديدة الاهتمام بتثقيف نفسها من خلال القراءة بنهم وأحاطة نفسها بالمفكرين وكأنها تعد نفسها لدورها القادم كأمبراطورة لروسيا .. ورغم انها كانت محدودة الجمال الا أنها كانت تتمتع بسحر خاص وطلاقة غير عادية .

وفى نفس الوقت كانت كاترينا تمارس حياتها الخاصة بشكل أهد ما يكون عن الأخلاق والمثل العليا .. فقد ارتبطت بعلاقات غير شرعية مع ثلاثة رجال آخرين الى جانب زوجها الامبراطور وكانت تلج دائما الى ان اطفالها الثلاثة بمن فيهم ورث عرشها « بول » لم يكونوا فى الحقيقة أبناء للامبراطور بطرس الثالث .

ولقد أدركت كاترينا منذ البداية ان زوجها الامبراطور عاجز عن ممارسة الحكم لذلك وضعت خططها للاطاحة به وتولى عرش الامبراطورية الروسية بدلا منه ..

وقد توفيت الامبراطورة اليزابيث فى يناير ١٧٦٢ بينما كانت روسيا متحالفة مع فرنسا فى حرب السنوات السبع ضد بروسيا « المانيا » وبعد فترة قصيرة من وفاة اليزابيث وتولى بطرس الثالث العرش أعلن الامبراطور الجديد انسحاب روسيا من الحرب ووقع معاهدة تحالف مع فردريك الثانى ملك بروسيا .

وكان من الواضح ان بطرس الثالث ، وهو من أصل المانى ، لم يكن يحب روسيا وكان لا يخفى ولاه لموطنه الاصلى فى المانيا .

وأحست كاترينا أن زوجها الامبراطور لا يحبها ويعتزم التخلص منها فقررت ان تأخذ جانب المبادرة وتبدأ بتوجيه ضربتها اليه .

وكانت كاترينا تفكر انها تحظى بتأييد الجيش الروسى وخاصة حاميه سان بطرسبرج التى كان يقودها عشيقها جريجورى أورلوف . كذلك ، كانت كاترينا تحظى بتأييد أفراد البلاط الامبراطورى والرأى فى عاصمتى الامبراطورية موسكو وسان بطرسبرج .. وكانت العناصر المستنيرة فى المجتمع الأوستقراطى الروسى تؤيد كاترينا أيضا بسبب آرائها الليبرالية المتحررة وثقافتها حيث كانت توصف بانها أكثر الناس ثقافة فى روسيا .

وفى ٩ يوليو ١٧٦٢ قادت كاترينا انقلابا ضد زوجها الامبراطور وتوجهت بقواتها الى سان بطرسبرج حيث أعلنت نفسها امبراطورة لروسيا .. وادرك بطرس الثالث ان المقاومة غير مجدية فاعلن تخليه عن العرش ولكنه قتل بعد ثمانية ايام من الانقلاب على ايدى انصار كاترينا التى أكدت انها لم تصدر اوامرها بقتل الامبراطور السابق .

وفى سبتمبر ١٧٦٢ تم تنويع كاترينا رسميا امبراطورة لروسيا فى موسكو التى كانت هى العاصمة القيصريّة القديمة فى ذلك الحين . وهكذا ، بدأ حكم كاترينا الثانية امبراطورة روسيا والذي استمر ٣٤ عاما .

واتسم حكم كاترينا الثانية فى البداية بسلسلة هامة من الاصلاحات كان الطابع المميز لها هو تلك التشريعات والقوانين التى سنتها لدعم التعليم والصناعة والتجارة والصحة لدرجة جعلت المؤرخين يصفونها « بالامبراطورة المشرعة » .

ولقد وصفت الامبراطورة كاترينا ايضا فى كتب التاريخ بالكر والدهاء والطمع والاثانية والقسوة ولكنها رغم كل ذلك كانت قادرة على ان تحبط نفسها بهالة من المهابة والاحترام .

كان حلم كاترينا هو التوسع فى اراضى الامبراطورية الروسية استولت على مساحات من الاراضى التركية والبولندية .

ورغم زيادة موارد الدولة الا ان الامبراطورة كانت بالغة الاسراف والبدخ فقرضت الضرائب الباهظة على الشعب الذى اصبح يعاني من الفقر والعوز والفاقة .

لم يكن حب كاترينا لروسيا ينبع من حبها لشعبها بقدر ما كان يقوم فى الأساس .. على حبها لنفسها ورغبتها فى ان يتسع نطاق سلطتها ونفوذا .

وقد أرسلت ذات يوم برسالة الى الملكة الفرنسية ماري انطوانيت توضح فيها صراحة رأيها فى هذا الشأن بقولها : « يتمتع على الأباطرة والملوك الا يهتموا بصيحات ومطالب الشعب فاما كما لا يهتم القمر بتباح الكلاب » .

وهكذا ، تحول الشعب الروسى تحت حكم كاترينا الثانية الى مجموعة من العبيد رغم انها كانت

حريصة على أن تصف أفراد هذا الشعب بأبنائها الأحرار .

وفى عام ١٧٦٨ تفجرت الحرب بين روسيا وتركيا وانتهت بانتصار الروس واعتراف الباب العالي فى الاستانة باستقلال القرم والسماح للتجار الروس بممارسة أنشطتهم فى البحر الاسود .

وكما أقام الملك لويس الرابع عشر قصرا خاصا لراحته فى فرنسا اطلق عليه اسم « الثريانون » أقامت كاترينا الثانية قصرا مماثلا سمته « الارميتاج » اى المعتزل وكان بمثابة ملتقى الادباء والفنانين الذين كانت ترسل بعضهم الى فرنسا والمجلترا لتعلم الأدب والثقافة الفرنسية والانجليزية .

وارتبطت كاترينا الثانية بعلاقات صداقة وطيدة مع مفكرى أوروبا وعلى رأسهم المفكر الفرنسى فولتير .

ويؤكد بعض المؤرخين ان كاترينا الثانية لم تكن محبة للعلم والثقافة بطبيعتها ولكنها كانت تعتبر العلماء والمثقفين جزءا من ديكور العرش الامبراطورى وتقليدا لسلوك الأباطرة فى البلدان الأوروبية الاخرى .

ولقد بلغ حرص الامبراطورة كاترينا على الظهور بعقلية الإنسانة الرومانسية ذات العواطف الجياشة ، انها شاهدت ذات يوم وردة تنمو وحدها فى منطقة جبلية فاصرت واصدرت أوامرها بتعيين حارس خاص من الجيش لحماية هذه الوردة لمدة ٢٤ ساعة كل يوم حتى لا يقطعها أحد .. واستمر الحارس يقف فى هذا المكان لمدة ١٠٠ عام تقريبا حتى بعد ان ذبلت الوردة وسقطت وبعد ان ماتت كاترينا نفسها مما يشير الى سطوتها وقوة نفوذها .. ولم يتوقف تقليد وقوف الحارس وحيدا فى تلك المنطقة الجبلية الا خلال حكم القيصر اسكندر الثانى الذى عرف بمحضى الصدفة تفاصيل هذه القصة .

ان كاترينا الثانية نموذج فريد للمدى الذى يمكن ان يصل اليه التناقض فى النفس الإنسانية .. فالرقة دائما كانت مرتبطة لديها بالقسوة والوحشية .. ويقدر ما كانت محبة لروسيا بقدر ما كانت تحقر شعبها وتنظر اليه على انه مجرد مجموعة من العبيد الذين خلقوا حتى يكتمل لها شكل الامبراطورية التى تحكمها ..

كانت تزعم التدين وفى نفس الوقت كانت نموذجاً للفسق والفساد الاخلاقى .. وكانت ترمى المثقفين والعلماء ولكنها كانت فى سلوكياتها أبعد ما تكون عن روح الثقافة والعلم .

ويؤكد بعض المؤرخين ان الامبراطورة كاترينا هى التى طلبت من انصارها قادة الجيش ان يقتلوا زوجها بطرس الثالث وعندما قام هؤلاء القادة بخنق الامبراطور وأهلقوها بموته بكت بشدة وارتدت الملائس السوداء وأصدرت للشعب بيانا للشعب قالت فيه : « ان الامبراطور قد مات متأثرا بمرض قديم وان عناية الله شامت ان تتولى هى العرش من أجل حبها الشديد لسعادة الشعب » .

وقد حدث ذلك على الرغم أن زوجها الامبراطور تذلّل اليها وطلب منها أن تبقى على حياته بعد أن اطاحت به وأعلن قبوله لأن تشاركه في الحكم ولكنها كانت قد اتخذت قرارها النهائي بأن تنفرد بالعرش ..

أما بالنسبة لمقولاتها العديدة التي سجلتها كتب التاريخ والتي كانت تردد فيها حبها الشديد للشعب وحرصها على رفاهيته فلم تكن أكثر من مجرد جزء من الوهم الذي حاولت أن تقنع الآخرين به .

والدليل على ذلك هو الموقف الذي اتخذته من الثورة الفرنسية .

فقد أحست كاترينا مثلها في ذلك مثل بقية اباطرة وملوك ونبلاء أوروبا بالتهديد الذي تمثله افكار الحرية والمساواة التي نادى بها الثورة الفرنسية .

لذلك قالت كاترينا صراحة : « اننى ارستقراطية واعمل في مهنة امبراطورة ولن اتخلى ابدا عن وضعي الاجتماعي أو مهنتي » .

وفي عام ١٧٩٠ كتب المؤلف الروسي راديشيف كتابا حاول أن يتحدث فيه عن مساوى العبودية والرق الا ان كاترينا اصدرت أوامرها بحاكمته وصدر الحكم باعدامه رغم انه كان من أبرز المثقفين الذين احاطت نفسها بهم وزعمت انهم اصدقاؤها ..

وبدهاء شديد حاولت كاترينا أن تستغل هذه المناسبة لتأكيد مزاعمها فأصدرت قرارا بتخفيف العقوبة ضد راديشيف من الاعدام الى النفي .

وكان النفي الى مجاهل سيبيريا هو مصير الأثوف من المثقفين والفنانين والمواطنين الذين تجرأوا على مجرد الاختلاف مع وجهات نظر الامبراطورة .

وفي ٩ نوفمبر عام ١٧٩٦ وجدت كاترينا الثانية ملقاة على الأرض في غرفتها بعد ان لفظت انفاسها الأخيرة وقبل انها كانت مصابة بمرض الفالج وقبل ايضا انها ماتت بالسكتة القلبية وكان عمرها في ذلك الحين ٦٧ عاما .

## جين أوستن ..

### الصدق مع النفس طريقها الى الخلود

الارتباط بالواقع وإدراك أبعاده بوضوح والتعامل معه بهدف تغييره نحو الأفضل هو اقصر طريق لتحقيق الحلم .. هكذا يقول لنا التاريخ . وفى مجال الأدب . كغيره من مجالات الحياة . هناك أكثر من تيار يدور بينها .. الصراع نحو الوسيلة المثلى لمعالجة معاناة الإنسان وواقعه الصعب فى أى زمان ومكان .. والبعض ينادى بتجاهل هذا الواقع الأليم والانطلاق نحو آفاق أرحب والبعض الآخر يكتفى بالرصد المجرد لأبعاد المعاناة .

وهناك ايضا من يندفعون بكل قوة لمواجهة هذا الواقع والعمل على تغييره من خلال إيقاظ الوعي وطرح النماذج التى يؤمنون بقدرتها على إحداث التغيير المنشود .. هو نوع من « الواقعية الرومانسية » عبرت عنه بكل وضوح أعمال الأدبية الانجليزية العظيمة جين أوستن .

ولدت جين أوستن فى ١٦ ديسمبر ١٧٧٥ بقرية « ستيفنتون » فى إقليم هامبشير بالإنجلترا . وكان والدها جورج أوستن يعمل راعيا لكنيسة القرية ولديه ثمانية أطفال .. ولقد ارتبطت جين أوستن بشدة بشقيقتها « كاسانديرا » التى لم تتزوج طوال حياتها وكانت علاقتهما اقوى من مجرد علاقة بين شقيقتين بل وصلت الى مرحلة متقدمة من التفاهم المتبادل والاحساس المشترك والرؤية الواحدة للحياة بكل أبعادها ..

وفى عام ١٧٨٢ أرسل جورج أوستن ابنتيه الى أوكسفورد لبدء مرحلة التعليم الرسمى حيث التحقتا باحدى المدارس الدينية التى كانت منتشرة فى إنجلترا فى ذلك الحين . وبعد خمس سنوات عادت الشقيقتان الى هامبشير لمواصلة التعلم .

ويقول النقاد أن عبقرية جين أوستن وضحت فى هذه الفترة حيث انكبت الفتاة الصغيرة على القراءة بشغف خاصة أن والدها كان واسع الثقافة وكان يشجع أطفاله على القراءة وسعة الاطلاع ، اما الام وكانت تدعى « كاسانديرا » ايضا فكانت امرأة قنطنة وذكاء وثقافة .. تكتب القصص وتقول الشعر ولذلك كان البيت كله بمثابة بوتقة ثقافية تنضج داخلها الاطفال الثمانية واشتعلت فيها موهبة جين أوستن بالتعبير .. كانت القراءة والكتابة من اهم النشاطات اليومية لافراد الاسرة ولم يتوقف الأمر عند مجرد قراءة الكلاسيكيات الأدبية الانجليزية بل شمل المعارف والاداب العالمية ومتابعة

الحركة الأدبية المعاصرة في ذلك الحين .. وكان أفراد أسرة أوستن يهرون التمثيل أيضا وشهد الأب مسرحا في الكنيسة التي كان يشرف عليها حيث كان أولاده يمارسون التمثيل مع جيرانهم خاصة الممثلات الصغرى .

لذلك يمكن القول ان السنوات الأولى من حياة جين أوستن والتي قضتها في منطقة ريفية نائية لم تكن بمثابة « سنوات عجاف » بالنسبة لاثراء فكرها وثقافتها بل كانت مرحلة نشاط عقلي وحضارى ربما لم تتح الكثيرات من فتيات المدن في نهاية القرن الثامن عشر .

والدليل على ذلك ان اشقاء جين أوستن الذين تربوا في هذه البيئة كانت لديهم أيضا تلك اللمحة من النبرخ والمعرفة التي ساعدت على غورها البيئة الثقافية التي عاشوا جميعا فيها .. فقد سافر اثنان من اشقاء جين هما « جيمس » و « هنرى » الى أكسفورد في عام ١٧٨٩ وأصدرا مجلة دورية اسمها « المتسكع » .. كذلك التحق اثنان اخران من اشقاء جين هما « فرانك » و « تشارلز » بالاسطول حيث اشتركا في الحروب النابوليونية وكتبوا مذكرات رائعة عن هذه الحروب .

والى جانب ذلك ، فقد تركت البيئة اثرها على جين أوستن حيث اختارت بوعى شديد ان تدور قصصها في المناطق الريفية وتتناول شخصيات الناس البسطاء .

ويقول النقاد ان اول عمل ادبى كتبه جين أوستن كان عام ١٧٨٧ ولم عمرها يتجاوز ١٢ عاما .. ومنذ هذا التاريخ حتى عام ١٧٩٥ كانت جين قد انجزت الكثير من الكتابات التي جمعتها في ثلاثة دفاتر ضخمة تحتوى على ٢١ مسرحية وقصة قصيرة ومقالا .. وكان الطابع المميز لهذه الاعمال هو ان معظمها ينتمى إلى ذلك الأسلوب الأدبى الذى يطلق عليه النقاد اسم « البارودية » والذي يحاكي فيه الكاتب احد المؤلفين بشكل ساخر تهكمى ..

وفى هذه الكتابات المبكرة ، ظهرت أيضا ميول جين أوستن الواضحة نحو الواقعية الأدبية من خلال اختيار شخصيات من الواقع ووضعها في مواقف واقعية أصبحت بعد ذلك إحدى سمات الرواية الانجليزية .

ولقد عكس التطور الأدبى لجين أوستن أيضا ملامح نموها العاطفى والعقلى خلال الفترة من سن ١٢ سنة وحتى ١٧ سنة وانتقالها الى تبنى آراء أكثر جدية تجاه الحياة ..

وعلى سعيد الحياة الشخصية ، كانت جين أوستن منذ البداية فتاة ذات شخصية قوية ، وقد أشارت في بعض خطاباتاتها الى انها كانت تشارك في بعض الحفلات الراقصة وتعيش حياتها الاجتماعية بصورة طبيعية .. ورغم ذلك فهناك ظلال كثيفة تحيط بحياة جين أوستن كأمراة ، خاصة من الناحية العاطفية ومن ناحية علاقتها بالرجال ..

ويقول بعض النقاد ان جين أوستن لم تكن من ذلك الطراز من النساء الذى يدفع الرجال الى

التفكير فى الزواج .. والسبب فى ذلك ربما يرجع الى قوة شخصيتها وعقليتها التحليلية وربما يرجع ايضا الى رؤيتها الخاصة للزواج ..

فقد طلبت احدى القريبات النصيحة من جين اوستن قبل ان تتزوج وردت عليها جين بخطاب قالت فيه : « ابعثى داخل قلبك لتكتشفى ما اذا كانت مشاعرك يمكن ان توصف بأنها حب حقيقى ام لا . واذا كانت حبا فأى نوع من الحب هى .. وفى كل الاحوال عليك ان تتأكدى انه لا يوجد شئ سئى فى الحياة يمكن ان يقارن بيؤس امرأة ترتبط برجل لا تحبه » .

وتشير المصادر التاريخية الى ان جين اوستن ارتبطت باكثر من علاقة ومشروع زواج ولكنها كانت تصبم فى النهاية عن الارتباط ربما لانها لم تكن تشعر فى داخلها بالحب الحقيقى وربما ايضا لانها كانت مهالغة فى « رومانيتها » بالنسبة لمفهوم الزواج .. ونتيجة لهذا التناقض بين الفهم الواقعى للحياة والتفسير الرومانسى لعلاقة الزواج ، عاشت جين اوستن وماتت كعانس دون زواج .

والواقع ان الحياة الشخصية لجين اوستن تعد بالغة الاهمية عند دراسة قيستها ككاتبة وذلك لأن مشاعر المرأة والحب والزواج كانت دائما من العناصر الاساسية التى تتناولها رواياتها .

ولسوء الحظ فإن معظم الشواهد التى كان يمكن الاستدلال بها على حياة جين اوستن الشخصية قد فقدت خاصة وأن شقيقتها الكبرى « كاسانديرا » كانت بمثابة الوصى الغيور على تراث اختها وحياتها الخاصة ولذلك قامت بعد وفاة جين اوستن بتدمير الكثير من خطاباتنا .

واذا كان من الممكن معرفة بعض جوانب الحياة الخاصة لجين اوستن وخاصة الجانب العاطفى ، من خلال اعمالها الادبية ، عندئذ يمكن الجزم بأنها كانت امرأة ذات خبرة فى عالم العاطفة والحب وايضا امرأة عانت من احباط هائل فى هذا العالم .

ويتضح ذلك من خلال آخر اعمالها وهو رواية « اقناع » من خلال اعمالها السابقة مثل « الكبرياء والتحيّز » وغيرهما ..

ولقد ظهرت معظم بطلات جين اوستن فى حالة من الضياع والاحباط بعد فشلهن فى الحب وكانت جين على قدر هائل من اليراعة فى تجسيد هذا الاحساس بالاحباط وكأنها كانت تعبر عن احباطاتها الشخصية وبالتالى جاء تصويرها لهذه المرحلة من حياة بطلاتها متدفقا بالصدق .

وفى يناير عام ١٨١٧ بدأت صحة جين اوستن تتدهور بشدة نتيجة اصابتها بمرض الصفراء . وفى يوم ١٨ يوليو كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة وعندما سئلت عن آخر أمنية لها فى الحياة قالت : « كل ما اريده الان هو ان اموت » وكأنها تريد ان تؤكد لآخر مرة ارتباطها بالواقع .

وماتت جين اوستن وموتها فقدت المحلثرا والأدب الانجليزى اعظم عقلية تحليلية والشاهد الأمين على واقع المجتمع فى تلك المرحلة .

## أنديرا غاندى ..

### رجل الهند القوي !

أنديرا غاندى .. قالت جدتها عندما ولدت فى عام ١٩١٧ فى بيت السعادة .. « بيت أهلها » : كانت يجب أن تكون صبيا .. رد الجد : « ستكون أفضل من ألف صبي » .

ولدت أنديرا وفى نفسها ملهقة من ذهب . فهى ابنة عائلة أرستقراطية غنية . الا ان هذه العائلة انفقت ما عندها فى سبيل الاستقلال . عاشت طفولة معذبة . ومحفوفة بالحرمان . وطفولتها كانت من نوع آخر ليست كالتى يعيشها الأطفال . فقد كانت تحب اللعب بمفردها . وكانت قللك الكثير من الدمى . ولكنها دمتى من نوع آخر . فهى دمتى سياسية قتل اما رجلا يحمل مشعل الحرية . واما شخصا يحاول تحطيم قضبان السجن . او تهيب بانائها ليخوضوا المعركة ضد اعداء الوطن . هرايتها المفضلة كانت فوق طاولة عالية والقاء الخطب . امام الحدم حيث كانوا يستقبلونها بعاصفة من التصفيق . واذا لم يتيسر لها مجموعة من المستمعين كانت تنظم الدمى بشكل مجموعة تعلمها كيف تسير فى مظاهرة لتأييد المهاتما غاندى .

وأنديرا غاندى سليلة تاريخ طويل فى الكفاح والعمل السياسى . جدتها موتى لان كان محاميا فقيرا وصار ثريا وعضوا بارزا فى حزب الكونغرس . ارسل ابنه جواهر لال إلى كيمبريدج . بريطانيا . ليدرس الحقوق . مثله . ففعل . لكنه عمل فى السياسة كأبيه . انضم الى حزب الكونغرس وتبع المهاتما غاندى وجمال فى القرى يدعم مطالب الفلاحين بتحسين شروطهم المعيشية . سجن مرارا لعمله الدؤوب من اجل الاستقلال . واستعمل يديه طويلا مثل زملائه المساجين . ولكن فى تأليف الكتب وسجنت أيضا زوجته شرماتى كمالا . رئيسة مجلس الكونغرس فى الله أباد . وأخته . احدى زعيمات الاستقلال . حقق جواهر لال حلمه الاساسى باعلان استقلال الهند فى عام ١٩٤٧ . كان اول رئيس للوزراء وبقي حتى وفاته فى المنصب . والتقلب على الفقر والمرض والجهل والأزدياد الكبير فى عدد السكان كان أصعب من التغلب على الاحتلال . قام باصلاحات اجتماعية واقتصادية والتزم الحياء . عمل على توحيد الدول الافريقية والاسهرية كتلة محايدة ذات سلطة . فى عام ١٩٦١ واجه لعنة الاضطرابات الطائفية . بعدها يستتين غزت الصين الشعبية الهند . فتأثرت صحته وغادر الحياة فى عام ١٩٦٤ .

وهكذا ، كانت انديرا غاندى ، نشأت وترعرعت مع مآسى الهند وأحزانها وساهمت مع حركة التحرر الهندية فى البعث الهندى العريق .. بيت جواهر لال نهرو « الذى كان لها الأب والقائد والزعيم ..

وفى خضم معركة الاستقلال ، كان لقاءها الطبيعى مع فوروز غاندى اللذين كانا معا فى بحث الخلايا السياسية ، والعمل السياسى المشترك وكان ذلك بداية لقصة حب جمعتهم بقصة حب أكبر هى حب الهند الحرة المستقلة .

وقد رأت انديرا ذات الوجه القلق حكومة بلادها وحزب الكونغرس بين ١٩٦٦ و ١٩٧٧ .. وواجهت مشكلة تحديد النسل بحملة اعلامية واسعة وراديو الترانزيستور . كان كل رجل يوصى بالتعقيم يأخذ ترانزيستور ، جائزة ترضية عن المحسوبة المفقودة . مشروعا أفقدها شعبية كبيرة ، وسجنت فى عام ١٩٧٧ بتهمة جنائية وكانت أول رئيسة وزراء تدخل السجن . ثم سجت ثانية بعد سنة وأمضت عيد الميلاد فى السجن لتجربتها مضايقة المسؤولين اذ كلفوا بجمع المعلومات عن مشروع وضعه سانجاي لهنج السيارات . ولم تترك وحيدة غضبها المكبوت بين القضبان . فخطف مسلحان طائرة بين كالكوتا ونوبولهى وطالبا باطلاقها ، وسارت تظاهرات احتجاج على سجنها صبغها دم القتلى والجرحى .

وكانت انديرا تعتز جدا بأنوثتها وقد ردت على وصفها عام ١٩٨٣ بـ « الرجل الوحيد » فى الحكومة بقولها : « قد لا تكون اهانة للرجال فى حكومتى . لكنها بالتأكيد اهانة لى » . وقد كانت انديرا قبل الى السوفيات ، فالحياد يبرهن باستمرار عن صغورته . اتهمت المخابرات الامريكية بالتدخل ضدها . وحازت جائزة لينين للسلام « اعتراقا بمساهمتها البارزة فى النضال من اجل الحفاظ على السلام ودعمه » .

ولكن نهاية هذه الشخصية العظيمة كانت مأساة بكل معنى الكلمة حيث اغتالها حراسها السيخ فى اكتوبر عام ١٩٨٤ .

ورحلت المرأة التى قالت عنها مارجريت تاتشر « المرأة الحديدية » فى بريطانيا : « يكفى النظر الى غاندى لتتأكد ان المرأة غللك مميزات فى الحكم لا يتمتع بها الرجال فى حالات عدة » . حاكمة سابغ أكبر بلد فى العالم ماتت ميتة فى نفس الشهر الذى شهد مولدها ، اغتالها اثنان من السيخ فى حديقة منزلها وقضت كالمهاثما غاندى محوطة بالأزهار ، وأحرقت ونشر راجيف رمادها فوق نهر الغانج ، وحمل الشعلة وافتتح حكمه فى عام ١٩٨٩ باعدام قاتليها .. ولكن راجيف الابن الوحيد الباقى لانديرا ، سرعان ما تبع والدته فى مايو من عام ١٩٩١ اثر انفجار أودى بحياته بينما كان يقوم بجولة انتخابية فى إحدى المقاطعات الهندية .

## مارجريت تاتشر ..

### التاريخ تصنعه النساء ايضاً !

كان بقاء مارجريت تاتشر في منصبها طيلة ١١ عاماً وهو رقم قياسي دليل على نجاحها في ادارة دولة البلاد في وقت كانت تشهد بريطانيا حالة ركود اقتصادي وتضخم كبير .

بجانب ذلك شكل انتصار تاتشر في حرب المالوين مع الاربعينين عام ١٩٨٢ مفترقا مهما للمرأة الحديدية حيث اكتسبت شعبية في المجتمع البريطاني . وقد استطاعت تاتشر تخطي العقبات التي واجهتها داخل حزب المحافظين ومع حزب العمال المعارض والنقابات العمالية ومع الجيش الجمهوري الايرلندي الى حد تعرضت فيه الى عدة محاولات اغتيال نجحت منها باعجوبة .

كانت طفلة واثقة وطموحة . طالعت في اوقات الفراغ في السياسة والشئون الدولية ، وميولها لم تكن صهيانية فقط ، فدرست البيانو ، وشاركت في كورس باخ في جامعة اوكسفورد حيث درست الكيمياء واشعة اكس بمنحة . انتخبت رئيسة جمعية المحافظين في الجامعة وحازت الماجستير وكانت باحثة كيميائية ، وتزوجت في عام ١٩٥١ دنيس تاتشر الذي كان عضواً في منطقة دارتفورد المحافظة . وشجع طموحاتها السياسية فدرست الحقوق ومارست المحاماة ، وفي عام ١٩٥٩ وصلت الى مجلس العموم عن منطقة فينشلي . وكانت خطيبة بارعة فعينت ناطقة باسم المحافظين ، وفي عام ١٩٧٠ عينت وزيرة للتربية والتعليم ، وكانت لها قصة مع الحليب حيث الفت الحصة المجانية من الحليب لثلاثة ملايين طفل ونصف مليون بين السابعة والحادية عشرة ، وسميت بـ « السيدة تاتشر » خاتمة الحليب ، فردت انها كانت تدفع ثمن الحليب عندما ذهبت الى المدرسة ، ولا علاقة للحليب المجاني بالتعليم . وعندما حاولت بعض المدارس الالتفاف على القرار ، بدفع ثمن الحليب من الضرائب والاحتفاظ بمجانبة الحليب للأطفال اصدرت قانوناً مانعاً .

وخسر حزب المحافظين في قيادة ادوارد هيث ثلاثة انتخابات من اربعة ، ففضت وترشحت ضده وكان « فوزاً ساحقاً تاريخياً » وفي عام ١٩٧٩ خطت خطوة أعلى وتسلمت رئاسة الوزراء التي جددت لها ثلاث مرات متتالية وضربت رقماً قياسياً سبقت به اللهيروالي هيرت اسكويت ، من عام ١٩٠٨ الى عام ١٩١٦ . جالت في الشرق والغرب وكانت اول رئيس وزراء بريطانيا يزور تركيا ، والخليفة الوفية لاميركا ورونالد ريغان .

وسواء كانت محبوبة أم لا ، لابد ان نعتز باهمية وتأثير رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر ، انها تلك التي اقترن اسمها بلقب المرأة الحديدية ، فمنذ أكثر من عشر سنوات قضتها في الحكم ، سلّبت الانتظار واصبحت محط اهتمام العالم اجمع خاصة فيما يتعلق بشخصيتها وتصلبها .

ولكن رغم ذلك فالسيدات الانجليزيات يكرهنها ، رغم انها هي التي اعلنت يوما : « اذا اردت الكلمة فاسأل الرجل واذا اردت الفعل فاسأل النساء » .

٢٦

## ديبورة هي ، ملكة إسرائيل ، ..

ديبورة هي امرأة ملهمة وقاضية وزوجة ابيدوث من قبيلة اساشار . راهمت ديبورة بتوحيد قبائل اسرائيل ، اساشار وزبولون وناثالي . لمحاربة ملك الكنعانيين يابين وقائده العسكري سبيرا في منطقة سهل يزريل العظيم بمحاذاة نهر كيشون بالقرب من ميجيدو في حوالي ١١٥٠ ق . م . وانتصرت ديبورة على الكنعانيين ، وأشاعت سلاما استمر ٤٠ عاما .

٢٧

## إميلى دوشاتليث ..

اميلى دوشاتليث ( ١٧٠٦ - ١٧٤٩ ) : عالمة رياضيات فرنسية ، وزوجة الماركيز فلورنت كلود دوشاتليث - لومونت . قامت إميلى بترجمة نظريات اسحق نيوتن ( ١٦٤٢ - ١٧٢٧ ) ، واقتنعت الفيلسوف فولتير ( ١٦٩٤ - ١٧٧٨ ) بالتحول عن كتابة المسرحيات الى دراسة الفيزياء والميتافيزيقا .

٢٨

## ريجوبيرتا مينشو ..

ريجوبيرتا مينشو ( ١٩٥٩ ) : جواتيمالية من الهنود الحمر ، أصبحت واحدة من أقوى الأصوات المناصرة لحقوق الإنسان في الأمريكيتين ، وفازت بجائزة نوبل للسلام عام ١٩٩٢ . كتبت

مينشو مذكراتها ، ووصفت كيف حرقت قوات الأمن الحكومية اباهما حتى الموت ، بينما كانت هي وأمها تنظران في صمت اليه ، وكيف عذب وقتل الجنود أخاها الصغير أمام عيونها . وبعد قتل أمها وانضمام أختيها إلى الثوار ، ذهبت هي إلى المنفى في المكسيك في عام ١٩٨١ . وهناك ، استخدمت نقود جائزة نوبل ، وهي ١.٢ مليون دولار ، في تأسيس جمعية خيرية لمساعدة أطفال الشوارع من الهنود الحمر ، والنساء الأرمال ، وزوجات السجناء السياسيين .

٣٩

## توني موريسون ..

توني موريسون ( ١٩٣١ ) : واحدة من أعظم الكتاب الأمريكيين في القرن العشرين ، درست الأدب والفولكلور والموسيقى ، واشتغلت محررة نصوص في دار نشر راندوم ، وكتبت روايات ، وأصبحت عضوا في الأكاديمية الأمريكية للفنون والأدب ، وعينتها الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ( ١٩٧٤ ) عضوا في المجلس الوطني للأدب ، وفازت بجائزة پوليتزر في الأدب الأمريكي عام ١٩٨٧ ، ثم فازت بجائزة نوبل في الأدب في ١٩٩٣ . وهي أمريكية ملونة ، قهرتها المعاناة والعبودية ، فكتبت ، وأبدعت ، وبقت بعد موتها مستقبلا .

٤٠

## هيلين كيلر ..

هيلين كيلر ( ١٨٨٠ - ١٩٦٨ ) : مناصرة أمريكية لحقوق المعاقين ، وحائزة على ميدالية الحرية من الرئيس ليندون جونسون ( ١٩٠٨ - ١٩٧٢ )

٤١

## تيودورا ..

راقصة وممثلة مسرحية ، ولدت في القسطنطينية ، وتزوجت من ولي عهد العرش البيزنطي جوستنيان الأول ( ٤٨٣ - ٥٢٥ م ) . وانهمكت تيودورا في القضايا الإدارية والسياسية والدينية ، وقمعت ثورة في ٥٢٢م ، وأعادت بناء الامبراطورية الرومانية ، وأدخلت تعديلات على النظام القضائي ، ودافعت عن العدالة الاجتماعية وحقوق المرأة ، مثل : تعديل قوانين الطلاق ، وحقوق الهبات في الميراث ، وتحريم بيع الأبناء لسداد ديون الآباء .

## مارى وورتلى مونتاجو ..

ومارى وورتلى مونتاجو ( ١٦٨٩ - ١٧٩٢ ) : اللبى مارى مونتاجو رائدة التطعيم ضد الجدري فى أوروبا . وهى ابنة دوق كينجستون . وزوجة ادوارد مونتاجو . سفير بريطانيا لدى القسطنطينية ( ١٧١٦ - ١٧١٨ ) . وتعتبر اسهامات مارى مونتاجو فى مجال التطعيم ضد الجدري بمثابة الخطوة الأولى نحو اكتشاف النظرية التى تقول : ان الجراثيم تسبب الأمراض .

## جان دارك ..

جان دارك ( ١٤١٢ - ١٤٣١ ) : فتاة فرنسية شابة ذات رؤية دينية . زصحت بطلة وطنية من خلال تحويل تيار حرب المائة عام ( ١٣٣٧ - ١٤٥٣ ) لصالح فرنسا .

## سانت هيلينا ..

سانت هيلينا ( ٢٥٠ - ٣٣٠ ميلادية ) : هى « ام المسيحية » . وأم الأمباطور الرومانى قسطنطين العظيم ( ٢٧٤ - ٣٣٧ م ) الذى جعل المسيحية الديانة الغالبة فى العالم الغربى . ويقول المؤرخون : ان هيلينا اعتنقت المسيحية قبل ابنها . وعملت على نشر الديانة المسيحية . وقامت بزيارة الى القدس فى ٣٢٤م . حيث بنت « كنيسة القيامة » . ثم ذهبت الى بيت لحم . حيث بنت « كنيسة العذراء » .

## هيباتيا ..

اول امرأة عالمة بالرياضيات والفلسفة والفلك والادب . ولدت فى الاسكندرية . وماتت امها وهى صغيرة . وتولى تربيتها ابوها ثيون . استاذ الرياضيات والفلك . ودرست هيباتيا فى اثينا . واصبحت استاذة فى الجامعة . وشغلت كرسى الفلسفة الافلاطونية . واخترعت الأسطرلاب لقياس مواقع الكواكب والنجوم . ودرست خريطة نصف الكرة السماوية .

٤٦

## .. اسبانيا ..

فيلسوفة اغريقية رائعة الجمال ، فتحت ببيتها صالونا للفلاسفة والفنانين والسياسيين . وقال عنها أفلاطون ( ٤٢٧ - ٣٤٧ ق . م ) : انها علمته « نظريته في الحب » ، وقال سقراط : ( ٤٧٠ - ٣٩٩ ق . م ) : انها علمته « نظريته في البلاغة » . ووقع حاكم اثينا بركليس في حبها . وطلق زوجته ، وجعل اسبانيا عشيقته . ومنذ ذلك الحين ، أصبحت اسبانيا مستشارة سياسية ، ودعت إلى اشاعة الديمقراطية ، وتغيير القوانين المقيدة لحرية المرأة في المجتمع الاغريقي .

٤٧

## .. سافو ..

شاعرة اغريقية . اطلق عليها افلاطون ( ٤٢٧ - ٣٤٧ ق . م ) لقب : « الالهة الشعر العاشرة » . وأخذ ثيوقراط ( ٣١٠ - ٢٥٠ ق . م ) عنها البساطة في الأسلوب والعمق في المعنى ، وهي اول من كتبت شعرا منشورا .

٤٨

## .. جولدا مائير ..

شخصية سياسية بارزة ، وأول امرأة رئيسة وزراء في اسرائيل ، ولدت في كيبف الاوكرانية . وتزوجت من موريس مايرسون في عام ١٩١٧ ، وهاجرت مع زوجها الى فلسطين ( اسرائيل فيما بعد ) في ١٩٢١ . وعاشت في تل أبيب . وفي عام ١٩٤٠ ، تولت منصب رئيسة الدائرة السياسية في الهستدروت ، واستمرت في هذا المنصب حتى اعلان استقلال اسرائيل في عام ١٩٤٨ ، ووقعت على وثيقة اعلان الاستقلال باعتبارها عضوا في مجلس الدولة المؤقت . ثم عملت كأول سفيرة اسرائيلية لدى الاتحاد السوفيتي لمدة ستة شهور . وفي عام ١٩٤٩ ، انتخبت لعضوية أول كنيست اسرائيلي ( برلمان ) عن حزب الماهاي . وتولت منصب وزيرة العمل والضمان الاجتماعي . وفي عام ١٩٥٦ ، تولت منصب وزيرة الخارجية لمدة عشر سنوات ، وبعد ذلك سكرتيرة عامة لحزب العمل لمدة عامين . وبعد موت رئيس الوزراء ليفي اشكول في مارس عام ١٩٦٩ ، تولت منصب رئيسة الوزراء لمدة ست سنوات . ثم استقالت في عام ١٩٧٤ حينما نشأ جدل حول تقصير الحكومة في حرب يوم الغفران في أكتوبر عام ١٩٧٣ .

## .. دورنى ديكس

دورنى ديكس ( ١٨٠٢ - ١٨٨٧ ) : رائدة أمريكية فى الدفاع عن تحسين ظروف حياة السجناء . وفى ١٨٤٨ ، قامت ديكس بجولة عالمية شملت الجزر البريطانية وروما والنمسا وبلجيكا وفرنسا والمانيا واليونان وهولندا وروسيا والدول الاسكندنافية وتركيا حيث أوصت ببناء مستشفيات جديدة . وفى عام ١٨٦١ ، تولت مهمة الاشراف على الممرضات فى الحرب الأهلية الأمريكية عام ١٨٦١ . ١٨٦٥ .

## .. روزا لكسمبورج

روزا لكسمبورج ( ١٨٧٠ - ١٩١٩ ) : واحدة من أعظم النساء فى تاريخ الاشتراكية الدولية . ولدت فى بولنده الروسية ، وهربت الى سويسره حيث حصلت على الدكتوراه فى العلوم الاقتصادية من جامعة زيوريخ . وفى عام ١٨٩٣ ، أسست الحزب الديمقراطى الاجتماعى فى بولنده ولويشيانا . وفى عام ١٨٩٦ أصبحت عضوا فى الحزب الديمقراطى الاجتماعى الألمانى . وفى كتابها « الثورة الروسية » . انتقدت لكسمبورج الهيكل المركزى فى حزب البلاشفة بزعامة فلاديمير لينين ( ١٨٧٠ - ١٩٢٤ ) . وإدانت افعال الرعب اللاحقة على الثورة الروسية ، ودعت الى استخدام الاضرابات السياسية الجماعية باعتبارها سبيلا الى الثورة .

## .. إلينور روزفيلت

الينور روزفيلت ( ١٨٨٤ - ١٩٦٢ ) : اعظم امرأة مؤثرة وفاعلة فى السياسات الأمريكية فى القرن العشرين . وصفها احد كتاب الأعمدة بأنها وزيرة بلا حقيبة وزارية ، وهى زوجة الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفيلت ( ١٨٨٢ - ١٩٤٥ ) . وبعد موت زوجها ، قام الرئيس هارى ترومان ( ١٨٨٤ - ١٩٧٢ ) بتعيينها مندوبة دائمة لدى الأمم المتحدة .

## .. لوسىلا جودى الكايا

( جابرلا ميسترال )

لوسىلا جودى الكايا ( جابرلا ميسترال ) ( ١٨٨٩ - ١٩٥٧ ) : شاعرة ودبلوماسية من شمال

شيلي ، وهي اعظم كتاب امريكا الجنوبية فى القرن العشرين ، ورمز الطموحات الوطنية فى عصرها وفى ١٩٢٥ ، بدأت ميسترال مهنتها الثانية كدبلوماسية ، وذلك حينما جرى تعيينها متعوية شيلي الدائمة لدى الأمم المتحدة . وفى ١٩٤٥ ، أصبحت جابريلا ميسترال اول كاتبة فى امريكا الجنوبية تفوز بجائزة نوبل فى الآداب .

٥٣

## كاترين مديتشى ..

ملكة فرنسا وحفيدة لورنزو ، تزوجت عام ١٥٣٣ من هنرى الابن الثانى لفرنسيس الأول ملك فرنسا .

كان هما خلال فترة حكمها الترفيق بين الكاثوليكية والبروتستانتية للتعايش معاً ضمن المجتمع الفرنسى لكنها انحازت فى النهاية للكاثوليك فامعنت القتل والسجن فى البروتستانت حيث قدر عدد قتلهم بأكثر من عشرة آلاف قتيل منهم زعيمهم ادميرال كوليفنى .

٥٤

## مارى لانوازييه ..

زوجة الكيميائى الفرنسى انطون فوازيه ( ١٧٤٣ - ١٧٩٤ ) رائد الكيمياء الحديثة . درست مارى اللاتينية والانجليزية ، وساعدة زوجها فى تجاربه الكيميائية ، وبعد اعدام زوجها وأبيها بالمقصلة فى عام ١٧٩٤ ، خلال الثورة الفرنسية ( ١٧٨٩ - ١٧٩٩ ) ، نشرت ثمانية مجلدات باسم زوجها فى عام ١٨٠٥ .

٥٥

## كاترين داراغون ..

ابنة ايزابيلا ملكة اسبانيا ، زوجة هنرى الثامن خطبت وهى فى التاسعة من عمرها لأحد أولاد الملكة اليزابيث أوف يورك الذى تزوجته فى عام ١٥٠٩ .

بعد أربعة أشهر توفى زوجها لتعود مجددا للزواج من هنرى الثامن امير ويلز ابن الملك هنرى السابع . رقت فى عام ١٥١٠ بولد توفى بعد ايام وبلغ عدد أولادها المتوقين التسعة .

وأخيرا ولدت الأميرة مارى عام ١٥١٦ .

انتمت حياتها بالتماسة والشقاء . فهجانب خسارتها لأولادها التسعة فقدت كل أفراد عائلتها . والدتها ووالدتها ، ووالد زوجها ، حتى أخيرا خسرت زوجها الذى طالب الكنيسة باصدار قرار بطلاقها بحجة غضب الله على زواجه هذا وتجريدتها من كل حقوق الحاشية والايراد ونقيها الى إحدى المقاطعات النائية .

توفيت فى عام ١٥٣٦ .

٥٦

## ..ساجاوة..

### ( المرأة الطائرة )

رحالة من الهنود الحمر من قبيلة ليمى شوشون فى مونتانا الغربية ، قادت حملة استكشافية قام بها ميريويندر لويس ( ١٧٧٤ - ١٨٠٩ ) ووليام كلارك ( ١٧٧٠ - ١٨٣٨ ) من سانت لويس فى ميسورى فى مايو ١٨٠٤ الى المحيط الهادى فى نوفمبر عام ١٨٠٥ ثم العودة الى سانت لويس فى عام ١٨٠٦ ، وقطعت ثمانية آلاف ميل .

٥٧

## ..إيمى نوبتر..

إيمى نوبتر ( ١٨٨٢ - ١٩٣٥ ) : عالمة رياضيات ألمانية ، هاجرت الى الولايات المتحدة بعد تولى أدولف هتلر السلطة فى عام ١٩٣٣ . ووصفها البيروت اينشتاين ( ١٨٧٩ - ١٩٥٥ ) بأنها واحدة من أعظم عباقرة الرياضيات .

٥٨

## ..كارولين هيرتشيل..

كارولين هيرتشيل ، فلكية ألمانية . ذهبت الى إنجلترا للتعاون مع أخيها الفلكى وليام هيرتشيل ( ١٧٣٨ - ١٨٢٢ ) . وبعد اكتشاف كوكب اورانوس فى ١٧٨١ ، ومجموعات أخرى من النجوم والمذنبات ، حصلت كارولين على الميدالية الذهبية من الجمعية الملكية الفلكية فى عام ١٨٢٨ .

## .. الأم تيريزا ..

الأم تيريزا ( ١٩١٠ ) : داعية دينية ، ومحبّة لخير الإنسانية ، وحائزة على جائزة نوبل للسلام في عام ١٩٧٥ . وميدالية الحرية الرئاسية الأمريكية في عام ١٩٨٥ ..

## .. فالنتيناتير يشكوفنا ..

فالنتيناتير يشكوفنا ( ١٩٣٧ ) : رائدة فضاء روسية ، اسماها نيكيتا خروشوف ( ١٨٩٤ - ١٩٧١ ) بطلة الاتحاد السوفيتي ، وقلدها وسام لينين وميدالية النجمة الذهبية . تيريشكوفنا عاقبت الرجل على موقفه من المرأة بأنها الجنس الأضعف .

## .. جين آدمز ..

كاتبة ممتازة ، وناشطة اجتماعية ، وداعية للسلام ، ورائدة في الدفاع عن الحقوق المدنية ، وواحدة من أعظم النساء نفوذا في تاريخ الولايات المتحدة ، وحائزة على جائزة نوبل للسلام في عام ١٩٣١ ، بالمشاركة مع نيكولاس مورى باتلر ( ١٨٦٢ - ١٩٤٧ ) .

## .. ماري كينجسلى ..

باحثة بريطانية ، اهتمت بدراسة علم الإنسان والتاريخ الطبيعي ، وذهبت الى افريقيا ، واكتشفت ٦٥ جنسا من الاسماك النهرية ، ثلاثة منها سجلها المتحف البريطاني باسمها . وانتقدت كينجسلى النفوذ الأوربي في افريقيا ، وبخاصة افعال البعثات التبشيرية التي تقوم على اعتبار الافريقيين جماعات بدائية في حاجة الى تعليم بدلا من اعتبارهم جماعات ذات ثقافات منفردة تستحق الاحترام .

٦٣

## مارجريت بورك .. وايت ..

أمريكية في القرن العشرين .

٦٤

## راكيل كارسون ..

رائدة في دراسة تأثير المبيدات الحشرية والمواد الكيميائية السامة على الطبيعة .

٦٥

## سوزان برانيل أنطوني ..

ناشطة راديكالية ومناصرة لحق المرأة الأمريكية في التصويت .

٦٦

## هاريت توبمان ..

ممرضة وجاسوسة ، وداعية لتحرير الأمريكيين السود من العبودية .

٦٧

## كلارا جارتون ..

« ملاك ساحة القتال » في الحرب الأهلية الأمريكية ( ١٨٦١ . ١٨٦٥ ) ومناصرة للغير والسعادة الإنسانية ، ومؤسسة الصليب الأحمر الأمريكي . كتبت جارتون قصة حياتها وكتابين آخرين عن تاريخ الصليب الأحمر في الحرب والسلام .

٦٨

## اليزابيث بلاكويل ..

أول امرأة طبيبة في الولايات المتحدة ، ورائدة جمعية الصحة الوطنية .

٦٩

## مارى بيكرادى ..

رائدة العلاج عن طريق التركيز الروحى ومؤسسة جمعية العلوم المسيحية فى ١٨٧٥ ، وناشرة صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور » الأمريكية الأسبوعية فى ١٩٠٨ .

٧٠

## لاكشمى باى ..

بطللة وطنية هندية ، ورمز الشجاعة والوطنية ، تمردت على الحكم البريطانى الكولونىالى ، وحصلت السلاح دفاعا عن بلده جهانسى وقلمة جوالير ، وقادت الهندود حتى الموت .

٧١

## مارى هاريس جونز

( الأم جونز ) ..

رائدة نقابية أمريكية ، وعضو مؤسس فى الحزب الديمقراطى الاجتماعى ، دافعت عن حقوق عمال مناجم الفحم وطالبت بتحريم تشغيل العمال الأطفال فى المصانع ، وقادت مسيرة أطفال من مصنع نسج فى بنسلفانيا الى منزل الرئيس ثيودور روزفيلت ( ١٨٥٨ - ١٩١٩ ) فى نيويورك عام ١٩١٥ .

٧٢

## ميلدريد ديدريكسون زهارياس ..

أعظم امرأة رياضية أمريكية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، أحرزت أرقاما قياسية فى رياضة رمى الرمح ، وسباق الحواجز والقفز العالى والجولف .

٧٣

## بيتى فريدان ..

أم الحركة النسائية الحديثة فى الولايات المتحدة .

٧٤

## شيرلى شيشولم ..

أول امرأة افرقية - أمريكية انتخبت عضوا فى الكونجرس الأمريكى فى ١٩٦٨ . وهى أول امرأة ملونة تسمى الى تسميتها عن الحزب الديمقراطى لانتخابات الرئاسة الأمريكية . وفى ١٩٩٣ عينها الرئيس الأمريكى بيل كلينتون سفيرة الولايات المتحدة لدى جامايكا .

٧٥

## سارة بريلاف وولكر ..

امرأة عصامية أمريكية ملونة ، اخترعت المشط المعدنى الساخن وعقارا مفذيا للشعر ، وباعت منتجاتها عن طريق الطلبات البريدية ومندوبى المبيعات ، وأصبحت مع حلول ١٩٦٤ ، أول امرأة ملونة مليونيرة فى الولايات المتحدة .

٧٦

## جيرتيرود بيل ..

دبلوماسية وعالمة آثار بريطانية ، درست فى جامعة أوكسفورد ، وقامت برحلات الى الجزيرة العربية ، وترجمت أعمالا عربية . وفى عام ١٩٦٤ اشتغلت لحساب الاستخبارات البريطانية فى العراق . وجمعت معلومات عن القبائل العربية ، وأصبحت شخصية مؤثرة فى السياسات العراقية

اللاحقة على الاستقلال ، وفي مارس ١٩٢١ عقد ونستون تشرشل ( ١٨٧٤ - ١٩٦٥ ) ، وزير المستعمرات ، مؤتمر القاهرة لتشكيل حكومة عربية في العراق ، وقامت جيهروتروود بيل بنود بارد في ضمان اعتلاء الملك فيصل الأول العرش العراقي .

٧٧

## مارتا جراهام ..

أعظم راقصة بالية أمريكية ، حصلت على أوسمة عديدة ، من بينها ميدالية الحرية الرئاسية في عام ١٩٧٦ .

٧٨

## آن فرانك ..

طفلة يهودية مراقة ، هربت من الاهادة النازية مع أسرتها الى هولنده ، وكتبت أربع مذكرات طفلة خائفة من المستقبل قبل ترحيلها من هولنده وموتها بالتيغود في معسكر الاعتقال . وحازت المسرحية المنقولة عن مذكرات آن فرانك على جائزة بوليتز الأمريكية في الأدب في عام ١٩٥٥ .

٧٩

## ماري وولستونكرافت ..

كاتبة وأديبة ومترجمة بريطانية ، دافعت عن حقوق المرأة ، وتزوجت الفيلسوف السياسي وليام جودوين ( ١٧٥٦ - ١٨٣٦ ) ، ووضعت بنتا ، ماري شيللي ( ١٧٩٧ - ١٨٥١ ) .

٨٠

## سونيا جيرمين ..

عالمة رياضيات فرنسية ، وضعت « قانون تنجذب السطوح المرننة » في عام ١٨١٦ ، واستخدم العلماء هذا القانون في حل مشاكل صلبة أثناء بناء « برج ايفل » .

٨١

## اليزابيث فراي ..

رائدة اجتماعية ودينية بريطانية ، دافعت عن تحسين ظروف حياة المرأة داخل السجون .

٨٢

## مارى فيرونفاكس سومرفيل ..

ملكة علوم القرن التاسع عشر ، وعطلة الأوساط العلمية والأدبية ، دافعت عن حق المرأة فى التصويت ، ووقعت عرضة حقوق المرأة التى قدمها جون ستيوارت ميل ( ١٨٠٦ - ١٨٧٣ ) الى البرلمان البريطانى .

٨٣

## كاترين ليتفيلد جرين ..

مخترعة ماكينة حلق القطن بالمشاركة مع اهلئ ريتنى ( ١٧٦٥ - ١٨٢٥ ) وهئ الماكينة التى أحدثت ثورة زراعية فى جنوب الولايات المتحدة .

٨٤

## الملكة جينجا ..

ملكة محاربة حقيقية ، وهئ ابنة الملك ندونجو نجلولا . اهتمت بتوحيد قبائل ماتامبا ، وكونجو ، وكاسنجى ، وديمبوس ، وكيساما ، ولاتالو الوسطى ، ونجحت فى اقامة تحالف عظيم بين رجال القبائل المحاربة الكولونبالية البرتغالية فى أنجولا .

٨٥

## بوكاهونتاس ..

ابنة زعيم اتحاد قبائل الهنود الحمر بوهاتان ( ١٥٥٠ - ١٦١٨ ) فى منطقة فيرجينيا . ومن خلال زواجها من البريطانى جون رولف ( ١٥٨٥ - ١٦٢٢ ) قامت بوكاهونتاس بدور بارز فى اقامة أول مستعمرة بريطانية فى أمريكا ، وتنشيط زراعة التبغ .

٨٦

## هاريت بيشرستوى ..

مؤلفة أمريكية ومؤيدة لمبدأ تحرير السود من العبودية .

٨٧

## أداة لوفليس ..

عالمة بريطانية فى الرياضيات والكمبيوتر .

٨٨

## لوكربتيا كوفين موت ..

داعية سلام أمريكية ، دافعت عن قضية الحقوق المتساوية بين الرجل والمرأة ، وطالبت بحق المرأة فى التصويت .

٨٩

## كاترين بيتشر ..

رائدة أمريكية فى تدريس علم الرياضيات وتعليم المرأة .

٩٠

## إليزابيث كادى سانتون ..

كاتبة أمريكية موهوبة ، تأثرت بالنتائج المأساوية للقوانين التمييزية المعادية للمرأة ، ودافعت عن المساواة بين الجنسين .

٩١

## لوسى ستون ..

أستاذة أمريكية ، وداعية لحقوق المرأة ، درست اللاتينية والعبرية للتأكد من صحة ترجمة النصوص الدينية المتعلقة بحقوق وواجبات المرأة .

٩٢

## مارى آن أيفانز ..

مؤلفة وكاتبة بريطانية ، التقت واشتغلت مع شخصيات أدبية بريطانية بارزة مثل : هيربرت سبنسر ( ١٨٢٠ - ١٩٠٣ ) ، وجون ستيوارت ميل ( ١٨٠٦ - ١٨٨٣ ) ، والفيلسوف والناقد جورج لويس ( ١٨١٧ - ١٨٧٨ ) . وكان لكتاباتهما الأدبية تأثير واضح على الأدب العالمى ، وأثنى عليها المؤلف تشارلز دكينز ( ١٨١٢ - ١٨٧٠ ) .

٩٣

## اليزابيث كينى ..

رائدة استرالية فى معالجة الأمراض بالوسائل البدنية والميكانيكية كالتدليك والتمارين الرياضية والماء والفضة والحرارة والكهرباء ..

٩٤

## لويز بويد ..

رحالة أمريكية ، حصلت على ميدالية سانت أولف من ملك النرويج فى عام ١٩٢٨ . وهى أول امرأة غير نرويجية تحصل على مثل هذا الوسام . وخلال الحرب العالمية الثانية ، قررت الحكومة الأمريكية اعتبار المعلومات التى جمعتها بويد من الطرف الشمالى الشرقى من جزيرة جرينلاند القطبية الشمالية ذات أهمية عسكرية بالغة ، ونتيجة لذلك ، تقرر تأجيل نشر كتابها حتى ١٩٤٠

٩٥

## ماريا مونيتسورى ..

أول امرأة طبيبة إيطالية متخصصة فى وضع برامج تعليم الأطفال المعاقين فى العالم .

٩٦

## مارى مالكويد بيثون ..

رائدة قضايا المرأة الملونة الافريقية - الأمريكية فى القرن العشرين .

٩٧

## الينور الأكويتانية ..

ملكة فرنسا ( ١١٣٧ - ١١٥٢ ) وملكة بريطانيا ( ١١٥٤ - ١٢٠٤ ) وهى أم الملكين البريطانيين الملك ريتشارد الأول ( ١١٥٧ - ١١٩٩ ) ، وديسى ريتشارد قلب الأسد ، والملك جون الأول ( ١١٦٧ - ١٢١٦ ) ، وكانت أعظم امرأة سياسية فى عصرها .

٩٨

## الملكة تماره..

ملكة جورجيا فى عصرها الذهبى قبل غزو المغول بقيادة جنكيز خان ( ١١٦٧ - ١٢٢٧ )  
وتدمير عاصمتها تفليس فى عام ١٢٣٦ . وفى ظل حكمها ، شهدت جورجيا نهضة فى الأدب  
والفنون .

٩٩

## انى بسانت..

كاتبة بريطانية ، وناشطة اجتماعية ، انضمت الى الجمعية الغابية الاشتراكية بزعامة جورج  
بيرناردشو ( ١٨٥٦ - ١٩٥٠ ) ، ودعت الى تحديد النسل ، وكافحت الفقر والاضطهاد .

١٠٠

## أنا فرويد..

رائدة التحليل النفسى للأطفال ، وهى تمساوية المولد ، وفى عام ١٩٣٨ هاجرت مع والدها  
سيجموند فرويد الى بريطانيا ، حيث واصلت عملها فى تطوير نظرية التحليل النفسى  
وسيكولوجيا الذات ، وبعد عودتها الى النمسا فى عام ١٩٧١ ، استقبلت استقبالا حماسيا فى مؤتمر  
التحليل النفسى الطبى السابع والعشرين ، وفى العام التالى حصلت على الدكتوراه الفخرية من  
جامعة فيينا .

١٠١

## ماريان أندرسون..

أول امرأة مغنية اورا افريقية - امريكية ، تحطم حاجز التحامل العرقى ، وتلقت دعوة من الرئيس  
الامريكى فرانكلين روزفيلت ( ١٨٨٢ - ١٩٤٥ ) للغناء فى البيت الأبيض ، وكانت بذلك اول فنانة  
ملونة تغنى هناك . وفى عام ١٩٥٨ ، عينها الرئيس الامريكى دوايت ايزنهاور ( ١٨٩٠ - ١٩٦٩ )  
عضوا فى لجنة حقوق الإنسان فى الأمم المتحدة ، وفى عام ١٩٦١ غنت فى احتفال تولية الرئيس  
جون كينيدي ( ١٩٦٣ - ١٩٦٣ ) . وفى عام ١٩٦٣ حصلت على ميدالية الحرية الرئاسية .

## فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	مستعمل
٩	✓ كليوباترا	١
١٥	✓ سميراميس	٢
١٩	✓ حتشبسوت	٣
٢٤	✓ شجرة الدر	٤
٢٩	✓ زنوبيا	٥
٣٤	✓ سالومي	٦
٣٨	✓ بلفيس	٧
٤٠	✓ السيدة مريم العذراء	٨
٤١	نمارى انطوانيت	٩
٤٥	فيكتوريا	١٠
٤٩	مارجريت	١١
٥٢	ايزابيلا	١٢
٥٩	فلورانس نايتنجيل	١٣
٦٣	اليزابيث الأولى	١٤
٦٩	دليلية	١٥
٧٣	مدام توسو	١٦
٧٦	مدام كورى	١٧
٨١	جوزفين	١٨
٨٥	آنا بافلوفا	١٩
٨٨	مارى ملكة اسكتلندا	٢٠
٩٢	بوديكيا	٢١
٩٥	إليانورا ديوز	٢٢
٩٩	الاخوات برونسى	٢٣

١٠٣	الإميراطورة اوجينى	٢٤
١٠٧	ممتاز محل	٢٥
١١١	إبرين كورى	٢٦
١١٤	كودازون اكينو	٢٧
١١٦	اجائا كريستى	٢٨
١١٧	مارى ملكة المجلترا	٢٩
١٢١	كريستينا	٣٠
١٢٦	جورج اليوت	٣١
١٣٠	كاترين الثانية	٣٢
١٣٥	جين أوستن	٣٣
١٣٨	انديرا غاندى	٣٤
١٤٠	مارجريت تاتشر	٣٥
١٤١	ديبور هى	٣٦
١٤١	إميلى دشا تليت	٣٧
١٤١	ريجو بيرتا	٣٨
١٤٢	تونى موريسون	٣٩
١٤٢	هيلين ليلين	٤٠
١٤٢	تيسودورا	٤١
١٤٣	مارى وورتللى	٤٢
١٤٣	جان دارك	٤٣
١٤٣	سانت هيلينا	٤٤
١٤٣	هياتينا	٤٥
١٤٤	اسباسينا	٤٦
١٤٤	سافو	٤٧
١٤٤	جولدا مائير	٤٨
١٤٥	دورثى ديكس	٤٩
١٤٥	روزا لكسمبورج	٥٠
١٤٥	الينور روزفلت	٥١
١٤٥	لوسىلا بسودى	٥٢

١٤٦	كاثرين ميدلتون	٥٣
١٤٦	ماري لافوازييه	٥٤
١٤٦	كاثرين دارغون	٥٥
١٤٧	سكاجاوا	٥٦
١٤٧	ايمى نوتشر	٥٧
١٤٧	كارولين هيرتشل	٥٨
١٤٨	الأم تريزا	٥٩
١٤٨	فالتيناين بشكوف	٦٠
١٤٨	جين آدمز	٦١
١٤٨	ماري كينجسلى	٦٢
١٤٩	مارجريت بورك	٦٣
١٤٩	راكيل كارسون	٦٤
١٤٩	سوزان برانيل انطونى	٦٥
١٤٩	هاريت توبمان	٦٦
١٤٩	كلارا جارتون	٦٧
١٥٠	اليزابيث بلاكويل	٦٨
١٥٠	ماري بيكرادى	٦٩
١٥٠	لاكشمى باي	٧٠
١٥٠	ماري هارس جونسون	٧١
١٥١	مليديس ديدريكسون	٧٢
١٥١	بيتسى فريدمان	٧٣
١٥١	شيرلى شيشولم	٧٤
١٥١	سارة بريلاف وولكى	٧٥
١٥١	جيرتيرود بيل	٧٦
١٥٢	مارثا جراهام	٧٧
١٥٢	آن فرانك	٧٨
١٥٢	ماري وولستونكرافت	٧٩
١٥٢	صوفيا جيرمين	٨٠

١٥٢	اليزابيث فرارى	٨١
١٥٣	مارى فيرو فاكس	٨٢
١٥٣	كاترين ليتلفيلد	٨٣
١٥٣	الملكية جينجفا	٨٤
١٥٣	يوكاهونتاس	٨٥
١٥٣	هاريت بيشرستوى	٨٦
١٥٤	آداة لوفليفس	٨٧
١٥٤	لوكرتيا كوفين	٨٨
١٥٤	كاترين بيتشر	٨٩
١٥٤	اليزابيث كسادى	٩٠
١٥٤	لوسى ستون	٩١
١٥٤	مارى آن ايفانز	٩٢
١٥٥	اليزابيث كينسى	٩٣
١٥٥	لويز بوييد	٩٤
١٥٥	ماريا مونيتسورى	٩٥
١٥٥	مارى مالكويد بيثيون	٩٦
١٥٥	إلينور الاكوتتانية	٩٧
١٥٦	الملكية تمارا	٩٨
١٥٦	انسى بسانت	٩٩
١٥٦	انسا فرويد	١٠٠



## مائة امرأة غيرن مجرى التاريخ !!

التاريخ ملئ بصفحات ناصعة البياض  
لآلاف النساء العظيمات ، اللاتي قدمن  
للإنسانية إنجازات رائعة جعلتهن يتبوأن  
مكانة رفيعة في سجل الخالدين . كما يضم  
التاريخ الإنساني بين طياته - للأسف -

صفحات حالكة السواد للنساء تنكرن لإنسانيتهن ، وتحركن من  
خلال ما لديهن من نزعات تدميرية سواء نحو الذات ، أو نحو  
الآخرين !

وبين نساء التاريخ عظيماته ، وشقياته ، شخصيات لا لون  
لها ، ولا طعم ، ولا رائحة ، أثرت البقاء في الظل ، أو على  
هامش الحياة ، لا تأثير لهن ، ولا فعالية .

وهذا الكتاب محاولة لإعادة كتابة تاريخ النساء ، ويرى  
كيف كان للمرأة النصيب الأوفر من صفحاته سواء الناصعة  
البياض ، أو الحالكة السواد ، وكيف لعبت دوراً خطيراً في كتابة  
أحداثه سلباً ، وإيجاباً ، وكيف كانت وراء تحريك عجلته تارة إلى  
الأمام ، وتارة إلى الخلف . كيف كانت تمثل في بعض الأحيان  
قوة دفع ، وفي أحيان أخرى حجر عثرة أمام تقدم البشرية .

هذا الكتاب ما هو إلا مرجع هام لأي قارئ يريد أن يسبر  
أغوار التاريخ لمعرفة أهم نساينه في الماضي والحاضر اللاتي  
ساهمن بالنصيب الأعظم في تغيير مسار العالم .

مجدى كامل

دار سلمى للنشر والتوزيع

٩٩ شارع رمسيس - القاهرة - ت : ٥٧٨٤٥٠٤

